عبدالوهاب محمد الزنتاني
سالم بن عبد النبي الناكوع
فارس القبلة وقائد معركة القارة

سالم بن عبد النبي الناكوع

فارس القبلة وقائد معركة القارة

عبدالوهاب محمد الزنتاني

سالم بن عبد النبي الناكوع

فارس القبلة وقائد معركة القارة

1993

نشر مشترك

الدار الجماهيرية
للنشر والتوزيع والاعلان

دار اليوم
للإعلام المحدودة

وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ

صدق الله العظيم

[آل عمران: ١٣]

إهداء

إلى الذين في سبيل الوطن والعروبة والإسلام رووا بدمائهم تراب ليبيا وقد صعدوا بأرواحهم إلى السماء فكانوا وما زالوا نجوماً تنير الطريق وصاروا في حياتنا مجداً وفي تاريخنا برهاناً على الأصالة والصدق إليهم شآبيب الرحمة من الله، وهذه الكلمات من مجتهد يبحث عن الحقيقة .

المؤلف

تقـــديم

ترى كيف أبدأ، ومن أين
أتناول حياة هذا الرجل...؟

رجل أشهر من القمر ومن نارٍ على عَلَم، إنَّه الشيخ المجاهد سالم بن عبد النبي الناكوع الزنتاني، ولقد قرأتُ وسمعتُ عنه الكثيرَ الكثير، ووجدتُ نفسي حائراً لمدة طويلةٍ قبل أن أجدَ الإجابةَ عن هذا السؤال إذ كانت أشياء كثيرة قدِ اختلطت في ذهني وقد اختلَّ ما كان عندي من اعتقادٍ في نزاهة بعضِ مَنْ يكتبون التاريخ في بلادي وجعلتُ أستعرض ما قرأت، أو أغلب ما قرأت فلم أجد لهُ وزناً ولا قيمةً تاريخيّةً أو علميّة على اعتبار أنني اعتقدتُ أن استنطاقَ وثائقِ التاريخ يجبُ أن يكونَ فيها الكاتب موضوعياً ومحايداً ولا يجوز أن يلجأ فيها الى استعمال العمليّات القيصريّة، ولَكَمْ تمنَّيت أن يكونَ حاضرنا مرتبطاً بماضينا مؤثِّراً إيجاباً في مستقبلنا، وأن يكون سلوكُنا وتعليمُنا وثقافتُنا مرآةً تعكس حقيقةَ ذلك الماضي.

ولأن الحياة عمل وعبث وهي كذلك هزل وسخرية، وخطأ وصواب، كما انها خداع وغرور وأمجاد وهزائم، فلقد صدقَ من قال: اللهم أعطني حياة عريضة ولا تعطني

حياة طويلة. فإن حياة الشيخ سالم بن عبد النبي كانت طويلة عريضة وكانت عملاً بلا عبث وصواباً وخطأ وإن بلا هزل ولا سخرية، وكانت مثيرة فاعلة تخلَّلها نهوض وهبوط وفشل ونجاح. ولأن الامر كذلك فقد وجدت أنه من عين الصواب أن أسجِّل ما حفظَتْه ذاكرةُ أقرب الناس إليه، إنهم أبناؤه وبناته، عن سيرة حياته وجهاده، وأن اقتطف من ذلك أجمله لأجعل هذه المقدمة فاتحة كتابٍ شيقة بإذن الله.

قالوا لي ما معناه، إن الله قد وهبه مزاجاً هادئاً لا تستثيره الحوادث ولا يعبأ بالكوارث مهما كبرت وهو يقابل ما يحدث له بثبات، ويقول إن الحياة ألم وسرور وهي يوم لك ويوم عليك، كما أنها حياة وموت ولهذا فاننا يجب أن نأخذها على حقيقتها بلا فزع أو جزع. وقالوا إنه يحبُّ الحرية متمثِّلة في حبِّه للصحراء الرحبة، وله نزعة صوفية تتجلَّى في حبِّ الخير ومساعدة الناس والدفاع عن الحق والحديث عن الاخضرار والارض والشجر والزهور والنبات لانه يرى قدرة الله فيها.

وقالوا إنه جريء خطيب لا يتهيَّب الحديث في مختلف الامور أمام أي عدد من الناس كأنما خلق لكي يكون خطيباً، ولا يتردَّد في إبداءِ رأيه بصراحةٍ إذا ما عرض عليه الأمر.

وهو صلب كالصخر، مقدام كالأسد، رابط الجأش، شجاع القلب، متين الخلق، حازم متشدِّد في الحق مهما كانت الظروف.

ولقد وجدت كلّ ذلك وأكثر من خلال قراءتي لبعض أوراقه التي اطلعت عليها بعد محاولات وبحث وسفر عندما التقيت أبناءه وأقاربه في زيارتي (للقرية) او (القريات) لان هذا اسم البلدة التي ولد فيها، وكانت تسمى القرية الغربية ثم اضيفت اليها أخرى عرفت بالشرقية (والبلدتان لا يفصل بينهما فاصل كبير).

وجدت أنه فعلا خلقه الله على تلك الصورة وصاغته الأيام والأحداث على ذلك النحو حتى آخر أيام حياته العامرة. وجدت أنه صاحب عزيمة وجرأة وصبر وثبات وتوكُّل وإيمان وهو لا يبالي بالموت ولا يخاف المخاطر ولا يعبأ بشئون الحياة، في استقامته كأنه يمشي على الصراط وفي إيمانه كأنه يلقى خالقه في الحين والتوّ، وذلك يمثّل القوة في روحه، والعزيمة في نفسه، والاطمئنان في قلبه. وأذكر أن ابنته (عنايا) عندما سُئلت عما إذا كان قد تزوج عندما هاجر وبقي طويلا بعيداً عن اهله، أجابت باستغراب: كيف ... إنه ليس من ذلك النوع. وقالت إنه يتَّصف بالهدوء والسكينة والاخلاص مع استعداد دائم، عندما تراه يخيل إليك أنه يتهيأ للقفز، حليم في تعامله إلا إذ استثير؛ فاذا غضب تحوَّل الى وحش كاسر. يحسن الاصغاء مثلما يحسن الكلام. خبر الصحراء وهو فارس، يحب الخيل كأنما ولد على ظهورها، دقيق الملاحظة، بارع في التصويب واستخدام البندقية.

وقال عنه اعداؤه، أعداؤه من الايطاليين الذين عرفوه في معارك الجنوب والقبلة، إنه كالذئب يشمُّ الارض ليعرف ما تحتها، وكالنمر في تحفزه وقفزه، ولا يمكن التكهُّن بنواياه،

وهو مخادع وحذر لا يفصح عن خططه ولا يستطيع أحد اقتفاء أثره أو أن يعرف طريقه أو يأمن جانبه. يظهر في عينيه بريق حاد ونفاذ يشعّ بما ينمُّ عن مَكْر وسعة حيلة، وعلى وجهه النحيل المتناسق التقاطيع تبرز غالباً ملامحه التي تشبه في حدتها ملامح العقاب والتي تضفي عليه وقاراً وهيبة، وهذه آتيه من أصله العربي النجدي، له لحية مدببة خفيفة تظهره كناسك.

وقال عنه صاحب كتاب (القبلة) العقيد (بيلاردينيللي) ما يلي:

الشيخ سالم بن الحاج عبد النبي الناكوع (من الغناني) زعيم مرموق للزنتان الرحَّل، وهو رجل حاد الذكاء رغم أنه أُمِّيّ، جريء وشجاع وذو طاقة وحيوية هائلة فضلا عن قدرته الفائقة في تنظيم المحلات. وهو دائما على استعداد للكفاح حيثما كان هناك دافع لذلك، وكلما سنحت الفرصة للغزو والسطو. ويقول العرب عن هذا الرئيس انه (زي الغراب وين فيه جيفه يشمها). في العهد التركي كان له نشاط مشبوه في دواخل القطر ظلت تطارده السلطة التركية بدون هواده ولكنه استطاع دائما ان يفلت منها رغم المكافأة السخية التي خصصتها تلك السلطات لمن يقبض عليه او يمكّنها من ذلك، واسمه الذي كان مجهولا حتى وقت احتلالنا برز فجأة عند اقتحام (قارة) سبها، في شهر نوفمبر سنة 1914م الذي كان هو مدبره ومنفذه، كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بأسرة السني ولم يتوقف ابدا عن محاربتنا وانشقاقه عن الحكومة، هكذا قال أولئك وهؤلاء ...

ولاننا لا نريد الاطالة في التقديم، نقول : إن الشيخ سالم كان متمرِّداً رافضاً، متمرداً من أجل الحق والحرية، ورافضاً للظلم والاستغلال عاش في صحراء ليبيا الواسعة فعشق الحرية، وكان أبيًّا مقداماً كريماً مثل صحرائه، ولأنه كذلك فقد عانى هَوْل الحبس والسجن وألم الغربة وبُعد الأهل. لم يكن خاضعا منافقاً ولا رعديداً في دنيا كانت وما زالت تطعم السمن والعسل للمنافيق والرعاديد والعبيد المزمِّرين، وكان لبنة في بناء تاريخنا الشامخ وبطلاً صنديداً من أبطال ليبيا. كان متعدِّد المواهب بالغ القدرات، شاعراً مبدعاً وفارساً مغواراً، شغل وشغف بحمل البندقية وقد استخدمها كأحسن ما يكون الاستخدام، فقد كانت سلاح الحق والدفاع عن الشرف والارض، وعلى كل حال، فكما أن الحياة ليست كلها طمأنينة وسعادة وهناء وجمال فإن التاريخ ليس كله مآسي وحروباً وشناعة وقبحاً.

في الأولى جمال

وفي الثانية مجد

ولذا فاننا نبحث في ثنايا التاريخ آملين الوصول الى ما يعنيه التاريخ من مجد وما تعنيه الحياة من جمال.

وعلى الله الاتكال وهو القادر المعين

عبد الوهاب محمد الزنتاني

الزنتان في 23 يوليو 1992م

لا يعاب على ابن البادية الذي يعيش في الصحراء
المغامرة وعشق الفروسية، لأنه كذلك بفطرته مغامر يعشق الفروسية والحرية؛
فالاولى تمثل الرجولة
والثانية مثل الصحراء بلا حدود

1

الفصل الأول

على درب الحياة المولد والنشأة

ولد سالم من أبوين ليبيِّين من قبيلة الزنتان وهما: عبد النبي بن علي الناكوع الغناني الزنتاني والسيدة سدينة البكوش الزنتاني.

وقد وقعت ولادة الطفل سالم في شهر يناير 1867م بمنطقة تقع جنوب الزنتان بمسافة ثلاثمائة كيلومتر وتسمى القرية الغربية، وعائلته الغناني. وكما حدث في الهجرات العربية وتحوّل القبائل أو نزوحها من الشرق الى الغرب جاءت قبيلة الزنتان في بداية القرن الحادي عشر الميلادي، وهي قبيلة من عرب الحجاز فخذ عوف فرع بني سليم، وقد انتقل هؤلاء مع العرب الذين غزوا ليبيا وقتئذ وكان يقودهم السيد الحسن بن المحسن الحجازي النجدي (وهم من وادي دواشر في منطقة نجد) وكان لهذا الرجل أربعة أولاد وهم: ابو الهول، ابو القاسم، سليم، محمد.

ومن أبنائه واحفاده هؤلاء تكوّنت قبائل الزنتان الحالية والتي استوطنت بلدة (تاغرمين) في الجبل الغربي ومنها انتشرت في مناطق الوسط والجنوب، وتربّى سالم بن عبد النبي في بيئة بدوية وبين عشيرة تمتهن الرعي والزراعة، وهي عشيرة محافظة الى ابعد الحدود على التقاليد البدوية ومتمسِّكة بالدين الاسلامي الحنيف، ونظرا لعدم وجود مدارس أو تعليم بالمعنى المعروف في تلك المنطقة فقد انتظم سالم مع عدد من أقرانه لدى (فقيه) يعلم القرآن الكريم، إلا أنه لم يكن ميَّالاً الى الانتظام في المدرسة، وقد حفظ سوراً من القرآن، لكنه انصرف الى الرعي وحياة الصحراء، وكان منذ ذلك الوقت المبكر مغرما بحياة الصحراء وركوب الخيل. وعندما بلغ عمره أربع عشرة سنة كان قد برع في استعمال البندقية وإصابة الاهداف بدقة وسرعة عجيبة،

وبذلك يكون قد عدّ رجلا، وبدأ التفكير في البحث له عن زوجة إذ كانت حياة أهله حينئذ كبقية أهل الصحراء تتمثَّل في أن الرجل لا بد أن يملك فرساً ويجيد استعمال السلاح ثم يتزوّج، وهم عادة ما يتزوجون في سن مبكرة ذكوراً واناثاً على السواء.

وكان سالم هذا متوسط القامة، ضيق المنكبين والصدر حاجباه عريضان ووجهه ذو شعر كثيف، عيناه سوداوان حادَّتا النظر زاخرتان بالحيوية، انفه معقوف قليلا بحيث يضفي على وجهه مع تينك العينين وقاراً وحزماً. كان يحب النظام، فهو برغم حاجياته القليلة من ملبس وغيره إلا أنه كان يضع كل شيء في مكانه. يصحو باكرا لأداء صلاة الفجر. لا ينام كثيرا. اذا رغب شيئا لا يهدأ حتى ينجزه. كان صديقاً صدوقاً، يثور وينتقم إذا اتّصل الامر بأخلاقه أو شرفه وكرامته، وإذا كره يظهر ذلك الكره بشكل مثير، وعندما قرأت قصيدته التي يقول مطلعها:

* صالح وسيده والحبيب الداني *

وكنت أعرف أن صالح هو ابنه الاكبر الذي اعتقله الايطاليون عندما لم يستطيعوا القبض على الشيخ سالم و(سيده) وهو عمه أي شقيق سالم، ولم اكن اعرف ماذا يقصد بالحبيب الداني، فقد تصورت أنه يقصد (زوجه) ذلك أن كبرياء هؤلاء الرجال يمنعهم من الحديث عن أزواجهم، وهذا ما ذكرته في كتابي «حقيقة معارك الدفاع عن الجبل الغربي». إلا أن الحقيقة هي أن الشيخ كان يشير بكلمة الحبيب الداني الى صديق عمره الحاج (حمد المحروق الزنتاني) الذي كان رفيقه في الطفولة والشباب والجهاد وكان أقرب الناس الى عقله ومن أعز أصدقائه، وقد تركه معتقلاً في سجون الطليان عندما غادر البلاد، وقد عرفت ذلك من ابنه الحاج صالح عندما التقيته خلال شهر يناير 1993م وكنت وقتئذ اجمع المعلومات لهذا الكتاب.

وربما يكون مفيداً قبل أن ندخل في تفاصيل بطولات وجهاد هذا الرجل

أن نرسم صورة له من خلال ما سمعناه من ابنيه اللذين التقيناهما في القرية وهما صالح والمهدي، وكان الثاني رفيقاً لوالده طيلة فترة غربته في تونس التي استمرت أربع عشرة سنة، بينما كان الأول معتقلاً لدى السلطات الايطالية، ولقد أردت أن أبدأ بما ذكره أبناء الشيخ سالم لأنني أعتبره ردًّا بليغاً على مغالطات القشاط في كتابه (معارك الدفاع عن الجبل الغربي) الذي قال فيه إن الشيخ سالم كان على وفاق مع كلب السيد (هاشم الزوي) وكان ينفذ أوامر عابد السنوسي وأن أحمد الصيد وعلي الشنطة قد استقطباه للتعامل مع الطليان حيث أرسلاه الى القبلة لدعوة الناس للتسليم!!! يقول الحاج صالح ابن سالم:

بعد ان استولى الايطاليون على أغلب مناطق الجنوب وتعبت الناس من القتال وكان ينقصها الزاد، والطليان يشدّدون الحملات، كان والدي يقود آخر حملة من المجاهدين، وكان قد اتجه بهم الى الغرب، ولكن الظروف كانت صعبة، وقد لاحظ ان الناس والابل وبقية المواشي قد تموت في الطريق، وأحسَّ بمسؤوليته تجاه هؤلاء الناس، فقرّر أن يتَّخذ موقفاً ينقذ به الناس فأعدَّ رسالة الى السلطات الايطالية وكلّفني بنَقْلها الى الحاكم الايطالي في (براك) أعتقد أنه عقيد، رافقني (محمد الاقاري). بعد ان سلمت الرسالة للطلياني أعطاني رسالة منه ردًّا على رسالة والدي، والرسالة كتبها محمد الاقاري وهي موجهة الى مدير (ادري) قال له فيها، سلم لابن سالم بن عبد النبي الشعير والتمر الخاص بأسرة عبد النبي، وسيدي (يقصد والده) ما زال في منطقة الرملة، ما جاش، كان معي ابن عمي (البكوش) وكان معنا بوصاع ابن عمر بورقيبة الزنتاني، بتنا تلك الليلة لدى (الاقاري) وهو الذي كان مرافقاً لنا ويعمل مع الطليان، جئنا للمدير في (برقن) واسمه (محمد التمتام البوسيفي) وأعطيناه الرسالة الموجهة اليه من الايطالي (وكنت قد فتحتها وعرفت ما فيها) غيّر الرسالة خلاف لما كان في رسالة الطلياني وذكر غير ما ذكر الطلياني، قال: سلموا لهم (السانيه) فقط، وعندما قرأت الرسالة قلت له إن

الايطالي قال لي سوف يسلمك المدير كل شيء يخصكم، ونحن (ناسنا) قاعدين في العراء ويحتاجون لكل شيء، وهنا قال لي: اذهب بلا رسالة وغدا نلتقي، سوف ألحق بك.

ذهبنا في اليوم الثاني وكان معي (حصان والدي) وهو الذي ذهبت به من ادري، جاءني واحد حطماني وطلب أن يشتري الحصان وقد بعته له لأنني كنت اريد شراء ما يحتاجه الناس الذين مع والدي. الآخران اللذان كانا معي لديهما جملان، واشتريت دقيقاً وغيره وذهبت الى (ادري). جاءني التمام البوسيفي وأعطانا بعض القمح والشعير، واشترينا تمرا، ثم غادرنا وذهبنا الى أهلنا. وعندما وصلنا بئر (أنسف) وجدناهم عائدين، وهم كثار جدا أولئك الذين كانوا مع والدي ومن مختلف القبائل، طبعا كانوا في (الرملة)، وكان من المتفق عليه أن يذهبوا الى تونس. ولكن قبل الحدود التونسية اجتمع بهم الشيخ سالم بن عبد النبي وقال لهم إن الايطاليين لا يطلبونكم كلكم وانما هم يطلبون ثلاثة او أربعة قد يسجنونهم او يعدمونهم ومن رأى أن تعودوا الى ادري ثم تذهبون الى الشاطئ وأنا سوف أسلم نفسي للحكومة وكيف ما يحدث يحدث. وهكذا حدث فقد وافقوا بعد بعض المناقشات وعادوا الى أدري.

وجه والدي رسائل أخرى بينما كان في بئر (أنسف) لترسل الى القريات وكانت مع أخيه ابراهيم بن عبد النبي وآخرين، وجاؤوا الى القريات وكانت معهم إبل، باعوا تلك الابل واشتروا ما كانوا محتاجين اليه ثم عادوا. ولا اعرف بالضبط ماذا كان بالرسائل، ولكن الايطاليين جهزوا سيارات وعساكر واستعدادات وجاؤوا بالسيد عبدالله بن الامين البوسيفي كمبعوث منهم ليرافق عمي الى والدي، وليتحدث الى أولاد بوسيف لأنه منهم، وذكر أن الايطاليين يطلبون تسليم السلاح، وهكذا جمع السلاح ووضع على ظهور الإبل. وبعدها نقلوا والدي ومعه بوجبيرة، وهو عالم من أولاد بوسيف، معهما سلاحهما الى القرية، وبعد مجيئهم الى القرية بقوا بعض الوقت، يمكن يوم أو يومين.

بعد ذاك نقل والدي في سيارة ومعه حمد الصيد والسيد البدوي. والاخيران طلب منهما مرافقة والدي الى بيته ولم يكن معه إلا (برنوس وفراش بسيط) وعند وصولهم ذهب كل منهم الى بيته وبقي والدي في البيت عدة أيام كان يأتيه كل يوم من تلك الايام ضابط إيطالي. وبعد ايام قالوا له إن الوالي يريده فذهب معهم الى مزده أولا، وفي مزده جاءه عدد كبير من الناس لأنهم يعرفونه، ثم نقل الى طرابلس وأبقوه هناك مدة طويلة وكان موقوفاً في مركز شرطة يسمى (بوسته). لم يكن مسجوناً بمعنى السجن ولكنه في المركز مع العساكر.

وبعد مدة جاءه (خليفة الجحيشي) وهو عسكري مع الطليان برتبة ما، وقال له: إن القائد يريدك يا شيخ سالم. فردّ والدي قائلا: لقد كنت أنتظر ذلك. وعندما دخل مكتب القائد الايطالي قال له ذلك القائد وكان يقلِّب في الملفات الكثيرة وقد عثر على ملفه: هل أنت الشيخ سالم بن عبد النبي؟ فقال: نعم. قال له: هناك أوراق كثيرة في ملفك ومعلومات كثيرة لدى الحكومة، ولكن الآن نريد العفو عنك. وعندما خرج من لدى ذلك الضابط أعيد مرة ثانية الى نفس المركز، وبقي مدة أخرى، ولما لم يأتِ اليه أحد طلب رؤية الجحيشي وقال له: إنني أريد مقابلة الوالي لأمر هام، وهكذا حدّد له موعداً مع الوالي.

ولما قابله قال له: أنا الآن بين يديكم وأريد أن أبدأ معكم صفحة جديدة، ولقد فكرت كثيراً وقرَّرت أن أسلِّمكم الأسلحة الموجودة لديّ، فردَّ الوالي قائلا: هذا كلام جيد، ولكن أين توجد الأسلحة؟ فقال له: إنها في ادري، فردّ الوالي: إذن اكتُبْ رسالة لابنك كي يسلم الاسلحة. فقال: إن ابني لا يعرف اين توجد تلك الاسلحة. قال الوالي: إذن، اخيك. فقال: هو ايضا لا يعرف مكانها. قال الوالي: هل يجوز أن نصدق أنّه لا أحد يعرف أين يوجد السلاح؟ فقال والدي: لا أحد غيري يعرف أين يوجد السلاح.

ولقد حاول الوالي بكل الطرق دون جدوى، وكنا نحن معتقلين ومكبَّلين

بالحديد فجاؤونا يسألون ولكنهم لم يحصلوا على شيء، ولهذا نقلوا والدي بالسيارة من طرابلس الى الخمس ثم وصل (القارة). وعندما وصل القارة سمعت أنهم أدخلوه هناك وقالوا له: أرينا كيف استطعت أن تقتحمها. فقال للضابط الايطالي: منذ متى أنت هنا؟ اجابه: منذ حوالي سبعة شهور. فقال والدي: ألم تجد أحدا تسأله هذا السؤال غيري طيلة هذه المدة؟ فقال الضابط: إنما أنت كنت القائد. فأجابه: أعتقد أن الحكومة عفت عن الماضي. ومن هناك نقلوه الى (براك). وكنت أنا وعمي مسجونين في مكان غير الذي سجن فيه المجاهد حمد المحروق. انا وعمي كنا مسجونين في براك والمحروق في القارة، وأسباب ذلك يقال إنه لاجل قتلنا ونحن بعيدون عن بعضنا. جاءنا والدي ونحن في السجن، ولكن قبل أن يأتي كانوا قد نقلونا الى حجرة أخرى ووضعوا فيها فراشاً نظيفاً. وعندما جاءنا سلم علينا ثم نقلوه الى (أدري) طلب ان يطلقوا سراحنا. إلا أنهم قالوا له: ليس قبل تسليم السلاح المخبأ، ولهذا يجب ان يبقوا في السجن الى ان تسلم السلاح وتعود الى هنا حيث يتم إطلاقهم. وعندما ذهب معهم الى (أدري) قالوا له: إن هناك أمرا بان تذهب أنت وكل العرب الذين معك الى (براك). فقال: لا بأس، ولكن لا استطيع السفر عبر الشاطئ لان لديّ حيوانات كثيرة ولا يوجد في الطريق مرتع، ولكنني أرغب السفر عبر (زلاف) فقالوا له: لا مانع من ذلك، وقرر أن يبيع بعض الحيوانات.

وعندما جهز نفسه جاء الى الضابط الايطالي المسؤول وقال له: أنا جاهز للسفر. وهكذا أعدوا له الحراسة اللازمة وتقرر أن يسافر الى براك عن طريق زلاف، وكانت له مزرعة قريبة من البلاد. وهناك أعد بواسطة الرجال الذين معه الاكل والشرب، وقال لحراسه: غدا نسافر، والآن استريحوا. وامر بذبح شاة وإعداد الشرب المطلوب، وعندما تركهم في المزرعة وكان رفاقه قد أعدوا الإبل والماء اللازم اتجه فوراً في الطريق الى تونس، ولم يكن لديه أو رفاقه أي سلاح وقت مغادرة المكان، وكانت لديه اسلحة في مكان يبعد

مسافة خمسين كيلومترا، وفي طريقهم مروا على حمد بن عبد القادر الزنتاني وقالوا له: إنك اذا بقيت سيتعبونك الطليان لأننا مررنا عليك، فقرر مرافقتهم.

وفي اليوم الثاني وصلوا المكان الموجود فيه السلاح، وهناك تجهزوا بالسلاح اللازم الذي لم يكن لديهم، وفي هذه الفترة قال والدي:

ابجاه الآه والرسـول افيتـسا	اتنجيـه منهم كيـف مـا نجاني
ايكـروه كـر الدلـو بالسميتـا	ايـزع لبره مـن طـوال سـواني
صالح او عمـه والحبيب اعماهـم	مشينـا افحـال الكـدر خليناهـم
تلفتت ضحضاح السراب غطاهـم	مـا قابلـوا خـوتي ولا جيراني
جـيت مـا لـيّ ايطـول نباهـم	على دوز مكتوب الزمـان رمـاني

حطيت براً قبّلي ثلاثين وجبة مشى دون محلي

او كان حي عالطول الزمان انولى	ساهـل اذا كان الكـريم عطـاني
بـلادي شـهيرة او قصرهـا متـعلى	او قصبة غزال او بنيها رومـاني
او ادّى وهيبه او مركب الورفلى	على ناسهـم يـا موعـر النسيـاني
ريت يا غمـامت خاطـري تجلى	ايجي نصر فاجع ناخذوهم تاني
ويا رجل تبدى في البـلاد اتـطلى	افي كل خرمـه ايلاطـمك زنتـاني

ايلاطمك يساير عقاب خيلهم مثل القطا اللي طاير

اطـرب ليـا جاهـم كـلام ندايـر	ربـاط يصبـح وراء الحيـواني
او في كل وطـن امعقـبين جرايـر	مع انـا امـنين الصـرى واتـاني
ويا ما المخليين مـن بنـات حرايـر	حزينـات واينوحـن كا نوحـاني

حطيت قور الميدا تقاصيت وابلادي عليّ بعيدا

مكاتـيب صـالح حاربـوه أفسيـده	او حازت عليه احكومة الطليـاني
والقفـل يصبـح والسلاسـل فيـدا	اوقـاف بالسيقني عـليهم تـاني

صالح او سيده والحبيب الداني

مشينا افحال الكدر خليناهم

صبرت صبر اجمال عالفرقاهـم	اصـرمّ علي الغـزل ويش انعـاني

ليا دومسو ليا م شين صداهم دريـاق ولت بسـرة الفـزاني
ثـلاثين وجبـة مشـى طبقناهـم سمار عالغديـد ابنومهـم مـا جـاني

وفي طريقه عندما وصل (عوينة ونين) التقى بعض الناس بينهم السني الاحمر وقد سألوه فقال إنه لم يجد في فزان تعليمات الوالي، ولهذا فهو في طريقه الى الطابونية ليترك الإبل هناك وبعدها يذهب الى طرابلس، ونصحهم أن يبلغوا السلطات الايطالية في (ونزريك). وهكذا فعلوا؛ فقد قالوا انهم التقوا الشيخ سالم في الطريق وقال لهم انه في الطريق الى الطابونية ومنها الى طرابلس، وقد انطلت الحيلة على السلطات هناك وقد تمكّن من دخول تونس دون ان يلحق أو يعثر عليهم أحد رغم كل الامكانيات التي التجأت اليها واستخدمتها السلطات الايطالية بعد ان عرفت بانه اعتزم الخروج الى تونس.

انتهى كلام الشيخ صالح بن سالم بن عبد النبي.

ونسأل ابنه الثاني الذي كان قد رافقه في الرحلة كلها وبقي معه إلى أن عاد من تونس الى أرض الوطن. إنه الحاج المهدي بن سالم بن عبد النبي، فيقول:

عندما دخل الشيخ سالم الى الحدود التونسية لم تكن هناك اتصالات بينه وبين السلطات الفرنسية، إلا أنهم بالتأكيد كانوا يعرفون عنه الشيء الكثير، وقد تواصلت جمعية التوادد بين المجاهدين الطرابلسيين مع الشيخ سالم بعد وصوله الى تونس مباشرة. وكان الشيخ سالم دائم التنقل بين تطاوين ورمادا ودوز. والذين دخلوا تونس كانوا اثني عشر رجلاً مسلحاً، منهم والدي الشيخ سالم، والحاج البكوش بن إبراهيم وموسى الصعيفي، والمهدي الدنقوز، وعلي بن يونس، واثنان من العبيد وشقيقي أبو بكر وانا، وهؤلاء كانوا معنا منذ غادرنا ادري. وكان الشيخ سالم قد استشار عددا من رفاقه منهم الحاج البكوش والمهدي الدنقوز والشيخ علي، وعندما تقررت المغادرة رأى الشيخ سالم ألا يأخذ معه أحداً من بناته او زوجته لانه قال: إننا ربما نموت في الطريق.

كنا نسير بين سيناون ونالوت، تبيّن لنا أن الايطاليين يرابطون في الطريق. وقد أوقفنا الإبل وكانت (متحفية) تماما (بمعنى ان الابل قد ادمى خفوفها السير)، ولم يبق لدينا ماء، والمياه التي كانت لدينا مالحة جداً ومرة، إلا أنها تساعد على تبليل الشفاه، ولم يبق لدينا أكل على الاطلاق، إذ كان لدينا بعض الدقيق الابيض الذي كنا نخلطه بالماء ونأكله ظهيرة كل يوم، والطقس كان شديد الحرارة والريح قبلي. وهكذا فقد كان أحد احتمالين لا بد أن يحدث: إما أن نقتل بواسطة الايطاليين أو نموت بالعطش، وكان الموت عطشاً اهون.

سلك الشيخ سالم وادياً قريباً، وبعد برهة تبين أن به بئر ماء، وأن لم يكن كافيا لنا وللابل إلا أنه بعث فينا الامل، وقد وصلنا بعد صعوبة كبيرة. وكان اول مركز حدودي وصلنا اليه في تونس قد استقبلنا الناس الذين به بحرارة ووفروا لنا الماء والاكل، ثم جعلوا لنا حرساً ليرافقنا الى المكان الذي نريده. وطلب الشيخ سالم أن يقيم في المكان الذي يقيم فيه أهل الإبل والغنم. وهكذا أقمنا في أراضي المرازيق وأولاد يعقوب وغيرهم من العرب، وكنا نتنقل بين تطاوين ودوز.

ومرّت السنوات الاربع عشرة، لم يدخل خلالها الشيخ سالم المدن. وقد رجع بعض الذين كانوا معنا ولم يبق إلا أنا ووالدي بينما توفي أخي أبو بكر. وفي السنوات الاخيرة صعبت المعيشة، حتى أنني أضطررت الى العمل مع الفرنسيين كعسكري، وعندما انتهى حكم الطليان رجعنا، وكان الشيخ سالم قد اختير رئيساً شرفياً اثناء وجوده في تونس لجمعية التوادد الخاصة بالمجاهدين الليبيين وكنا جميعاً نعرف باسم (الطرابلسيين). في العودة جاء عن طريق درج ثم وادي حركات حيث أقمنا عدة أيام وقد رفض أن يعود الى القرية مباشرة حيث توجد أسرته، وبعد بحث ونقاش طلب مني أن أعود الى القرية بينما ذهب هو الى أدري.

جاء الى القرية في آخر أيامه ومات بعد عودته مباشرة أي بعد أقل من

شهر من عودته، ودفن في القرية الغربية. عاد سنة 1944م و لم يمرض طويلا وكان حتى يوم وفاته قادراً على استعمال البندقية بشكل جيد.

انتهى كلام الابن الثاني للشيخ سالم بن عبد النبي.

ثم جاء دور أحد أحفاد الشيخ سالم، قال:

اسمي علي بن يونس عبد الرحمن الناكوع. وبدأ الحديث عن الرحلة الى تونس، فقال:

قبل أن نُغادر الى تونس سمعنا بالاعلان الذي أصدره الوالي الايطالي او الحاكم الايطالي، وأظن ان اسمه (بادوليو)، والذي يطلب فيه من المجاهدين الاستسلام. فبدأ الشيخ سالم وآخرون يعملون على القيام بعملية جهادية يمكن أن تعتبر ردًّا على ذلك الاعلان. ومن هنا قاموا بعملية علاق، ولقد كنت أحد الحاضرين لتلك المعركة، وقد جرت في شهر ابريل 1929م. ومعلوم ان الايطاليين ردُّوا ببعض العمليات العسكرية منها واحدة على القرية وكأنها كانت موجهة الى الشيخ سالم الذي كان يعيش في القرية وقد ولد فيها ايضا كما هو معروف. وعلى ما اذكر كانت المعركة قد بدأت حسب ما قال الشيخ سالم أي إنه هو الذي خطط لها، وكان في تلك المعركة قادة آخرون، وكان هناك فكيني وعلي بن حسن وغيرهما، (وقد صحح قائلا): فكيني الذي اقصده هو (الامين).

كانت المسيرة كما يلي: كنا نمرّ في الحمادة، وبئر الغزيل ثم سوينة الرجل لأن الشيخ سالم قال إننا سنجد ناساً هناك وسوف نستطلع الامر. وعندما وصلنا (غرندل) وجدنا ناساً هناك وقالوا لنا إن هناك حملة من الطليان على (علاق) — المقصود (بئر علاق) — ويمكن يكونوا حوالي خمسين فارسا أي خيالة (50 سرز). فقال الشيخ سالم: هذا نهار مبارك وارسل الامين فكيني والبكوش بن عبد الرحمن للاستطلاع. وقد ذهبا وعادا ليؤكدا وجود الايطاليين، وقال الشيخ سالم: نهاجمهم بعد منتصف الليل أي قرب الفجر

حيث نباغتهم. وعندما ذهبنا إليهم أحسوا بنا، كانت لديهم خفارة، حراس، وقد نبهوهم ولهذا تحصنوا في الحفر التي كانت معدَّة لهذا الغرض حول الموقع وقد قاتلوا ببسالة. وقتل في المعركة عشرة من المجاهدين كانوا من الزنتان والرجبان والمشاشي وغيرهم، وجرح عشرون مجاهدا. ثم استولينا على الموقع وأسرنا مَنْ كان حيا.

كان المجاهدون الذين قتلوا حسب ما اذكر هم: حمد محمد البكوش وجمعة المحروق من الزنتان، وولد التائب والتومي القريد من الرجبان وآخرون، وقد استسلم (بيالا) ومعه اثنان آخران أخذهم عمر بن الفلّوس الرجباني، وكان من المقرر أن يقتلهم إلا أنه قال لهم: سوف أطلق النار فقط ولن أقتلكم. وهكذا تركهم. أما الآخرون وعددهم ثلاثة فقد قتلهم المحروق على الفور لان ابن عمه كان قد قتل في المعركة، والحقيقة أنهم في بداية الهجوم قاتلوا بشجاعة (هناك الرجال). ومن هناك ذهبنا الى (قرارة غريندا) وهناك تقاسم المجاهدون الغنائم.

وبعد ذلك تقرر أن يسلك الفرسان طريق الحمادة، أما المشاة فيسلكون طريق الملاّحة لملء القرب بالماء، ثم يتم اللقاء في (هبيط التمر). الفرسان كانوا يستطلعون المنطقة، وقد ذهبوا حسب الاتفاق، وذهبنا نحن الى الملاّحة، والتقينا في اليوم الثاني. وهناك كان البعض يطالب بمهاجمة مزدة، فقال الشيخ سالم: أنا لا أوافق على هذا الرأي. وحدث الخلاف. فاتجهنا نحن مع الشيخ سالم الى فزان، والبقية اتجهوا الى (قرعات الحطب وبو القلوب). وهناك هاجمتهم الطائرات الايطالية، وكانت المعركة غير متكافئة، طائرات وأسلحة وجنود. فانهزم المجاهدون وكان الشيخ سالم قد تنبأ بذلك.

وبعد معركة علاق (بئر علاق) رجع البعض الى الجبل والبعض الآخر الى القرية، والذين عادوا الى القرية استقروا هناك. وبعدها عين حمد الصيد مديراً للقرية وكان ضمن العائدين الى القرية. البعض الآخر، زنتان وورفله ورجبان وآخرون سلكوا طريق وادي الآجال. ونحن مع الشيخ سالم ذهبنا

الى الرملة عن طريق ادري وبقينا هناك سنة كاملة (حول) أي إن الطليان لم يعرفوا عنا شيئا ولا عرفوا مكاننا إلا بعد انقضاء سنة كاملة. وكانوا يسألون عنا بالطبع. ونحن بقينا في (بوعيشه) (كنا نجوع والناس كثيرة). كنا بين (بو رحا وبو جرارة ووبو خوسة ثم دنباو). علمت ايطاليا من خلال عيونها الكثيرة في البلاد بوجودنا في الرملة فأرسلوا الى هناك (حياة سي خليل)، ولا نعرف ما اذا كان (يقبض) من الطليان ام لا، وبقي معنا يومين او ثلاثة، لم يبق مع الناس ما تأكل بعد إقامة سنة كاملة في الرملة ولم يكن يأتينا أي شيء من أي مكان.

ومعروف ان الرملة تمتد من (دنبابا الى انسف هناك بوعيشة وبوجرارة وبوخوسة ثم دنبابا ثم أنسف) وأنسف قريبة من تيسان الواقعة قرب (عوينة ونين). علي الشنطة لم نره على الاطلاق وكذلك حمد الصيد في ذلك الوقت. بعد ما علمت إيطاليا بوجودنا في الرملة جاء حمد الصيد ومعه ضابط إيطالي. عندما وافق الشيخ سالم كان قد وافق على تسليم السلاح لأن الناس لم يعد لديها أي أكل، وكان قد أرسل يقول لهم نلتقي في مكان حدده هو وكان في (عوينة اللقي) وهي تقع غربي (عوينة ونين). هناك نصبت خيمة، وجاء حمد الصيد والسيد البدوي والضابط الايطالي، وقد اجتمع هؤلاء وتم الاتفاق على تسليم السلاح والاتفاق على ذهاب الناس الى (أدري). أما الشيخ سالم فقد طلبوا منه أن يذهب معهم الى طرابلس. وهكذا نقلوه من عوينة ونين الى القرية وبعدها الى طرابلس، وبقي هناك.

أما نحن فقد رجعنا الى الشاطئ، وقام الطليان بتجميعنا في (قرباجة)، وأحاطوا بنا من كل جهة. كانت لدينا إبل كثيرة. وبعد فترة وصل ضابط إيطالي ولم يكن ممكناً لأحد أن يتحرك من مكانه، ولم نكن نعرف لماذا جمعونا في ذلك المكان بعد أن تركونا، ولا لماذا وضعونا في ذلك المكان. بعد ذلك نقلونا الى قرب (حطية الويه) قرب أدري. توقفنا هناك وقاموا بجمع الرجال ونقلوهم الى المكان الذي يوجد في الضابط الايطالي، وأخذونا

نحن الستة من الناس ووضعونا قرب نخلة في مواجهة الشمس. وكنا: أنا والبكوش بن إبراهيم وواحد سبيحي ومحمد بن سالم وعبد الحفيظ رأس الثور وآخر، أي إننا خمسة من الزنتان وواحد من ورنزه. وقد طلبوني أنا الأول وقالوا لي: أين السلاح الخاص بالشيخ سالم؟ فقلت: إنني لا أعرف إلا الإبل. فقال الضابط: إطرحوه على الارض جنب النخلة واجلدوه خمسين جلدة. وقد فعلوا. وبعدها وقفت وسألوني مرة أخرى: أين السلاح؟ فقلت: لا أعرف. وهنا أتوا بالورنزي وسألوه نفس السؤال: أين سلاح الشيخ سالم؟ ولأنه لا يعرف فقد طرحوه أرضا وجلدوه خمسين جلدة. وفي المساء نقلونا نحن الستة الى (أدري). وعندما وصلنا كبلونا بالحديد، وكان من المقرر نقل كل الرجال، إلا أنه حدث فجأة أن تم الاتصال بهم من طرابلس حسب ما علمنا وقالوا لهم: سوف يأتيكم سالم بن عبد النبي. واتضح أنه قال لهم إنه لديه سلاح مخبأ ولا يعرف مكانه أحد إلا هو ويريد تسليمه لهم، وكان يتكوّن من رشاش ومدفع وستة صناديق من الرصاص، ولولا أنه ذكر لهم أنه الوحيد الذي يعرف مكان السلاح وأرادوا نقله الى مكان ذلك السلاح لكانوا قتلوا الجميع.

وعندما جاؤوا بالشيخ سالم ذهبت معه وقد سلمنا السلاح ورجعنا الى (قرباجة)، وكانوا يأتون كل يوم الى الشيخ سالم. وبعد فترة نقلونا الى (حطية الزوائد) وهناك قالوا لنا: اذهبوا كلٌّ الى مكانه. وأخذوا خمسة وعشرين جملاً لانهم قالوا إن الحكومة تريدها لنقل المؤن حيث لا توجد سيارات للنقل. وقد رغب أغلب الناس الذهاب الى (ونزريك) لانهم لا يريدون البقاء قرب (أدري). كان المحروق وإبراهيم وصالح ما زالوا في السجن (المجاهد المحروق هو رفيق الشيخ سالم، وصالح هو ابنه، أما ابراهيم فهو أخوه) وكانوا قد قالوا للشيخ سالم: إن الحكومة تريد أن تنتقل الى (براك) بكل مَنْ معك. ويظهر أنهم كانوا لا يقصدون في الحقيقة (براك) وانما الى معتقل في مكان آخر. وقد حاول كثيراً أن يتملص منهم إلا أنهم أصروا. ولما يئس قال لهم:

لا مانع لكنني ارغب في بيع بعض المواشي. وكان القديري يرغب الذهاب مع الناس الذين ذهبوا الى ونزريك لكن الشيخ سالم وقد انتوى شيئا في ذهنه طلب منه البقاء معه، لأنه كان يعرف أن القديري يعرف الطريق الى (تطاوين) فوافق على البقاء. وكنت معه أنا وشخص آخر ورنزي، وقد طلب مني أن أجهز كل شيء للرحيل.

غادرنا المكان وكانت لدينا إبل كثيرة وقد مررنا على الفقي حمد فقلنا له: ليس أمامك إلا الذهاب معنا لأن الطليان سوف يقبضون عليك اذا بقيت بسبب أننا مررنا عليك في الطريق. وكنا نريد الذهاب الى المكان الذي فيه البنادق ولا أحد يعرف المكان غير الشيخ سالم نفسه، كانت البنادق مخبأة وهي عشر بنادق وكثير من الذخيرة. وعندما وصلنا المكان أخذنا السلاح وتجهزنا ثم توكّلنا على الله متجهين الى بلد آخر. علمت أن هناك حراساً وكانت هناك إجراءات مراقبة، إلا أن الشيخ تخلّص منهم وربما لم يكونوا يعتقدون أنه يمكن لأحد أن يفلت منهم.

خلال اليوم الثاني كنا في (عوينة ونين). هناك توقفنا قليلا وكانت معنا إبل تخص المحروق، فطلب الشيخ سالم فرزها عن الإبل الأخرى، وبعد ذاك تركها مع راعيها لانه قال: لا لزوم لان نأخذها معنا. قابلنا في الطريق بعض الاقارب وأناس آخرين فقال لهم الشيخ سالم: عندما تصلون بلّغوا السلطات الايطالية أنكم التقيتم بنا وأننا قلنا لكم إننا نتجه الى القرية ومنها الى طرابلس لانني أريد مقابلة الوالي هناك. ومن هناك اتجهنا رأسا الى الملاّحة التي وصلناها اليوم الثالث. في الملاحة تجهزنا بالماء وهو مالح ومر، ومنها سافرنا ولم نتوقف الا في اليوم التالي، وفي اليوم الذي يلي ذلك لم نتوقف ابدا لان القديري وهو الذي يعرف الطريق قال لنا: لا يجب أن نتوقف لأن الطريق الرئيسية ليست بعيدة، وكان الجو في غاية الحرارة. لم نتوقف لمدة ثلاثة ايام كاملة ولم يبق لدينا ماء كافٍ، وكنا نسير طول الليل.

وعند انبلاج فجر اليوم التالي توقّفنا لأداء صلاة الفجر. وبعد أن أشرقت

الشمس تراءت لنا نقاط المراقبة الفرنسية في الحدود التونسية. وهناك قال لنا: ها قد وصلنا. وفي الطريق دخلنا وادياً اسمه وادي المنزلة، وكان الماء قد نفذ تماما. فبدأنا البحث أملا في أن يكون بالوادي ماء. ولكن بعد بحث طويل لم نجد شيئا. وهنا قررنا أن نواصل المسير لأننا لا بد أن نجد أحدا يدلنا على مكان الماء. وقد حدث أن وجدنا رعاة فسألناهم وقلنا لهم: إننا من طرابلس وقد هربنا من السلطات الايطالية في ليبيا، فدلُّونا على بئر ماء كان قريباً ولم يكن لدينا أي طعام غير بعض الدقيق الابيض الذي كنا نعجنه وقت الغذاء لنتناول منه لقمة. لم يكن الماء وفيراً في البئر. في اليوم الثاني ذبحنا جملا وأكلنا لحمه.

وبعد فترة وصلنا نقاط التفتيش الفرنسية. وكان هناك برج كبير وعالٍ وعدد كبير من الجنود وكانوا يراقبوننا من بعيد، قال لهم الشيخ سالم من نكون ولماذا جئنا ثم قال: لقد جئنا الى السلطات الفرنسية ولها ان تفعل ما تشاء بنا. من الحدود ذهبنا الى منطقة تسمى (القصيرة) وهي سانية حولها عدد من المباني ومركز شرطة، وكانوا قد ارسلوا معنا حراساً. وهناك عاملونا معاملة طيبة ووفروا لنا الماء للإبل وكانت عطشى، وبقينا حتى اليوم الثاني حيث جاء بعض الضباط وقد قاموا بتفتيش ما معنا، ثم نقلونا الى مكان آخر اسمه (الطويلة) وهو أيضا سانية حولها مباني وهناك بقينا.

وبعد ان انتهى الحاج علي بن يونس الناكوع من سرد قصة الشيخ سالم، وهو جده، سألته عن علاقة الشيخ سالم بالسيد علي الشنطة وما اذا كانت هناك اتصالات بينهما عندما كان الشيخ سالم في الرملة، أو عندما كان في القرية. أجاب: ليس هناك علاقة على الاطلاق واذكر أنه عندما كان الشيخ سالم في القرية ذات مرة أرسل اليه علي الشنطة رسالة يقول له فيها (إننا نريد أن نكاتب الطليان) بمعنى انه يطلب الرأي في الاتصال بالسلطات الايطالية اذ بدأ في ذلك الوقت بعض الزعماء يكاتبون الحكومة الايطالية من اجل التسليم، فرد الشيخ علي قائلا: لا، لن اكاتب ولن اتصل، وما بيني وبينهم

الا السلاح الى ان اموت، وبعث قصيدة أذكر منها البيت التالي:

انا ما انقول بنجور وانتم قولوا   نشابحو وين الحكام ايدولو

وبعدها اقسم بالله إن مَنْ يقول أن علي الشنطة قد اتصل بالشيخ سالم فهو كاذب وألف كاذب.

سألناه عن معركة القارة، (قارة سبها التي اقتحمها الشيخ سالم مع المجاهدين سنة 1914م) فقال: لا، لم أكن أعرف عنها شيئاً في ذلك الوقت إلا أنني سمعت من الشيخ سالم بعد معركة (المحروقة) أن الناس تشتَّتت بعد تلك المعركة التي قتل فيها المجاهد محمد بن عبدالله البوسيفي وقد عمل الشيخ سالم على تجميعهم، وانه قال لا بد أن يكون الهجوم في (المفصل) بحيث (نقسم ظهر ايطاليا) ويقصد بذلك (القارة في سبها) وانه عندما اقتحمها كان قد دخل من الباب الغربي وطلب رفع (الأذان) مع اول طلقة رصاص. انتهى كلامه.

نفهم مما تقدم أن الشيخ سالم عندما أخرج من سجنه في طرابلس ونقل الى (القارة في سبها) ثم الى المكان الذي ذكر أنه يخبئ فيه السلاح كان من المقرر أن يعيده الايطاليون الى المعتقل أو ربما الى المشنقة. ولهذا فكّر وادرك ما كان يخطَّط له، وبذكاء وحكمة وحنكة خطط للافلات من حراسه وغادر البلاد الى تونس. كان معه إبل كثيرة واثنا عشر رجلا، منهم اثنان من أبنائه (ابو بكر والمهدي)، وهذان كانا طليقين لانهما كانا صغيرَي السن بينما كان ابنه صالح وأخوه في المعتقل، وانه استبقى معه (القديري) الذي كان يخبر الطريق الى تونس، وانه عندما رجع بعد انتهاء الاستعمار الايطالي لم يرجع مباشرة الى القرية حيث توجد أسرته، وانما ذهب الى (أدري) وطلب من ابنه المهدي أن يعود الى القرية.

وتفسير ذلك أنه لما كان قد غاب كثيراً عن البلاد (أربع عشرة سنة) فقد كان الواجب الديني والوطني يقتضيه أن يعلم ويعرف أولا وقبل أن

يعود الى أهله ماذا حدث لهم ومعهم لكي لا يفاجأ بشيء ولا يضعف أمام أي طارئ قد يكون حدث في غيابه. ونعرف أنه لم يعش إلا قرابة ثلاثة أسابيع بعد عودته الى موقع رأسه (القرية)، وانه بعد أن قاد معركة علاق (بئر علاق) ذهب الى الرملة وبقي هناك مع من كان معه من المجاهدين مدة سنة كاملة ، وقد حدثت معركة بئر علاق في (9 ابريل 1929م). وبعد سنة من تلك المعركة اتصل به المدير حمد الصيد، الذي كان مديراً للقرية، ولأن الناس (المجاهدين) لم يبق لديهم من الزاد شيئاً يمكن أن يعتمدوا عليه في حياتهم، فقد رأوا أن يسلموا السلاح بعد قرابة عشرين سنة من الجهاد والتنقل والمعاناة، وقد كانوا يتنقلون مشاة وعلى ظهور الابل، بينما تتنقل قوات العدو بالسيارات والطائرات. وهكذا حدث لقاء مع المدير حمد الصيد وضابط ايطالي للتفاوض من أجل التسليم، تسليم السلاح للسلطات الأيطالية، ورغم ذلك، رغم تسليم السلاح والاتفاق على عدم معاقبة الناس على ما مضى فقد تم تجميع أولئك الناس بالقوة في أمكنة محددة ونقل الشيخ سالم الى طرابلس (أي إنه اعتقل) ولولا الحيلة التي لجأ اليها عندما ذكر للوالي أن لديه أسلحة مخبأة لكان قد بقي في سجن طرابلس أو ربما كان قد أُعدم. وحتى عندما ذكر أنه لديه أسلحة مخبأة عمل الايطاليون على (جلد) أقاربه الذين كانوا ضمن الناس المعتقلين (تجميع الناس في معسكرات). وهذه سياسة لجأت اليها فيما بعد السلطات الايطالية في كل مكان في ليبيا (ومعتقل العقيلة) قرب منطقة البريقة أشهر تلك العمليات: كانوا يجلدون الناس عند الاستنطاق للحصول على المعلومات عنوة.

والشيخ سالم عندما غادر البلاد لم يكن معه سلاح ولم يحصل على السلاح للدفاع عن النفس هو ورفاقه إلا خلال اليوم الثاني من هروبهم، وأنه عندما كان في الرملة بعد معركة (بئر علاق) لم يوافق على اللقاء والتفاوض مع الايطاليين إلا بعد أن نفذ الزاد من المجاهدين الذين كانوا معه وكان نساؤهم واطفالهم يتضوَّرون من الجوع مهدَّدين بالموت، وهم في ذلك المكان مقطوعون

عن أي انسان في العالم، فلا موارد ولا تموين أو مواصلات بمعنى أنه لا ضرع ولا زرع. كما أن علي الشنطة لم يتصل أو يلتقي به إطلاقا وإنما الذي اتصل هو المدير حمد الصيد بعد معركة بئر علاق وكان مكلفا من السلطات الايطالية، ومن المعروف ان السلطات العسكرية الايطالية كانت تتصل بالمجاهدين عن طريق بعض الليبيين الذين قبلوا بعض الوظائف عندما اقتنعوا بأن القوة العسكرية وحدها قد تنهي الحرب.

وكان الشيخ سالم بن عبد النبي يعرف تماماً ما يحسّ به الناس، هؤلاء المجاهدون الذين زهدوا في كل شيء عندما التحقوا بقافلة المدافعين عن الشرف والوطن والاسلام، ولكن للانسان طاقة محدودة في الصبر على الويلات وخصوصا اذا كان الامر يتعلق بالعائلات، بالاطفال وهم صغار يطلبون الغذاء والماء ولا نقول الحليب. كان يعرف ان الشرائع السماوية أوجبت الدفاع عن الدين والوطن ضد المعتدين والغزاة **﴿انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾** [التوبة 41]. كما أن القوانين الوضعية هي لكل الامم. ويعرف كذلك أن الجنوح للسلم في شرعة المسلمين واجب إذا توفرت النوايا الطيبة، وعلى القائد أن يبحث دائما عن سبل تحقيق أغراض ومصالح أهله وتابعيه بكل الطرق التي يراها، الحرب او التفاوض والسلم. وهكذا استجاب عندما سنحت الفرصة للتفاوض، ورغم كل شيء، رغم ما كان يتهدد الناس من قلة المؤن وجدب الارض فإنه تفاوض من موقع القوة والايمان بالواجب الوطني والديني، كان هو الذي حدد مكان اللقاء وطريقة التفاوض. قال: لقد غلبتم بقوة السلاح، بالعدد والعدّة ولكننا نستطيع أن نصبر، ولقد بقينا في هذه الارض القاحلة، في الرملة، سنة كاملة دون أي مورد ولا مساعدة ونستطيع أن نبقى كذلك مدة أخرى. وهو يعرف أن الطليان لا يمكن أن يتركوه حرًّا ولما تَمْضِ على معركة (بئر علاق) التي قادها سوى سنة واحدة.

قال الشيخ سالم في اول لقاء: لقد حاربت في كل معارك القبلة والجنوب

ومنذ معركة (سواني بن آدم) لم أترك سلاحي ولكني أعرف أن الأهالي لا يمكن أن يستمروا في مقاتلة الحكومة، وأعرف أيضاً أن الذين سلموا أسلحتهم عوملوا معاملة سيئة، وهذا ما لا نرضاه لأهلنا، ولا نقبل اعتقال النساء والاطفال أو احتجازهم في أمكنة محددة لا يغادرونها لأن ديننا يقول ﴿ولا تزر وازرة وزر أُخرى﴾ [الأنعام 164]، ورغم أننا لا نعتبر ما نقوم به وزراً فإننا نقبل بتحمُّل مسؤولية ما قمنا به وإذا ارادت الحكومة أن ترتاح فإننا الآن على استعداد لان نبحث معكم ما تريدون ... هكذا كان اللقاء.

ورغم الوعود فإن الايطاليين ما كانوا ليحافظون على وعد أو عهد، لأن الرجل في نظرهم كان سبب ثورة الجنوب وبالتالي فهو سبب هزيمة جيوش إيطاليا وجنرالها (مياني). ومن الغريب أن نجد أن السيد القشاط يقول في كتابه (معارك الدفاع عن الجبل الغربي) ما لم يقله أحد وينقل أخباراً لا أساس لها من الصحة أو الواقعية عن هجرة الشيخ سالم بن عبد النبي ويقدم معلومات عن عدد الذين اشتركوا في معركة (القارة في سبها) لا نعرف من أين أتى بها، ولعله اعتقد أن الناس قد فقدوا ذاكرتهم عملا بالقول إن أهل البادية عندما يتركون بداوتهم تلين جلودهم وتهن سليقتهم، وبالتالي فقد استعمل جراب الحاوي لاصطناع أحداث لا وجود لها، وتاريخاً لا يقف على رجلين من الحقيقة اعتقاداً منه أن الناس فعلا قد لانت جلودها ووهنت عزيمتها لتنسى وتتقبل ما يستخرج من جراب الحاوي.

ولأنا كنّا سوف نتحدث عن أغلب المعارك والمواقع التي خاضها ومرّ بها هذا المجاهد الفذ، فقد استوجب سَرْد معلومات هذا الفصل أن نأتي على كلام السيد القشاط المتصل بهجرة الشيخ سالم وقيادته لمعركة كانت الفيصل والفاصل بين مرحلتين من تاريخ جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي الذي بدأ في نوفمبر سنة 1911م وانتهى في يناير سنة 1932م. يقول القشاط: سالم بن عبد النبي الناكوع، من الزنتان ويعدّ من رجالاتهم الشجعان، حارب **كغيره** من المجاهدين في المعارك الأولى 1911 - 1912م وبعد معركة الاصابعة

(مارس 1913م) اتجه للقبلة تحت قيادة محمد بن عبدالله البوسيفي. وفي عام 1914م بعد وصول محمد المهدي السني الى فزان انضم سالم بن عبد النبي الى السني **وأمره** باقتحام قلعة سبها (القاهرة) على رأس 220 مجاهدا:

12 (اولاد بريك) يرؤسهم محمد بن احمد
25 (غنايمة) يرؤسهم محمد بن عمر. استشهد
28 (زنتان) يرؤسهم الشيخ سالم بن عبد النبي
30 (حساونة) يرؤسهم الصديق
25 (قوايد) يرؤسهم علي بن حمد
30 (قديرات) يرؤسهم محمد الشويشين وعلي بن صالح
15 (مقارحة) يرؤسهم بلقاسم المخبول
25 (حطمان) يرؤسهم علي الهمالي
15 (زوائد) يرؤسهم خليفة بن محمد

وفي الساعة الرابعة وعشر دقائق صباحا من يوم 28 نوفمبر 1914م استطاعت هذه القوة اقتحام قلعة (القاهرة) والسيطرة عليها.

وقد لمع اسم سالم بن عبد النبي بعد هذه **الحادثة** ... كما حاول عابد إعدامه شنقا ولكن محمد السني استطاع أن ينقذه من الاعدام في (واو) **بسبب الغنائم** التي يطمع عابد في الاستحواذ عليها جميعا.

ولقد ساهم الشيخ سالم بن عبد النبي في معارك الجبل ووصل الى نالوت **واختلف مع ابن عسكر** نتيجة لأن سالم ينفذ أوامر عابد السنوسي **وسجنوا ابن عسكر** بسبب هذا الخلاف .. وكان سالم **على اتفاق حينذاك مع كلب السيد (هاشم الزوي)**

وبعد سقوط الجبل 1922م واستسلام علي الشنطة مع مجموعة كبيرة من الزنتان استطاع الطليان عن **طريق حمد الصيد الزنتاني استقطاب سالم بن عبد النبي الزنتاني** وابن سلمى البوسيفي ومجموعة اخرى وأرسلهم للقبلة لدعوة الناس للتسليم ...

ولكن الشيخ محمد بن بشير البوسيفي هاجمهم وطردهم ... فتراجع ابن سلمى وهاجر الى تونس .. أما سالم بن عبد النبي الزنتاني فوصل الى طرابلس **مستسلماً للطليان فقبضوا عليه واودعوه السجن** ... فلما عرف بذكائه النتيجة المرتقبة له استخدم ذكاءه وخاطب المسؤول الايطالي طالبا منه مقابلة الوالي ليفشي **له سر الغنائم التي تركها الطليان بسبها عام 1914م**، وارسلوا برفقته مجموعة من الجند الى سبها ليطلعهم على المخبأ الذي ترك **به الغنائم** ... ومن فزان تمكن من الهرب بمساعدة الشنباشي محمد بن أمين، فهرب الى تونس ... وبقي هناك الى أن خرجت ايطاليا فعاد الى موطنه القريات ... وتوفي هناك عام **1944**م عليه رحمة الله.

هكذا قال القشاط، ولا حول ولا قوة الا بالله ... قال الله تعالى في كتابه العزيز: **﴿يا ايها الذين آمنوا إذا جاءكم فاسق بنبإ فتبيَّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾** [الحجرات 6].

قال: يا أيها الذين آمنوا ... ترى أيها القارئ الكريم، محاولات الدس والتقليل من شأن رجل جاهد بماله وذريته ونفسه في سبيل الله والوطن، محاولات بائسة مفضوحة، كالقول (حارب كغيره من المجاهدين) أي إنه ليس قائداً مقداماً، ثم نرى القشاط يصف اقتحام (القارة) بأنه (حادثة) وهي العملية الجهادية التي اجمع كل المؤرخين على أنها الفصل والفيصل في هزيمة جيوش ايطاليا وجنرالها (مياني) من الجنوب وعودتهم مهزومين الى الشاطئ بعد ان اسس الجنرال الايطالي (مياني) قيادته العسكرية في (مرزق) عاصمة الجنوب آنذاك. وعندما اقتحم سالم بن عبد النبي مع بقية المجاهدين كان السني قد أمره بذلك كما يقول القشاط!!

ويقول إن العابد كان يريد إعدامه بسبب الغنائم، وهذه دسيسة يُراد بها الايحاء على أن هناك غنائم حدث بسببها الخلاف، والحقيقة أن هناك غنائم ولكن ليس هناك خلاف، لان هؤلاء الرجال لم يكونوا يجاهدون من أجل الغنائم، وهذا ما تؤكده الوثائق المنشورة في هذا الكتاب.

ويقول: اختلف سالم مع ابن عسكر لانه كان ينفذ أوامر عابد السنوسي وكان على اتفاق مع كلب السيد، فكيف يستوي الامر في هذه الحالة، عابد كان يريد إعدام سالم وكان هناك خلاف حول الغنائم، وبعدئذ سالم يختلف مع آخرين لانه ينفذ أوامر عابد!! ثم إن سالم بن عبد النبي كان قد استقطب وكلف بالاتصال مع المجاهدين من اجل التسليم ومعه البوسيفي، ولما فشلا، هاجر البوسيفي واستسلم سالم للطليان حيث سجنوه، فاذا كان قد استسلم (وتعبير استسلم مسيء جدا) فكيف يمكن أن يسجن، ثم إنه استخدم ذكاءه ليخبر الوالي عن الغنائم التي تركها الايطاليون في القاهرة!! شيءٌ غريب عجيب، الايطاليون لا يعرفون ماذا تركوا في القاهرة، هذا أولا، وثانياً فهي غنائم بمعنى أن الشيخ سالم ومن معه حاربوا من اجل الغنائم وسجنوا كذلك من أجلها، لماذا؟ لانهم خبئوها في الرمال!! ماذا يمكن ان يقول الانسان؟

نعم لقد حدث أن الشيخ سالم سجن، وقد استخدم حيلته وذكاءه فعلا ليفلت من الطليان، ولكن ليس بسبب الغنائم، إنما بسبب السلاح الذي استخدمه للجهاد وكان يود أن يستخدمه في معارك أخرى لو لم يقبض عليه. ونعم إنه سلم ولكنه لم يستسلم ولم يوافق على أي صفقة ولا استقطب بواسطة أحد، ولكنه والمجاهدين الذين معه قد غلبوا على امرهم بعد ان بقوا سنة كاملة في منطقة (الرملة) دون أن يكون لهم اتصال مع أي كائن ودون أن يتزوَّدوا بشيء من الغذاء وكان ذلك قرب نهاية الحرب، اعني نهاية الجهاد، كان سنة 1929م واقتحام القاهرة كان سنة 1914م.

لانني لا أريد أن استرسل في هذا الموضوع فقد نقلت للقارئ الكريم ما ذكره هذا القشاط وأبرزت بوضوح الكلمات الغريبة التي أتى بها، نقلت ما كتب مع ما فيه من أخطاء لغوية كما هو وما فيه من تزوير، وفي نهاية هذا الكلام وتأكيدا على أن هذا الكاتب يتعمد الاساءة والتزوير أنقل اليكم حادثة أخرى هذا نصها:

في كتابه المعنون (معارك الدفاع عن الجبل الغربي) وعلى الصفحة (291)

يقول: عمر محمد بوغباقه الزنتاني، خاض معارك القبلة وكان من الشجعان الهدافين. وفي عهد **الادارة البريطانية انقلب الى قاطع طريق** ... التقيت به بمنزلي بطرابلس وحدثني عن المعارك التي خاضها وعن معارك الجبل.

هكذا قال: كان مجاهدا وكان هدافا وحدثه عن معارك الجبل، ثم اصبح قاطع طريق!! ترى كيف يستوي الامر، ما علاقة الايطاليين بداية من سنة 1911م بالانجليز وإدارتهم سنة 1950م فاذا كان الكتاب عن جهاد الليبيين ضد الايطاليين فما علاقته بالادارة الانجليزية ... الامر متروك للقارئ الكريم.

فلسنـا ورب البيـت نسلـم احمدا   لعزاء من عض الزمان ولا كرب
ولسنـا نمل الحرب حتـى تملنـا   ولا نشتكي ما قد ينوبُ من النكب
ولكننـا أهـل الحفائـظ والنهى   اذا طار أرواح الكماة من الرعب

2

الفصل الثاني

الوضع العسكري قبل معركة القارة بسبها

نعرف جميعاً تفاصيل الهجمة الامبريالية الاستعمارية الغربية على الوطن العربي خلال القرن العشرين والقرن التاسع عشر، وكيف قطعوا وقسموا وفتتوا دون ان يكون لأصحاب الارض أدنى معرفة أو رأي في ذلك، ولم تكن الحرب العالمية الأولى هي السبب او المبرر ولا كان وضع الرجل المريض (الامبراطورية العثمانية) أيضا هو المشجع لهؤلاء الغزاة، لكنها المصالح والمواد الخام والايدي العاملة الرخيصة؛ فقد كانت الثورة الصناعية، وكان لا بد لها من مواد خام ومن أسواق احتكارية وأيدٍ عاملة رخيصة، والويل لمن لا يدرك تلك الحقيقة، حقيقة أنه لا سياسة دائمة وإنما هناك مصالح دائمة.

وكانت ايطاليا الدولة الفتية الطامحة المتطلعة والتي قفزت فجأة لتحصل على حصتها من الغنيمة. ولكن قفزتها جاءت في الهواء حيث احتلت اثيوبيا واريتريا وهما بلدان فقيران تكاليف احتلالهما أكثر من فائدتهما. وكان لا بد لها من تعويض تلك الخسارة على حساب واحدة او اثنتين من البلدان المجاورة. كانت هناك تونس وكانت هناك ليبيا. كان الجار الاوربي قد سبق فتربّع على أرض تونس ولم تبق الا ليبيا. فرنسا احتلت تونس وبذلك أضافت الى حيازتها بلداً عربياً أفريقياً آخر ولانها لم تعد في حاجة إلى زيادة أو هي أرادت تطمين إيطاليا المتحفزة، فقد وافقت على أن تترك لها ليبيا. وبدأت السلطات الايطالية في الاعداد والاستعداد، صحافةً واذاعةً وسياسةً واقتصاداً وخبراء وقوات، ولم تكن تحسب أي حساب (كغيرها من الدول الاوربية) لأهل البلاد، ذلك انه في مؤتمر برلين الذي عقد سنة 1878م وافقت كل من المانيا وبريطانيا على إطلاق يد فرنسا في تونس، وكان ثمن ذلك لكلا

البلدين هو أن تقف فرنسا مع بريطانيا في احتلالها لقبرص وأن تستفيد ألمانيا من أي احتكاك بين فرنسا وإيطاليا (وذلك يمثل لعبة الهر بيسمارك المفضلة). ومع ذلك فقد حدث الاتفاق بين ايطاليا وفرنسا، ويقول ذلك الاتفاق:

إن الفضل في التقارب الفرنسي الايطالي يعود الى روح المصالحة الذي أظهرته فرنسا، فبدلا من الرد على التحدِّيات الايطالية التزمت حكومتنا على العكس بالبحث عن أرضيةٍ للاتفاق، فاقترحت على حكومة روما احتلال طرابلس التي ليس لنا فيها أهداف، وفي منتصف يوليو 1880م صرح «دي فرنسييه» الذي كان رئيساً لمجلس وزراء فرنسا، صرح للجنرال «تشالديني» أن «المصالح الكبيرة التي أقمناها في الجزائر لا تسمح لنا بتَرْك دولة أخرى توطِّد نفوذها مقابل نفوذنا في إقليمٍ كتونس وهو ملحق طبيعي ومدخل عسكري لممتلكاتنا في أفريقيا ولكن «دي فرنسييه» أكد من جهة أخرى للسفير الايطالي أن حكومة روما اذا توقفت عن التفكير بتونس والتفتت الى طرابلس فإنها لن يكون عليها أن تحارب أحداً (1).

هكذا بالطبع لن يكون عليها أن تحارب أحداً، فرنسا قررت ذلك لايطاليا في ليبيا!!!! وقد تدخّلت إيطاليا، ولكنها لم تجد من وعد فرنسا شيئاً، فقد كان عليها أن تحارب أصحاب الارض، أن تحارب الليبيين الذين كانوا على استعداد للدفاع عن بلادهم، ولأن معركة (قارة سبها) واحدة من معارك الليبيين الفاصلة في تاريخ الجهاد الليبي ضد هذا الغازي الاجنبي المتغطرس فلا بد لنا من أجل أن نعرف كيف كانت تلك المعركة وما مدى تأثيرها العسكري والمعنوي على قوات العدو الايطالي، أن نبين الوضع العسكري قبل حدوثها ...

فبعد اتفاقية (أوشي — لوزان — 18 اكتوبر 1912م) التي خرجت بموجبها عمليًّا تركيا من ساحة الحرب في ليبيا، انتهزت ايطاليا الفرصة لاحتلال أهم

(1) المسألة الليبية في تسوية السلام — جاك بيشوي ترجمة علي ضوي.

المناطق من الناحية العسكرية والسكانية، مثل الجبل الغربي بأكمله وغدامس ومزدة وسوكنة وترهونة وبني وليد، وقبل ذاك مدن الساحل الليبي جميعها، ولم يبق الا احتلال مناطق الجنوب، وكانت قواتهم التي حشدوها لغرض القيام بتلك الحملة العسكرية تبلغ 120 ألف جندي، وهكذا بدأت حملة العقيد «مياني» من سرت فسوكنة ثم براك فمرزق. وقد حدثت أثناء حملة مياني هذه معارك عديدة وهجمات خاطفة قام بها المجاهدون الليبيون، ولكن نظرا لعدم تعادل القوى والقوة في العدد والعدة، فقد شقت الحملة طريقها الى أن احتلت آخر نقطة وهي (مرزق) وكان ذلك في 3 مارس 1914م، وقعت المعارك في الشب وأشكدة والمحروقة، وتكبد المجاهدون خسائر كبيرة كما كبدوا العدو أيضا خسائر في العتاد والارواح، وفي النهاية استقر الحال بالقوات الايطالية حيث سيطرت بالكامل على المنطقة، وانشأ الكولونيل «مياني» مركز قيادته في مرزق إذ كانت عاصمة الجنوب وقتئذ.

وبحلول شهر مارس سنة 1914م كانت القوات الايطالية تحكم السيطرة التامة في المناطق الغربية من أرض ليبيا وعلى الشاطئ من سرت الى زوارة، وفي الغرب على جبل نفوسة من سواني بني آدم الى نالوت، وفي الوسط والجنوب من سرت الى مرزق. ولم يكن أمام المجاهدين من ملجأ الا القبلة، وضواحي زله، ورواوس، ووادي بي، وجبال الهروج، والنوفلية، ومراده، وهذه في الغالب مناطق قاحلة موحشة وان كانت قد مثلت حصناً يحتمي فيه أولئك المجاهدون.

والحقيقة التي لا يمكن إنكارها أن الخلافات التي ظهرت بين قيادات الجهاد الوطني في المنطقة الغربية من ليبيا بعد توقيع المعاهدة بين تركيا وإيطاليا، والتي تخلّت بموجبها تركيا عن الساحة الليبية و(على الاقل من الناحية الرسمية) وعرفت تلك المعاهدة بمعاهدة (أوشي ــ لوزان)، سببها أن القيادة لم تكن واحدة كحالة الجهاد في برقة، وبالتالي فقد اختلفت الآراء والاجتهادات بين قائل بوجوب القبول بالأمر الواقع والركون الى الهدوء تحت الحكم الايطالي

اذ ربما يمكن أن تحصل البلاد على نوع من الحكم الذاتي، وبين رافض للاتفاقية تلك والحكم الايطالي مهما كانت الآمال والتطمينات. وحتى هؤلاء القادة الذين رفضوا الخضوع لم يكونوا موحدين؛ فقد كان كل زعيم ينظر الى مصلحة قبيلته او منطقته. وقد تمّ عقد مؤتمر وطني عرف باسم مؤتمر العزيزية (خلال شهر نوفمبر 1912م) بينما أسرعت القوات الايطالية الى السيطرة على المناطق التي ترى أنها هامة كمفاتيح للسيطرة وفرض الامر الواقع، وكانت كالتالي:

سواني بني آدم في 15 نوفمبر 1912م
العزيزية في 16 نوفمبر 1912م
بن غشير في 17 نوفمبر 1912م
العجيلات في 3 ديسمبر 1912م
الزاوية في 4 ديسمبر 1912م
القصبات في 14 ديسمبر 1912م
ترهونة في 18 ديسمبر 1912م
سرت في 30 ديسمبر 1912م
بن وليد في 15 فبراير 1913م

وبعد فترة هدوء أو هي استعداد في هدوء من الطرفين حركت ايطاليا قواتها للسيطرة على منطقة الجبل الغربي ولم تكن قد تقدّمت في هذا الاتجاه، وحدثت معركة جندوبة في 23 مارس 1913م وكانت واحدة من المعارك الدامية وقد أبلى فيها المجاهدون وضحوا. وفي النهاية كانت الغلبة للقوات الايطالية نظراً لتفوقها في العدد والعدة، وباحتلال يفرن في 27 مارس، والزنتان في 5 ابريل، وجادو في 6 ابريل، ونالوت في 12 ابريل، تكون القوات الايطالية قد سيطرت سيطرة كاملة محكمة على الجبل الغربي وفيما بين الشاطئ والجبل، قد استولت على بئر الغنم والجوش، ثم استولت على غدامس. وعلى أثر هذه التطورات لم يكن أمام المجاهدين الذين رفضوا القبول بالامر الواقع إلا أن

يتحوَّلوا الى مناطق بعيدة بحيث يُعِدُّون أنفسهم للمقاومة الطويلة، وقد انتقلوا الى القبلة والحمادة وعندما انتقلوا اعتقد الايطاليون أن الامر سوف لن يستقر لهؤلاء البدو الذين هربوا وبالتالي لا بد أن يطلبوا المساعدة والرحمة من ايطاليا بعد ان يلدغهم الجوع وتضيق بهم الحياة في تلك الفيافي.

واذا كانت القوات الايطالية قد احتلت الساحل والغرب ثم احتلت الجبل وسيطرت على الوسط ورسخت نفوذها في الجنوب فهي عمليا احتلت البلاد بكاملها. وعلى هذا فإن أهل القبلة قد أصبحوا معزولين تماماً في صحراء قاحلة قاتلة لا تتوفر فيها سبل الحياة. ومن لم يمت بالجوع قتلته الافاعي السامة. وعلى اعتبار ان الجهاد الليبي سلسلة متصلة الحلقات فقد فعل الايطاليون نفس الشيء في شرق ليبيا، وسلك المجاهدون هناك نفس المسلك إذ تحصنوا بالمناطق الصعبة البعيدة عن السواحل والمدن.

وكانت حملة إيطاليا على الجنوب بعد إحكام السيطرة على الشمال والغرب تعتمد على عدة عناصر: أولاها أن الوضع الدولي لا يسمح بأي تأخير في احتلال ليبيا بحيث لا يكون هناك فرصة لقوة أخرى ربما تشارك إيطاليا في غنيمتها في ليبيا؛ وثانيها، أن ايطاليا عندما تتمركز في الجنوب، يمكن لها أن تخلق بعض المشاكل والتعقيدات لغريمتها فرنسا في الجزائر إن هي أرادت، وذلك يتوقّف على مقدار احترام مصالح ايطاليا من قبل فرنسا، كما أنها يمكن أن تخلق نفس المشاكل للغريم الآخر (بريطانيا) في السودان وغيره؛ وثالثها، أن وجودها في الجنوب سيعني أنها تستطيع أن تضغط وتضع بريطانيا بين فكي الكماشة الايطالية التي يعتمد طرفاها على فزان واثيوبيا؛ ورابعها، أن منطقة فزان كما هي معروفة لا تتوفّر فيها إمكانات الدفاع والكثافة السكانية وأهلها مسالمون ويمكن احتلالها بسهولة (ما نذكره هنا هو رأي السلطات الايطالية).

وعلى حسب هذه التقديرات بدأت حملة الكولونيل «مياني». وهكذا فقد احتلت القوات الايطالية أبو نجيم في يونيو 1913م، ومزدة في يوليو 1913م،

وسكونة في آخر يوليو 1913م وقد أراد القائد الايطالي باحتلال هذه المناطق أن يضمن سلامة طريق تقدّمه، فاحتلال مزدة يقطع الطريق بين الجبل من ناحية غريان وبين الجنوب، واحتلال أبو نجيم يقطع الطريق بين الجنوب والساحل ما بين سرت ومصراته، أما سوكنة فيمكن أن تكون مركز تجمُّع وانطلاق الى الجنوب مباشرة، كما أنها تنفع لكي تكون نقطة مراقبة للمجاهدين في الشرق. وما يؤكد أن سوكنة كانت قد استخدمت كنقطة تجمع للقوات الايطالية أن تلك القوات قد بقيت فيها قرابة ثلاثة شهور كاملة قبل أن تتقدّم لتنفيذ مخططها لاكمال احتلال الجنوب. وكان المجاهدون قد علموا بتجمُّع تلك القوات ورأوا، أن احتلال مزدة في 5 يوليو 1913م مع تقدُّم القوات الايطالية عبر سوكنة قد يؤدي الى تطويق منطقة تجمُّع المجاهدين إذا ما قرّرت القيادة الايطالية الهجوم على تلك المنطقة. وهكذا تقدموا الى منطقة الشاطئ ليواجهوا القوات المتقدمة الى فزان، وبعدئذ أصبح تجمُّع المجاهدين في أربع مناطق هي: القبلة والجفرة وصحراء سرت والشاطئ.

ولقد تقدمت القوات الايطالية بعد فترة من الانتظار في سوكنة الى فزان بتاريخ 6 ديسمبر 1913م والتقت بطلائع المجاهدين في الشب حيث دارت معركة عنيفة، ولكنها لم توقف تقدم تلك القوات التي تستخدم أحدث وسائل القتال العسكري من مدافع ورشاشات وسيارات مصفحة ووسائل استطلاع سريع بينما لا يملك المجاهدون إلا بنادق خفيفة وهم إمّا يسيرون على الاقدام أو يستخدمون الخيول والابل.

ثم حدثت معركة ثانية في منطقة (أشكده) وكانت أيضا معركة عنيفة وغير متكافئة، وبعد القتال المتواصل توزّع المجاهدون في مناطق مختلفة حول أشكده، وذلك رغبة في تنظيم الصفوف والقيام بهجمات خاطفة بمجموعات صغيرة. ولكن الايطاليين لم يتركوا الفرصة تفوت لأنهم يخشون وسيلة القتال تلك التي يتبعها المجاهدون عقب كل معركة غير متكافئة، وهي التي يكبدون بواسطتها العدو الغازي، خسائر فادحة.

وقد جهز الايطاليون قوات كبيرة لمطاردة المجاهدين بعد معركة أشكده وهكذا وقعت معركة المحروقة وهي اكبر معركة حدثت أثناء تقدم قوات الكولونيل مياني نحو فزان وحدثت فيها خسائر كبيرة في صفوف المجاهدين، وقد استشهد في هذه المعركة المجاهد محمد بن عبدالله البوسيفي قائد المعركة، وهذا المجاهد كان من أقوى زعماء الجهاد الوطني في تلك الفترة واكثرهم التزاما وصدقا في الجهاد.

بعد ذلك تمكّنت القوات الايطالية من احتلال سبها في شهر فبراير 1914م، واحتلت مرزق في أول شهر مارس 1914م، واحتلت القريات في نفس الوقت الذي احتلت فيه مرزق عاصمة الجنوب، واحتلت زويله وغات وأوباري. وهكذا تم الاحتلال ونفذت خطة مياني بالكامل وما كان منه إلا أن أقام قيادته العسكرية في مرزق لكي يتفرَّغ بعدئذ لتنظيم أمور البلاد المدنية بعد أن رتَّبها عسكريًّا واعتقد أن ليبيا جميعها خضعت أو هي أُخضعت ولم يبق إلا قلَّة من المشاغبين التائهين في الصحراء سوف لن يطول الوقت بهم لأنها صحراء طاردة قاحلة؛ فإمَّا أن أن يموتوا أو أن يستسلموا ويطلبوا الرحمة من ايطاليا وقواتها الظافرة.

والحقيقة أن الوضع من وجهة النظر العسكرية البحتة، ومن وجهة نظرِ من لا يعرف أهل الصحراء، ميئوس منه تماماً. فاذا كان القوات العسكرية الايطالية وهي تتمتع بجميع المزايا والامكانيات العسكرية قد سيطرت على الشمال والغرب والجنوب، فكيف يكون حال هؤلاء الناس الذين عزلوا تماماً في صحراء لا يتوفّر فيها شيء للعيش، وما كان لأحد أن يتصور أن تلك القوات المدجَّجة بالسلاح ووسائل النقل والتموين سوف تنقطع بها السبل وتجد نفسها وقد حوصرت بحيث ينقطع الاتصال والمواصلات بينها في الجنوب والشمال، وأنها سوف تتعرض لهجمات خاطفة لا قِبَلَ لها بها، وبالتالي سوف تنهزم.

واذا كانت إيطاليا قد اعتقدت وقد احتلت أغلب مناطق ومدن ليبيا، أنها قد كسرت شوكة المجاهدين الليبين فإنها قد أخطأت تماماً كما كان خطؤها عندما تصور قادتها السياسيون والعسكريون أنهم هيّأوا الساحة الدولية حالما بدأوا عملياتهم العسكرية. وكان هناك ما لم تحسب له السلطات الايطالية أي حساب وهو أن أولئك الناس البسطاء الذين لجأوا الى الصحراء لا يمكن أن يستسلموا أو يطلبوا الرحمة منها، وان الظروف الدولية قد تتغير. فقد حدثت الحرب العالمية الأولى وبذلك تغيرت الموازين والتحالفات وانتهت الاتفاقات، وبدأ المجاهدون الليبيون يُعِدُّون العدة للقضاء على الوجود العسكري الايطالي في بلادهم.

وإذا كانت القوات الايطالية قد حقَّقت بعض الانتصارات الحربية فإنما السبب هو عدم التكافؤ في العدة والعتاد، وطالما أن هناك جبهات جديدة ستفتح بتلك الحرب فلا بد أن يكون ذلك عاملاً مساعداً على قَهْر القوة الجهنمية الايطالية، وعلى تلك الظروف الدولية كان لا بد لتركيا التي خرجت من ليبيا متخلِّية عن التزاماتها الرسمية تجاه الشعب الليبي (وربما كانت لها ظروفها التي أرغمتها على ذلك) لا بد لها أن تعود مرة ثانية لمساعدة هؤلاء الناس الذين تخلَّت عنهم رغبة في تحقيق بعض من مصالحها وجزءٍ من تحالفاتها. وكان على تركيا التي خرجت من الباب أن تعود من الشباك. والليبيون الذين كانوا ينظرون بتقدير بالغ إلى أعمال وبطولات بعض رجال تركيا الذين قاتلوا معهم وساعدوهم في أحلك الأوقات رغم تخلِّي حكومتهم عن ليبيا لا بد أن يرحبوا بعودة التعاون التركي ...

وفجأة بدلا من أن يستسلم المجاهدون ويطلبوا الرحمة من روما، كان على قوادها وعساكرها أن يطلبوا الرحمة وأن يهربوا ليلا تاركين كل شيء، فجأة قام المجاهدون الليبيون بأجرأ عمل عسكري لم يكن متوقَّعاً ولا حتى محتملا، لقد قام عدد من المجاهدين بقيادة الشيخ سالم بن عبد النبي الناكوع بمهاجمة واحتلال أقوى وأحصن قلعة في سبها، (قارة سبها) فجر يوم 28

نوفمبر 1914م، واحتلُّوها رغم ما فيها من قوات وتحصينات عسكرية ورغم كل الاحتياطات الامنية التي أعدها الكولونيل «مياني» ومساعدوه، وكانت تفاصيل تلك العملية الجريئة كما يلي:

كان الشيخ سالم بن عبد النبي قد اشترك في اغلب المعارك التي دارت رحاها بين القوات الغازية الايطالية وبين المجاهدين الليبين، وكانت أكثر قسوة وإيلاما تلك المعركة التي جرت في المحروقة وقد تكبّد فيها المجاهدون خسائر كبيرة وانتهت بتشتيت قواهم. وكان عليه وهو أحد قادة تلك المعركة الذين ساعدوا المجاهد محمد بن عبدالله البوسيفي، كان عليه أن يجمع المجاهدين مرة ثانية، وأن يخوض بهم معركة قد تكون يائسة ولكنها اذا نجحت سوف تعيد الثقة الى النفوس خصوصاً أن المعارك الثلاث التي جرت في الجنوب بعد سوكنة كانت مثبطة للعزائم؛ فقد هُزِمَ المجاهدون في الشب وأشكدة والمحروقة، وتمكّن الكولونيل «مياني» على أثر تلك المعارك، من أن يصل الى آخر نقطة في خطته حيث احتل مرزق وأنشأ هناك قيادته العسكرية.

ولقد فكر الشيخ سالم كثيراً في مكان ووقت تلك المعركة التي ستكون فاصلاً وفيصلاً، وكان لا بد من اختيار المكان والزمان والرجال بعناية فائقة، ووجد ان أصعب الحلقات في السلسلة ربما هي أسهلها، ذلك أن الايطاليين في مكان مثل (القارة) وهي قلعة حصينة تقع فوق ربوة عالية محاطة بالحيطان والاسلاك الشائكة، لا بد أن يعتقدوا أنه لا يمكن لأحد أن يتجرأ على مهاجمتها وخصوصا إذا كان هذا الأحد من مجاهدين أُنهكوا في معارك ثلاث متتالية وقد منوا فيها بالخسائر. وقرر أن يهاجم تلك القلعة الحصينة ليكسر أقوى حلقات التماسك في الوجود العسكري الايطالي.

جمع الرجال، بل هو انتقاهم، وفي الوقت المناسب ذكرهم بأن المهمة صعبة وهي لا بد أن تكون فاتحة خير ومرحلة جديدة في الجهاد الوطني، قال لهم إننا إذا اقتحمنا القارة ونجحنا في ذلك نكون قد كسرنا العمود الفقري الذي يعتمد عليه القائد الايطالي الكولونيل «مياني» وضباطه. وبعد

مداولات ومشارات تم الاتفاق على القيام بعمليتين متتاليتين: أولاهما في القارة والثانية في أوباري، وكان عدد المجاهدين حوالي ثلاثمائة مجاهد، وقد خيرهم الشيخ سالم بين المعركتين قائلا: إن كلاهما معركة حياة أو موت وما جاهدنا إلا لأننا نطلب الشهادة في سبيل الله والوطن، وقال إنه سيقود معركة القارة بنفسه بينما يقود معركة أوباري المجاهد المهدي كنيفو[1]. وهكذا كان؛ فقد توزع المجاهدون كلٌّ حسب رغبته، وقاد الشيخ سالم قرابة مائتين من الرجال في عملية اقتحام (القارة): اختار عدداً قليلاً منهم لاقتحام مركز القيادة في القارة، وكان على هؤلاء أن يتسلقوا وأن ينفذوا من الفتحات او الفجوات من أجل الوصول الى قمة القلعة حيث توجد القيادة ومرابض الرشاشات والمدفعية، وكان هو في مقدمة هؤلاء المقتحمين. وقد طلب من الباقين أن يستعدوا لمهاجمة الخنادق والمرابض الواقعة على سفح وأسفل القلعة بمجرد سماع أول طلقة رصاص وارتفاع الأذان. وكان قد طلب من أحد رفاقه أن يرفع صوت الحق عندما يطلق هو أول إطلاقة، وكان قد عرف أماكن الحراسة ومرابض الرشاشات بواسطة مواطن ليبي كان يعمل عسكريًا مع الايطاليين ويدعى «سالم الحطماني» فزوّدهم بمعلومات عن مهاجع الجنود وأسلوب الحراسة، (وقد اختلفت الروايات التاريخية في امر هذا العسكري وكيف استطاع المجاهدون استمالته). وطلب الشيخ سالم التزام الهدوء وعدم إطلاق النار مهما كان الامر إلا بعد سماع الأذان وقد يقتضي الحال استعمال السلاح الابيض، ومن هنا فقد تهيَّأ المجاهدون لذلك ... كان لا بد من المفاجأة ولا بد من الإحكام، ولا بد من الاستعداد، ولأنه أراد أن تكون المفاجأة تامة، فقد قرّر الهجوم عند الفجر بحيث يكون الأذان في وقته ويكون بالتالي أغلب الحراس نياماً.

كانت الخطة محكمة والرجال على استعداد وقد وصل الشيخ سالم قمة

(1) مجاهد من الزنتان كان يساعد الشيخ سالم وهو من عائلة الجروة.

القلعة في تمام الساعة الرابعة من فجر يوم 28 نوفمبر 1914م وأطلق الطلقة الأولى التي كانت قد أخترقت صدر أحد الحراس، وهكذا ارتفع صوت الأذان في نفس الوقت، الله اكبر الله اكبر .. بدأ الهجوم وانطلق الرصاص وما هي إلا ساعات قليلة حتى تمت السيطرة الكاملة على القلعة، كانت مفاجأة بحيث أن الجنود لم يتمكّنوا من التقاط أسلحتهم أو حتى ارتداء بعض ملابسهم، بينما قتل فورا كل أولئك الذين كانوا في الحراسة بما فيهم كلب مدرب كان من المتوقّع أن يرسل إشارة الانذار إذا ما سمع أو اشتمَّ أي شيء، فقد كان رصاص المجاهدين وإرادة الله أقوى من كل شيء.

ومع انبلاج فجر ذلك اليوم السعيد كان الجنود الايطاليون بما فيهم ضباطهم إما قتلى أو أسرى.

في ذلك اليوم الاغر (28 نوفمبر 1914م) بدأت ونجحت المعركة الفاصلة مع قوات الغزاة وقد احتل المجاهدون (قارة سبها) وقتلوا من فيها واستولوا على جميع الاسلحة والذخائر الكثيرة. وقد ذكرت تفاصيل تلك المعركة والغنائم مختلف المصادر ومنها الايطالية، والارجح ما اورده الاستاذ التليسي في كتابه (معجم معارك الجهاد في ليبيا) وهو كما يلي:

كان الجنود الايطاليون عددهم (87) جنديا إيطاليا بينهم (8) ضباط، وكان معهم (85) جنديا من فزان و(19) جنديا اريتريا، وكانوا مزودين بمدفعين جبليين من عيار (70) ملم وأربعة رشاشات ثقيلة وكميات كبيرة من الذخيرة من مختلف الأعيرة تكفي للقتال مدة طويلة وكميات هائلة من المواد الغذائية والالبسة والاغطية[1].

وقالت تلك المصادر إن الشيخ سالم بن عبد النبي الزنتاني واركان حربه وهم: سالم دنه ومحمد الدحنوس وعلي الشنطة ومجاهديهم كانوا قد استولوا

(1) كتاب معجم معارك الجهاد في ليبيا ــ خليفة التليسي، والموسوعة العسكرية الايطالية بشأن الحرب في ليبيا، وكتاب تكوين الامبراطورية الاستعمارية.

على القلعة الحصينة التي تسمى (قارة سبها) بسهولة عجيبة، وكانت الخطة الحربية في غاية الدقة بحيث كانت ناجحة جدا.

وبعد انتهاء عملية القارة بنجاح كبير كان على المجاهدين ان يعودوا الى مراكز قياداتهم استعداداً للمعارك القادمة إذ لاحت بشائر النصر، وكان نصراً مؤزراً عزّزته الاخبار التي جاءت بعده مباشرة، إذ نجح ايضا المجاهدون الذين هاجموا أوباري بقيادة المجاهد المهدي اكنيفو، وبذلك لن يكون للكولونيل أي خيار إلا الرحيل عن الجنوب لان مطارق المجاهدين ستدق على الرؤوس بلا تردد أو تأخير، إلا إذا قرّر الانتحار هو وجنوده، هكذا كانت معركة (قارة سبها)، وسنرى كيف كان الشيخ سالم بن عبد النبي صادقاً عندما قال إن هذه المعركة ستكون فاصلاً وفيصلاً في تقرير مصير الجهاد الوطني، ولكن قبل ذلك لِنَرَ ماذا قال المؤرخون والرواة عن هذه المعركة التي قررت مصير القائد الروماني «مياني» الذي جاء ليحتل وليعيد لروما أمجادها في ليبيا.

يقول المجاهد أبو عجيلة أحمد أبو رميلة، في رده على أسئلة مركز الجهاد.

س: كم من الوقت بين معركتي محروقة والقاهرة؟

جـ: حوالي سنة.

س: هل قدمتم الى القاهرة من الرملة؟

جـ: كنا في الرملة لان السيارات لا تستطيع الوصول اليها ويكون قذف الطائرات غير فعال في الرمال.

س: حدثنا عن معركة القاهرة من الرملة الى نهاية المعركة وأخذ الغنائم.

جـ: تجمَّع المجاهدون في الرملة وكان الايطاليون متمركزين في القاهرة وغات ومرزق، والقاهرة هي عبارة عن تل مرتفع، وعندما تجمعنا كان معنا المهدي السني، وكان القائد الذي يجمع المجاهدين هو سالم بن عبد النبي.

س: هل كانت هناك اتصالات بين محمد العابد وسالم بن عبد النبي والمهدي السني؟

جـ: كان بينهم اتصال إلا أن سالم بن عبد النبي هو المخطط والمنفذ لمعركة

القاهرة. وقد سرنا الى القاهرة حتى اقتربنا منها في مساء أحد الأيام وكان شخص من الحطمان اسمه سالم مجنداً مع الايطاليين في القاهرة وهو الذي قدم الينا.

س: في اي المواضع قدم اليكم؟

جـ: التقينا معه في أرض ادري.

س: هل قدم اليكم بعد ان انقسمت مجموعة منكم وذهبت الى أوباري؟

جـ: قدم الينا قبل ذلك، بعد أن كنا قاصدين القاهرة. وبعد سفرنا انقسم رجال المرابطين والمشاشي وقرروا الذهاب الى أوباري.

س: كم عدد المجموعة في البداية؟

جـ: عددنا نحن الذين وصلنا القاهرة 300 مجاهد وعدد الذين انقسموا عنا 50 او 60 مجاهداً.

س: ما هي القبائل التي ينتمي اليها المجاهدون؟

جـ: الاكثرية من الزنتان ويبلغ عددنا حوالي 150 مجاهداً ومعنا أيضا 10 أو 15 من القواليش أحدهم اسمه مصباح وآخر اسمه عبد الهادي، ومعنا من الغنائمة حوالي ثمانية رجال، وكان معنا ايضا من اولاد ابريك.

س: هل كانت الابل هي وسيلة نقلكم؟

جـ: معنا بعض الابل ومعنا ثلاثة خيول أحدها لسالم بن عبد النبي، والثاني لشخص اسمه سلطان القائدي، والثالث لشخص من الزنتان. وحدثنا سالم الحطماني فقال، اذا استطاع ولو جزء منكم الصعود الى القلعة قبل أن يعلموا بوجودنا كان نصرنا مؤكدا وكانت القلعة تقع على تل مرتفع والطريق المعروفة تصعد اليها من الجهة الجنوبية، ومن الجهة المقابلة يوجد ممرّ وعر جدا وهو السبيل الوحيد لوصولنا الى القلعة دون أن يعلم بنا أحد، واختار سالم عبد النبي من قبيلته خمسة وعشرين شخصاً ومعهم سالم الحطماني وكانوا مكلفين بالصعود من ذلك الممر.

س: هل تذكر أسماء هؤلاء الرجال؟

جـ: أنا ومحمد بن عبد الرحمن ومعنا شخص من القواليش مات بعد معركة القاهرة بسبب المرض ومن المشاشة معنا شخص واحد اسمه بقص.

س: ما هو الوقت من الليل؟

جـ: قبل الفجر بقليل وكان الاحباش موجودين الى جانب التل واتفق معنا سالم بن عبد النبي على اطلاق المدفع حين نصل اليه، صعدنا بصعوبة ووجدنا مدفعين ورشاشين كل واحد في زاوية من المبنى.

س: وماذا عن الحرس الايطالي؟

جـ: كان الحرس موجوداً في الباب الجنوبي، أما طريقنا فلم يكن أحد يتوقع الصعود منه، وجدنا ثمانية من الايطاليين يغطون في نومهم وأردنا أن نقتلهم إلا أن الحطماني قال يجب أن نطلق المدفع أولا. وبمجرد أن انطلق المدفع قتلناهم جميعا وبدأ إطلاق النار من جهتنا ومن المجاهدين الموجودين أسفل القلعة ومن الاحباش. وفي هذا الوقت انبلج الفجر وقد طلب سالم بن عبد النبي أن نرفع صوت الأذان بعد إطلاق المدفع ونفذنا تلك التوصية.

س: وهل توجد المدافع في أبراج مقفلة أم هي موضوعة في الساحة؟

جـ: بالنسبة للمدفع الذي استعملناه كان الحطماني يعرفه تماما وهو الذي فتحه.

س: هل حاول الايطاليون الصعود اليكم؟

جـ: حاول الاحباش ومن معهم من المجندين العرب الصعود الينا وكانوا ينادوننا قائلين نحن مسلمون. وكانت البنادق والذخيرة موجودة في القلعة وكنا نطلق النار على مَنْ يحاول الصعود.

س: هل ابيد هؤلاء العساكر؟

جـ: فرّ منهم البعض وقدمت السيارات من مرزق فكانت تنقلهم، والبعض الآخر ذهب الى سبها وكان المجاهدون يتعقبونهم وقتلوا منهم الكثير.

س: هل أسرتم منهم البعض؟

جـ: أسرنا ايطالياً واثنين من الاحباش وأرسلناهم الى طرابلس.

س: وماذا عن الغنائم؟

جـ: أرسلنا الى الرملة والشاطئ فأرسلوا لنا سبعين جملا وبقينا في سبها ثلاثة أيام وأخذ أهالي سبها بعض الغنائم وأشعلوا النار في الباقي.

س: وماذا عن الاسلحة والمدافع؟

جـ: أحد المدافع أخذه سالم بن عبد النبي.

س: هل غنمتم نقوداً أو ذهباً؟

جـ: تحصل البعض على نقود وعندما رجعنا بالغنائم جاء الينا المهدي السني.

س: هل كان المهدي السني معكم أثناء الهجوم؟

جـ: بقي في خيمته ينتظرنا، وتم تجميع الغنائم وأقسم المجاهدون على عدم احتفاظهم بشيء من الغنائم وغضبنا من ذلك وكان معنا مجموعة من الطوارق (بن غساتن) وذهبنا الى غدامس.

س: كم كان عددكم؟

جـ: حوالي 50 او 60 شخصا. ذهبنا الى غدامس وأردنا أن نهاجم الايطاليين ونتحصل على غنائم.

س: ألم يسبق أن حملتم سبعين جملا بالغنائم؟

جـ: تلك الحمولة تم تخزينها في ومزريك. وعندما وصلنا الى غدامس لم نجد الايطاليين فتبعناهم الى سيناون ولم نجد إلا بعض العساكر، أخذنا منهم حوالي عشر بنادق ورجعنا الى فزان، وجينا من فزان فحضرنا معركة فروتن صدفة وكان معي شخص اسمه عمر أبو غباقه(1).

- انتهى كلام هذا المجاهد.

وأرى انه من الانصاف التنويه بالدور الكبير الذي قام به سالم الحطماني الذي ارشد المجاهدين على نقاط الضعف في القارة، ولقد رأيت أن بعض المؤرخين قالوا إنه كان قد أجبر أو أنه كان قد قبض عليه، وبالتالي استُخدم ليكون دليلا. والحقيقة أن ذلك فيما يظهر من تصرُّفات الرجل

(1) اللقاء ورد في موسوعة روايات الجهاد، الروايات الشفوية عدد — 1 —.

غير صحيح لانه لو كان قد أُجبر او أنه قد قبض عليه وأُلزم بأن يكون دليلا ما كان يمكن أن يتحدث بالطريقة التي ظهرت من خلال كلام كل المجاهدين الذين تحدثوا عن تلك المعركة. فقد كان يقول: لو تمكنا من الصعود لكان النصر حليفنا، وانه هو الوحيد الذي كان يعرف مكان المدفع وقد استعمله في بداية الهجوم، وهو الذي نصح المجاهدين بإطلاق المدفع قبل قتل الايطاليين الثمانية، ولهذا فانه لا بد من اعتبار سالم الحطماني متطوِّعاً لمساعدة المجاهدين اقتناعا بدور الجهاد الوطني وبالمجاهدين وان كان يعمل عسكريا مع الايطاليين، وذلك لا يقلل من قيمة الدور الذي قام به في هذه المعركة. وسنرى من شهادات أخرى كيف كان دوره[1].

ويذكر الاستاذ التليسي معركة القارة على الوجه التالي:

سبها استولى عليها الايطاليون للمرة الأولى اثناء حملة الكولونيل «مياني» على فزان، وذلك في 17 فبراير 1914م، واتخذ منها «مياني» قاعدة للانطلاق نحو بقية مدن فزان وواحاتها، كما جعلها مقرا لمتصرفية فزان، وأنشأ بقلعتها التاريخية المعروفة باسم (القاهرة) او (قارة سبها) حامية دفاعية، وقد كان سقوط هذه القلعة في أيدي الوطنيين من الاسباب الرئيسية التي أدت الى فشل حملة «مياني» وانهيارها، وانتهائها الى ذلك المصير التعس. خرج الكولونيل مياني من سبها على رأس قوة حربية في عملية تأديبية، كما يسميها الايطاليون، ضد حركات المقاومة التي انتشرت في شاطئ فزان. وتزعم المصادر الايطالية، بأنه قد حشد كل قواته لهذه الحملة، ولم يبق بقلعة سبها، سوى مجموعة صغيرة تتألف من 87 جندياً إيطاليًّا، منهم 8 ضباط و85 جنديا من فزان و19 جنديا من اريتريا، مزودين بمدفعي جبال من طراز 70 ملم وأربعة رشاشات وصناديق كثيرة من الذخيرة.

(1) موسوعة جهاد الليبيين — مركز الجهاد.

وقام المجاهدون مساء 27 نوفمبر 1914م بمهاجمة القلعة واستولوا عليها بالتعاون والاتفاق مع الجنود الفزانيين العاملين في الجيش الايطالي، وقد فوجئ أفراد الحامية الايطالية عند الساعة الرابعة صباحاً بالمجاهدين وهم يفرضون سيطرتهم المسلحة على القلعة، وذهبت عبثا جميع محاولات الحامية الايطالية لاستعادة السيطرة، فقد قتل منهم من قتل وأُسر الباقي، وخرج أمر السيادة على سبها من أيدي الايطاليين بهذه الحركة البارعة، وما كاد يعلم الكولونيل «مياني» بذلك حتى اتَّخذ طريقه الى سوكنة رأسا تاركاً بقية الحامية تواجه مصيرها. وكانت هذه من الضربات العنيفة التي وجهت لحملة مياني وهي جزء من العمليات الموفقة التي انتشرت في ذلك الوقت في القبلة وفزان والجفرة ضد الحاميات الايطالية. عاد الايطاليون الى احتلال سبها للمرة الثانية والأخيرة في 14 ديسمبر 1931م في نطاق حملاتهم العسكرية التي قادها الجنرال غراتسياني في سبيل السيطرة على فزان[1].

مما ذكره الاستاذ التليسي نلاحظ أنه تحدث عن سبها وقلعتها ولا نعرف لماذا تحاشى ذكر اسم قائد المعركة في حين أنه يذكر قادة المعارك في الحملات الاخرى كما حدث منه في الحديث عن معركة القرضابية .. كذلك ما ذكره حول مساعدة الحرس الفزانيين، وهذا لم يرد في شهادة أي من المجاهدين الذين اشتركوا في تلك المعركة أو حتى أولئك الذين تحدثوا عنها وما كان يمكن أن يتجاهلوا ذكر تلك المساعدة لو كانت قد حدثت، ونراهم مثلا يتحدّثون عن مساعدة الجندي (سالم الحطماني) الذي ساعد في التعرف على مواقع المدافع وأبواب القلعة. ولا بد ان الاستاذ التليسي قد استقى تلك المعلومات عن مشاركة الجنود الفزانيين الذين كانوا ضمن القوات الايطالية في القارة وقت مهاجمتها من المصادر الايطالية التي كان يهمها أن تقلِّل من قيمة ذلك العمل الكبير الذي قام به المجاهدون، خصوصا أن تلك المصادر الايطالية قد تعمدت القول أن الكولونيل مياني كان قد خرج على رأس

(1) معجم معارك الجهاد في ليبيا ـــ خليفة التليسي.

قوة كبيرة ليقوم بحملة تأديبية ضد (العصاة) ولو تأكد المؤلف من البيانات والمعلومات التي ذكرها المجاهدون أنفسهم لكان قد عرف الحقيقة، وهذا على أي حال لا يقلّل من قيمة معلوماته وجهده في هذا المجال.

كما ان فضيلة الشيخ الطاهر الزاوي (رحمه الله) قد تحدّث عن معركة القارة باقتضاب شديد عندما تحدّث عن معارك الجنوب في كتابه عن شيخ الشهداء (عمر المختار) إذ قال: «ودامت الحرب في طرابلس اثنتي عشرة سنة لم يتمكّن فيها الايطاليون من مجاوزة أسوار المدن وحماية الاسطول، إلا في سنة 1913م واول 1914م حيث وصلوا الى فزان ثم رجعوا في ديسمبر من هذه السنة منهزمين شر هزيمة، لم يلاقوا مثلها في حروبهم الطويلة في ليبيا»[1].

كما ان «بيلاردينيللي» في كتابه «القبلة» لم يذكر الحقيقة عن معركة «القارة» وقد تحدث عن حملة العقيد مياني التأديبية، كأنما أراد أن يوحي بأن القارة لم يكن بها احد للدفاع عنها عندما قال:

«في تلك الآونة كان العقيد مياني قد حشد قواته في براك تمهيداً لشن حملة انتقامية على الشاطئ، إلا أنه على أثر بلوغه نبأ سقوط قاهرة سبها (28 نوفمبر) مقر المفوضية، على يد شراذم السنوسية بقيادة المهدي السني، عدل عن تنفيذ خطته، وبسبب تلك الظروف المعاكسة التي كانت تحول دون القيام بالهجوم المضاد، قرر التراجع والانسحاب الى سوكنة. ونفذ ذلك بعد وصول تعزيزات قادمة من تلك البلدة، قوامها سريتان أريتريتان بقيادة الرائد «موسيير» (الكتيبة الاريترية الخامسة عشرة)، وما أن حل مياني بسوكنة حتى تلقى بواسطة اللاسلكي نداءات ملحة من حامية أوباري تطالب بالنجدة ثم انقطعت النداءات بالكامل دفعة واحدة»[2].

(1) كتاب عمر المختار، الحلقة الأخيرة في الجهاد الوطني في ليبيا، الزاوي.
(2) كتاب القبلة، بيلاردينيللي.

نلاحظ هنا المغالطات وتعبير الشراذم وقيادة المهدي السني، وأن مياني كان ينوي القيام بعملية انتقامية، أرغمته معركة قاهرة على العدول عنها، الخ.

ولسنا في حاجة الى كلام.

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ ﴿٦﴾

صدق الله العظيم

[سورة الفتح الآيات ١ ـــ ٦]

3

الفصل الثالث

الوضع العسكري بعد معركة القارة

على الرغم من ان معارك الجهاد في ليبيا كانت كثيرة وكانت تقع في أماكن مختلفة ومتباعدة كما كانت قيادات الجهاد متعددة، وخصوصا في المنطقة الغربية والجنوب، اي في طرابلس والجبل وفزان، إلا أن الحقيقة تبقى لتؤكد أن انعكاسات نتائج المعارك تظهر مباشرة في أي مكان. ونلاحظ هنا ان معركتي القارة وأوباري كانتا السبب الاساسي في هزائم القوات الايطالية بفزان، وكانتا أيضا سبب انتصارات المجاهدين الليبيين في تينك المعركتين البارزتين في تاريخ الجهاد الوطني وهما معركتا (وادي مرسيط والقرضابية) وقد حدثتا مباشرة بعد الانتصارات التي تحققت في الجنوب، اي فزان. فقد حدثت معركة وادي مرسيط في أول ابريل 1915م وبالتحديد بعد معركة القارة بثلاثة شهور وثمانية أيام، وحدثت معركة القرضابية او بوهادي كما عرفت في أحداث الحرب أيضاً بعد معركة القارة بأربعة أشهر. وكانت القيادة الايطالية تريد من خلال القيام بهاتين المعركتين استعادة الثقة في النفس التي فقدت بين ضباطها وجنودها وعلى رأسهم الكولونيل مياني، ولكن الهزيمة كانت حليفتها.

فقد فشل مياني وانكسرت قواته في المعركتين وبالتالي فقد كل شيء، وربما كانتا سبب نهايته في الميدان العسكري على الاطلاق. فهو كان قد هرب بجزء من قواته وقيادته على أثر معركة القارة ليحل بسوكنة في مساء ذلك اليوم، أي يوم 28 نوفمبر 1914م (نلاحظ هنا ان القارة قد احتلت صباح يوم 28 نوفمبر 1914م، ومياني انتقل مساء يوم 28 نوفمبر 1914م الى سوكنة اي الى المكان الذي بدأ فيه تجمُّع القوات الايطالية بقيادته عندما كان يُعِدُّ لاحتلال الجنوب). وصدر أثر ذلك قرار الانسحاب الايطالي من

فزان وهو محاولة لانقاذ ما يمكن إنقاذه من القوات الايطالية التي اعتقدوا انها احتلت الجنوب لتبقى هناك ربما الى الابد. ولم تلحق بقية قيادة مياني به إلا بعد ثمانية أيام من انسحابه، أي أن عناصر قيادته انسحبوا من مرزق في 6 ديسمبر 1914م، والحقيقة أنها هربت بالمعنى الكامل للكلمة، بدليل أنهم تركوا الجنود غير الايطاليين في ذلك المكان يواجهون المصير المحتوم ولم يسحبوا إلا الجنود والضباط الايطاليين.

وواصل مياني سحب قواته، فغادر براك يوم 11 ديسمبر الى سوكنة ثم الى مصراتة حيث وضعت رحالها على الشاطئ يوم 25 ديسمبر 1914م، وكانت تتعرض لهجمات المجاهدين وهي منسحبة أينما حلت في الطريق، وحدث أنَّ القوات التي كانت تعسكر في غات لم تجرؤ على الانسحاب تحسُّباً لهجمات المجاهدين فلجأت الى الحدود الجزائرية لتحتمي بالقوات الفرنسية هناك.

وقد انتشرت شرارة الثورة الوطنية التي بدأت في قارة سبها وفي اوباري لتشمل كل مكان في ليبيا، وكان على الايطاليين أن ينجوا برؤوسهم فوق اكتافهم وإن كانت مطأطأة بفعل الهزائم التي لحقت بهم.

ولم تكن التلك التصريحات التي اطلقتها فرنسا سنة 1911م صادقة، بل انها لم تكن ذات جدوى، حيث قالت إن ايطاليا إذا رغبت الاستيلاء على ليبيا فسوف لن يكون عليها ان تحارب احدا، هكذا بالضبط .. ليس عليها ان تحارب أحدا، وهذه ايطاليا وقد دخلت ليبيا سنة 1911م وانتشرت قواتها في اطراف البلاد تحارب هنا وهناك، ثم تنهزم لتعود الى الشواطئ مرة اخرى بعد ثلاث سنوات من الحرب. إذن عليها أن تحارب، وسوف ترى أن حربها ستكون طويلة ومؤلمة ومكلفة، ستحارب الليبيين اثنتين وعشرين سنة كاملة وستخسر جنودها ودباباتها وطائراتها وأعتدتها في الصحاري والوديان وعلى قمم الجبال.

انتشرت الثورة وبدأ المجاهدون الهجوم على كل موقع فيه إيطالي: في كاباو وتكوت والقريات وسيناون وغدامس، وفي الجفرة وسوكنة وابي نجيم وبن

وليد ومرسيط والقرضابية وجادو والجوش ويفرن والزنتان وفندق بن غشير وسواني بن آدم وزوارة والزاوية وزليطن وسرت الخ.

كانت ثورة عارمة، وكانت لهيباً لا ينطفئ في كل مكان، ولم يكن امام الغزاة الطليان الا الهروب الى الشواطئ ليكونوا تحت حماية سفنهم الحربية ومدفعيتهم البعيدة المدى.

وبعد ان فقد مياني بريق عمله العسكري الذي قام به في بداية الغزو حيث كان قد احتل الجنوب كاملاً وما لبث أن انهزم وخرج من الجنوب كاملا، بعد ان فَقَدَ قدرته على القيادة، كلفت ايطاليا الكولونيل «بيليا» باحتلال ترهونة رغبة في تخفيف الضغط على القوات الأيطالية وايقاف اندفاع المجاهدين، ولكنه وقع بكامل قواته تحت حصار وتطويق قوات المجاهدين، وجرت محاولات نجدته للخروج من الورطة التي وقع فيها. فأرسلت الامدادات قوافل أثر قوافل وكانت جميعها تتعرّض لهجوم المجاهدين ولا تصل اليه مثلما حدث في سيدي الوليد وسوق الاحد، ورغم كل المحاولات فان المدد لم تصل الى القوات المحاصرة، ولم يكن امام الكولونيل «بيليا» الا أن ينسحب. وهكذا عرض قواته لهجمات المجاهدين الذين كبدوها خسائر فادحة.

واذا كان الكولونيل «بيليا» قد انسحب بعد أن قتل المجاهدون أعداداً كبيرة من قواته فإنّ «بريجنتي» الذي كان قد قاد القوة التي اتجهت الى بني وليد في 28 يونيو 1915م لفك الحصار عن الحامية الايطالية هناك والتي ضرب المجاهدون حصارا محكما حولها في 6 مايو 1915م، كان أسوأ حظا؛ فقد اضطر للاستسلام بكامل قواته في يوم 5 يوليو 1915م وقد قتل هو نفسه في تلك الموقعة. وحدث نفس الشيء للحامية الايطالية في مزدة التي كانت قد حوصرت ولم تتمكّن من الهرب إلا بصعوبة بالغة وتضحيات كثيرة.

ولما توسعت هجمات المجاهدين في كل مكان لم يكن أمام الاستعمار الايطالي وسلطاته العسكرية من خيار إلا أن يقرر الانسحاب من الجبل الغربي

ليعيد قواته الى الشواطئ بحيث يمكن أن تحميها البوارج الحربية الرابضة قبالة المدن. وهكذا انسحبت القوات الايطالية من يفرن في 11 يوليو سنة 1915م، ومن جادو والجوش في 10 يوليو 1915م. أما الحامية الايطالية في الزنتان فرغم كل المحاولات لم تستطع الانسحاب نظرا للحصار الذي ضربه حولها المجاهدون وهجماتهم المتكررة والقوية عليها، ولهذا استسلمت بعد أن تكبدت خسائر كبيرة في الارواح والعتاد.

وحدث نفس الشيء لحامية نالوت التي عندما بدأت تنسحب جدّد المجاهدون الهجوم عليها، فاستسلم جزء منها وهرب الجزء الآخر الى الحدود التونسية حيث احتمى الجنود وضباطهم بالقوات الفرنسية. ونفس المصير لاقته الحامية الايطالية في غدامس وما كان منها الا أن تهرب الى تونس أيضا طلبا للنجاة من هجمات المجاهدين الليبيين.

وانسحبت أيضاً القوات الايطالية من فندق بن غشير في 5 يوليو 1915م، ومن العزيزية في 16 يوليو 1915م، ومن سواني بني آدم في 17 يوليو 1915م، ومن ابي كماش والعجيلات والزاوية في 17 يوليو 1915م، ومن زليطن في 9 يوليو 1915م، ومن سرت في 16 يوليو 1915م، ومن قصر حمد في 5 اغسطس 1915م، وقد انحصر الوجود الايطالي بعد الانسحابات والهزائم والخسائر في مدينتي طرابلس والخمس فقط. هذا في المنطقة الغربية من ليبيا. وقد حدث الشيء نفسه في شرق ليبيا (برقة) حيث شدد المجاهدون ضرباتهم ضد الوجود الايطالي هناك.

وهكذا نرى أن سقوط (قارة سبها) كان سبباً رئيسيًّا في كل تلك الهزائم التي منيت بها القوات الايطالية غرباً وشرقاً وجنوباً. ويجدر بنا أن نعيد هنا ما ذكره بعض المجاهدين (شهود العيان) عن اهم معركتين حدثتا بعد سقوط (القارة) وهما، معركة (وادي مرسيط) ومعركة (القرضابية)، وقد كانتا أشد المعارك إيلاما للقوات الايطالية على الرغم من ان المخططين العسكريين الايطاليين كانوا يريدون بهاتين المعركتين استعادة الثقة في النفس وايقاف

الهجمات التي يقوم بها المجاهدون، كما اننا ايضا نودّ أن نورد ما كتب عنهما فقط لتأكيد دور هزيمة القارة العسكري والمعنوي والانهيارات التي جاءت بعد وادي مرسيط والقرضابية.

يقول المجاهد علي محمد عبد الحفيظ عن معركة مرسيط ما يلي:

كنا مجموعة من اولاد بوسيف مقيمين في العويجة وابوقيلة، والسني والبدوي مقيمين في طبقة، وبدأت الاستعدادات من قبل غريان وغيرهم من أجل الانخراط تحت الايطاليين وتجنيد فرق للقضاء على المجاهدين، وطلبوا السلاح والذخيرة، وقد زودهم الايطاليون بالاسلحة وكان معهم عدد قليل من الايطاليين، وقد قرروا أن يحصدوا محصول الشعير في وادي وسيق.

س: هل كان عددهم كثيرا؟

جـ: كانوا كثيرين ولا استطيع تذكُّر العدد، وقد اجتمع سالم بن عبد النبي مع محمد الشرع وقرروا الاستعداد للقاء العساكر. وأخذ محمد الشرع يجمع المجاهدين من أولاد بوسيف وأتباعهم، كما أخذ سالم بن عبد النبي يجمع مجاهدي الزنتان وأتباعهم. وقد كان احمد السني والبدوي من قادة الجهاد بالاضافة الى محمد المريمي (بحر السماح) وكان مقيما في زمزم. واجتمعنا واتجهنا الى فروتن في الوقت الذي كان فيه جنود الايطاليين في طريقهم الى فروتن، وبقينا في جبال فروتن مدة 10 أو 15 يوما، وكان جماعة من الزنتان يتابعون سير الحملة. وعندما قدروا الوقت الذي ستصل فيه الى مرسيط جاؤوا إلينا وأخبرونا انهم يتوقعون أن تصل الى مرسيط غدا.

س: من هم الجماعة الذين كانوا يستطلعون على الحملة؟

جـ: من الزنتان ولا أعرف أسماءهم واعتقد انهم أربعة أو خمسة رجال، وصلوا الينا وتوقعوا أن يصل الاعداء في الغد، وأخذنا الاستعدادات اللازمة، وأخفينا الابل في الجبال، ومع وقت الضحى شاهدنا العساكر يشرفون على مرسيط، وقدمت سيارتان حتى وصلتا الى فروتن، واعتقدوا انه

لا يوجد أحد، فرجعوا الى العساكر، وجمعنا أحمد السني وطاف حولنا سبعة أشواط.

س: كم يبلغ عددكم؟

جـ: بين 300 و350 مجاهدا، وبعد ان طاف سبعة اشواط قرأ الفاتحة وأعطى الاذن بالقتال، وكان معنا 10 او 12 من الخيل.

س: ما هو الوقت من اليوم؟

جـ: مع وقت الضحى وصلت مرسيط، وعند منتصف النهار وصلت الى أم العجرم، وهناك قرروا أن يستريحوا، وذهبت خيولنا مع الوادي حتى أصبحت خلف الاعداء، وأخذ بعض العساكر يجمع الحطب وبعضهم يُعِدُّ الطعام، وبعضهم يبني خيمة الضابط الايطالي وهو جالس الى جانبهم حتى وقعت رصاصة الى جواره فتساءل عن مصدرها.

ولما علموا بوجودنا أرسلوا الينا فرقة من العساكر (هنا كلمة فرقة تعني مجموعة) فأبدناها. وأرسلوا ثانية فأبدناها هي الأخرى، وبقوا في اماكنهم، وكنا نبادلهم إطلاق النار بطريقة متقطعة حتى أقبل الليل، وكنا نخاطبهم ونطلب منهم الاستسلام، ومن حين إلى آخر نطلق عليهم النار. واستمر هذا الحال الى ساعة متأخرة من الليل. وقبيل الفجر بدأوا يستعدُّون لمغادرة المكان، وسافرت الابل أولاً، وبعد فترة تحركت السيارات فتبعناهم، وكلما امسكنا مجموعة قتلنا أفرادها.

س: هل أسرتم أحداً؟

جـ: اسرنا اثنين من الايطاليين.

س: كيف كان مصير الايطاليين الاسيرين؟

جـ: أخذهم السني معه الى طبقة.

س: كم سيارة كانت ترافق الحملة؟

جـ: حوالي عشر سيارات.

س: مَن الذي كان يقول:

مـــن الغـــرب سيـــدي السنـــي ومـــن الشـــرق سيـــدي العابـــد
يـــا حصلـــتك يـــا مطـــلين حصلـــــة جمل في مجابـــــد

جـ: لا أعرف ذلك.

س: الى أي القبائل ينتمي المجاهدون الذين اشتركوا في فروتن؟

جـ: ينتمون الى أولاد بوسيف وأتباعهم، والزنتان وأتباعهم، ومعنا خمسة أشخاص من الجعافرة.

س: مَن كان رئيس الحملة؟

جـ: لا أعرفه، وبعد ذلك أوقفت الحرب مدة، ثم رجعوا ثانية وحدثت معركة تارسين، وكذلك معركة كردمين[1].

* * *

ونجد العقيد «بيلاردينيللي» يتحدث عن معارك القبلة وغيرها في كتابه «القبلة». وهذا ما ذكره عن معركة «وادي مرسيط»[2]. قال:

لإخماد نار الثورة التي كانت تهدد بالانتشار بسرعة، قررت الحكومة القيام بعمليتي تطهير على نطاق واسع، إحداهما تشمل منطقة سرت والأخرى القبلة.

وفي 31 مارس 1915م وصل المقدم «جانينا نتزي» قائد منطقة غريان الى مزدة ليقود فيلقا يتكوّن من:

1ــ الكتيبة الليبية الأولى بقيادة «النقيب سبيرنا تزانتي».

2ــ بطارية مدفعية محولة بقيادة النقيب «بولاتي».

3ــ 150 رجلا من عصابة مزدة بقيادة النقيب «تيستافوكي».

4ــ مفرزة رشاشات محمولة على الآليات بقيادة النقيب «موريللي».

5ــ 50 رجلا من عصابة يفرن وعلى رأسها «عريبي بن حمد».

---

(1) موسوعة روايات الجهاد عدد 1.

(2) كتاب القبلة ــ بيلاردينيللي.

6ـــ 32 رجل من ككله وعلى رأسهم الشاويش «مبروك».
7ـــ 405 رجال من عصابة غريان الجديدة.
8ـــ 50 رجلا من عصابة غريان القديمة.
9ـــ 32 مجندا على الخيول.

وهناك مع هؤلاء قافلة تموين.

وقد عُيِّنَ قائداً على مجندي غريان غير النظاميين «راسم كعبار».

وحالما وصل الى علم أحمد السني نبأ هذه الاستعدادات للحملة حشد في وادي تاقجة حملة تتكوّن من 400 مسلح من القنطرار وأولاد بوسيف بقيادة «محمد شرع»، والزنتان بقيادة «احمد البدوي» مع أخوي سالم بن عبد النبي (ابراهيم ومحمد) والمشاشي وفرق أخرى صغيرة، وبقي مترصدا هناك ينتظر تطور الاحداث.

وراجت شائعات مفادها أن الحكومة دعت أهالي غريان الى جني كامل محصول الشعير الذي كان قد زرعه الرحل في وديان القبلة، تحت حماية جنودنا، كما راج خبر بأن عبد النبي بالخير قد غادر ورفلله مع 400 مقاتل من ورفلله وعرض خدماته على الحكومة لتعزيز قواتها.

وفي يوم 3 ابريل غادر فيلق (جانينانتزي) مزدة، وفي يوم 6 منه وصل الى مشارف وادي مرسيط.

وأرسلت دوريات من الفرسان للاستطلاع في اتجاه خرمة الخدامية فأكدت عند عودتها خلو كامل المنطقة من أي أثر للعصاة[1]. وهكذا حط الفيلق رحاله وسط وادي مرسيط لقضاء الليلة بطمأنينة. وفي تلك الآونة بعد أن أخبر أحد مخبري القنطرار أحمد السني في نفس ذلك اليوم بنبأ اقتراب ذلك الفيلق ومعه جمع ضخم من رجال غريان، انحرف في اتجاه فروتن بعد ان

(1) هكذا يقولون دائماً عن المجاهدين ـــ **عصاة**.

أرسل حرساً لمراقبة التحركات من على مرتفعات خشم فروتن. وعندما أدرك أن قواتنا كانت تسير في محاذاة وادي الطلحة، تيقّن بما لا يتطرق اليه الشك من نوايا الحكومة التي كانت تعتزم تنفيذها، على حد رأيه هو على الاقل، فعقد العزم مع زعماء العصابة الآخرين على المجازفة بكل شيء مهما كانت النتيجة.

وعندما كان الجنود ينصبون الخيم، سمع صفير أول إطلاقة، كانت من ناحية الشرق، الامر الذي اقلق الجميع، ثم صفير إطلاقة ثانية بعد الاولى بثوان، بعدئذ جاء أزيز العيارات وانهال على المعسكر وابل من العيارات لا ينقطع.

وقد تمَّ ذلك كله في برهة، خلال ثوان معدودات فانزل الهلع في نفوس (رجال العصابات) الذين ولوا الادبار في هرب سريع وقد تبعهم بعض الجنود النظاميين، وقد اشهر الضباط مسدساتهم لاستعادة النظام والانضباط بحيث أمكن أن تشتبك الكتيبة الليبية على الفور مع رجال العصابات. تواصل القتال حتى ساعة متأخرة من المساء إلا أن عنف القتال وضراوته أفقدت الفيلق كل فعالية، وقد أُصيب قائد الفيلق نفسه بجراح كما اصيب بجراح مختلفة جميع الضباط الآخرين تقريبا، وقتل النقيب (بيناردي) من جراء عيار أصابه في بطنه. فكانت الخسائر بين الجنود وصفوف ضباطهم كبيرة جدا.

ومن واقع اقتناعه بعدم جدوى مواصلة التقدم أصدر قائد الفيلق الرائد (سارترانا) الذي خلف القائد الأصلي المصاب بجراح أوامره بالتأهب للانسحاب في حوالي منتصف الليل. ومضت الليلة هادئة نسبيا، وفي الساعات الأولى من يوم 7 ابريل شرعت الوحدات في الانسحاب تحت ستار الظلام دون أن تتعرض لشيء يذكر، إلا أنه ما أن انقضت ساعة، حتى انهالت العيارات على الفيلق محدثة الهلع والذعر في روع المجندين غير النظاميين وتلت ذلك فوضى عارمة امتدت الى قافلة التموين أيضا.

وفي الوقت الذي لم يرد فيه الليبيون النظاميون على النار بالمثل، اندفع

رجال العصابات باطلاق النار عشوائيا وبطريقة جنونية فتاهت الابل فترك الحداة حمولتها واطلقوا سيقانهم للريح، كما انطلق جنود العصابات فارين في كل الاتجاهات، ووسط هذه الفظائع والدماء التي عتمت جو ذلك اليوم النحس، صدر عن أحمد السني عمل إنساني ربما الوحيد الذي صدر عنه طوال حياته كعاصٍ متمرد لصالح ثلاثة من مواطنينا الجرحى.

حصل أن تمكن العصاة من الاستيلاء بالقرب من وادي مرسيط على إحدى الشاحنات المحملة بالجرحى (الملازم طبيب الفيلق الدكتور فيلتريه، الذي كان مصاباً بجراح خطيرة في بطنه ونائب العريف وأحد جنود المدفعية، الذي كان في حالة خطرة، وسائق الشاحنة المصاب بجراح هو الآخر، ولكن كانت خفيفة) عند اقتيادهم تحت ظل شجرة بلح، وكانت الوحيدة هناك، وعندما كان العرب سكارى بنشوة المذبحة وفي نيتهم التنكيل بهؤلاء التعساء تدخل في الوقت المناسب احمد السني وشق طريقه وسط القطيع من الوحوش الضاربة ليقترب من الجرحى ويتوجّه الى الطبيب الضابط يقول له: «إنك مصاب جريح وحالتك خطرة وسيئة ومثلك أيضا رفيقاك الآخران، وأنا لست طبيبا وليست لدي الأدوية لعلاجكم، سأرسلكم الى مزدة حيث يمكن إسعافكم وعمل اللازم لمداواتكم»[1]

قال ذلك وامر بنقل الجرحى على نفس الشاحنة وإنزالهم في الملاقى (على بعد 25 كيلومترا من مزدة) مع الزام السائق بالعودة مع شاحنته، ولضمان ذلك بعث في حراسته اثنين من الجنود المسلحين.

بعد هذه المعركة شرع العصاة في حصاد الشعير وتم إخلاء سبيل الجنود مع السماح لهم بالعودة الى مزدة [2] وبقي في حماية الشيخ البدوي اثنان

(1) رغم كل المعاملة الطيبة ونقل الجرحى الى مزدة للعلاج فإن هؤلاء المجاهدين في نظر هذا الضابط الايطالي (وحوش ضارية) وقتلة متوحشون وعصاة.

(2) قال ان الفيلق عندما انسحب لم يتعرض لشيء يذكر ثم ناقض نفسه وقال انه بعد أقل من ساعة تعرض لهجوم شديد وقاس وقد جرح جميع ضباطه وفر مجندوه غير =

من مواطنينا ارسلا فيما بعد الى ترهونة مع اسرى آخرين قبض عليهم في الجبل وسلموا الى (صفي الدين السنوسي).

إن انكسارنا في وادي مرسيط ويوم قصر أبي هادي بمنطقة سرت الذي لا يقل عنه إيلاما قضيا على قواتنا بالكامل، بسبب ما لحق بها من خسائر فادحة في الارواح والعتاد، وكانا علامة زوال نفوذنا وهيبتنا في جنوب القبلة والمنطقة الشرقية من مستعمراتنا، وظهرت النتائج على الفور خاطفة ومدمرة.

عززت السنوسية فيالقها بالعصابات المتمردة، والتهب الجبل، وهوجمت ترهونة وبني وليد وضرب الحصار عليهما، وعجزت قواتنا عن الهروع لفك الحصار، ثم تلىٰ ذلك خروج حامية ترهونة، وإبادتها عندما حاولت الوصول الى الساحل (18 يونيو 1915م) تزايدت محاولات العصاة لحمل اهالي القبلة الذين ما زالوا موالين لنا على التمرّد، وعاد الزعماء ومسلحوهم من اهالي القبلة ظافرين الى أراضيهم وكانت مزدة تنتظر عودة المهدي السني.

والحكومة من واقع تأثرها وانفعالاتها من جراء تلاحق الاحداث قررت إخلاء مزدة هي الأخرى التي تهددها التطويق وأصبح مدها بالمؤن والاسلحة في منتهى الصعوبة يوما بعد يوم.

وفي منتصف شهر يونيو غادر غريان فيلق قوي بقيادة العقيد (نيقرا) قاصدا تشه، وما ان وصلت هذه الوحدات بوغرة حتى تصدّى لها (محلات) مقاتلي القبلة المتلاحمين فيما بينهم بقيادة الشيخ ابي بكر قرزة ومحمد بن الحاج حسن (مدير المشاشي في عهدنا) والذي انحاز الى معسكر العصيان، وأمر العقيد (نيقرا) كتائبه بشن الهجوم، فنشبت معركة ضارية تواصلت الى المغرب تقريبا، وأسفرت عن انتصار قواتنا فانسحب العصاة صوب الشقيفة عبر (وادي اللا).

= النظاميين، وان المجاهدين أطلقوا سراح الاسرى بعد الحصاد وهذا يدل ان الجنود الايطاليين حصدوا الشعير للناس.

وبعد احتلال هذا المخنق واحكام السيطرة عليه ارسل قائد الفيلق الى مزدة سريتين ليبيتين لتغطية انسحاب الحامية من هناك (الكتيبة الثانية من المتطوعين) ومرافقتهم، وفي 21 يونيو قفلوا عائدين الى غريان دون ان يعترض سبيلهم أحد. (الكلام لا يزال لبيلاردينيللي).

ويضع الكاتب ملاحظة هامشية على الصفحة (١٥٨) من كتابه فيقول: بعد معركة وادي مرسيط كان البدوي قد عاد الى الطبقة، وعلى أثر انتشار شائعات مفادها أن عدداً كبيراً من زعماء الزنتان وأعيانهم قد اعتلقوا وشنقوا، صعد مسلحو الزنتان الرحل شمالا نحو الطبقة، فاقتفى أثرهم البدوي ليصل الزنتان بعد انقضاء ثلاثة أيام على حصار الحامية هناك.

وبواسطة إحدى النساء (ذكر لي ذلك هو فيما بعد) بعثت الى النقيب «ميليو» أكثر من رسالة أحثُّه فيها على الاستسلام، مع تعهدي بانقاذ حياته وحياة جنوده الذين معه فلم أتلقّ أي ردّ منه.

ولقد حاول الخروج ليلا ولكن عدد الجنود كان كبيرا، فلاحقناه وحاصرناه حتى القينا عليه القبض وامرت رجالي من الزنتان ان يتوقفوا عن القتال، ليس ذلك فحسب بل عملت على ترجيع جميع الاشياء التي كانت قد سرقت[1] من الايطاليين، اليهم.

بعدها قلت للنقيب إنه لو استجاب لرسائلي لما كان قتل اي جندي، أجابني بأنه لم يكن ممكناً أن يثق فيها، وربما لم يكن مخطئا تماما في اقتناعه هذا.

في تلك المناسبة بناء على استدعاء «فكيني» كان عليَّ أن أسرع الى فساطو لأمنع خليفة بن عسكر من نهب المؤن المخزونة لإطعام الأسرى، فجمعت هذه المؤن مع ما جمعه خليفة بن عسكر وأرسلتها الى يفرن فكتب اليّ

(1) نلاحظ انه يسمي الغنائم (سرقة) فقد سلم الجنود أو استسلموا بعد قتال وما كان معهم لا بد أن يكون غنيمة، إلا أنه مع ذلك يسميه سرقة، أما كلام السيد البدوي فقد قاله بعد ان انتهت الحرب وحكم الايطاليون وبالتالي فلا بد أن تكون فيه مداهنة.

عابد السنوسي بواسطة سالم الدناع يشعرني بأنه يريدها ولكنني فضلت إرسالها الى الطابونية بسبب بعد مقره عنا.

ويتحدث الاستاذ التليسي عن معركة وادي مرسيط فيقول:[1]

على إثر الثورة التي اندلعت في القبلة والجنوب، وأدّت الى انسحاب الحاميات الايطالية بالدواخل، وتقلّص النفوذ الايطالي أبدى الوالي (الجنرال تاسوني) محاولات يائسة للتشبث بالمواقع التي كانت بيد الايطاليين، وكان يستجيب في ذلك الى توجيهات الحكومة المركزية التي هالها انهيار الوضع، وإلى شعوره الشخصي بعدم وجود ما يبرر هذه الانسحابات الواسعة، وقد اندفع تحت تأثير هذا الشعور المغرور، الى تشكيل قوتين كبيرتين للقيام بعمليتين حربيتين رئيسيتين في القبلة ومنطقة سرت، وقد انتهت الأولى بالهزيمة المنكرة التي تعرضت لها القوة الايطالية في خرمة الخدامية ووادي مرسيط، والثانية في معركة القرضابية المشهورة، وتعترف المصادر الايطالية الرسمية بان الواقعتين قد سجلتا نهاية النفوذ الايطالي في القبلة ومنطقة الخليج، وأدتا الى تراجع الاحتلال الايطالي وانحساره في بعض المراكز الساحلية،

وكانت قد صدرت التعليمات الى الكولونيل جانينزي (قائد منطقة غريان العسكرية) بالتحول الى مزدة، لمطاردة المجاهدين المنتشرين في تلك المنطقة، والعمل على إخماد الثورة التي أخذت في التصاعد والانتشار. وقد تحرك من مزدة يوم 3 ابريل بقوة تتألف من 1400 مسلح نصفهم من غير النظاميين، لضرب محلة للمجاهدين كانت تتألف من أربعمائة مسلح، كانوا قد تركزوا في وادي تاقجه، بين قنطرار وأولاد ابي سيف لمواجهة زحف هذه القوة، الايطالية. وفي يوم 6 أبريل 1915م وصلت القوة الايطالية الى وادي مرسيط وأرسلت بعض طلائعها للاستطلاع ورصد وجود المجاهدين. وعندما اطمأنت بعدم وجود أية قوة للمجاهدين في المنطقة أخذت تنصب خيامها عند الساعة الرابعة في وسط الوادي لتمضية الليل به.

(1) معجم معارك الجهاد في ليبيا، خليفة التليسي، دار الثقافة، بيروت.

وفي هذه الأثناء كان أحمد السني قد زحف بقوته من المواقع السابقة نحو فروتن وأقام بعض طلائعه في الموقع المعروف باسم (خشم فروتن). وبينما كان جنود القوة الايطالية منصرفين الى نصب الخيام، فوجئوا بصوت إطلاق الرصاصة الأولى ثم الثانية والثالثة، فأثار ذلك روح الفزع في معسكر العدو الذي أخذ الرصاص يحصده من كل مكان.

ويقول الكولونيل «بيلاردينيللي» في وصفه لهذه المعركة في كتابه، القبلة:

«لم يستغرق كل ذلك سوى لحظات قليلة، ولكنه أثار الفزع بين القوات غير النظامية التي لاذت بالفرار بعد ان جرّت معها بعض أفراد القوة النظامية. وقد اضطر الضباط الى استخدام السلاح وشهر مسدساتهم في وجه الجنود النظاميين لالتزامهم بالصمود ومواجهة المجاهدين. واستمرت المعركة عنيفة قوية حتى ساعة متأخرة من المساء، وقد قضى عنفها على كل إمكانيات القوة الإيطالية، وعطّل فعاليتها، فقد جرح القائد الايطالي، وجرح كل الضباط الايطاليين، كما قتل بعضهم الآخر، وانتقلت القيادة الى الماجور «سيرتيرانا» الذي أمر بالانسحاب والتراجع ليلا نحو مزدة، وما كادت تبدأ الساعات الأولى من اليوم التالي 7 ابريل 1915م حتى اخذت الافواج الأولى من هذه القوة الباقية تتسلل تحت جنح الظلام نحو مزدة، وحين بدأت تقطع المراحل الأولى من الطريق تعرَّضت الى رصاص المجاهدين الذي أثار لديها شعور الفزع، وسيطرت الفوضى على صفوفها فشردت الابل وتخلّى الجمالون عن الاحمال، وتفرّقت القوة غير النظامية. وفي المساء دخلت بقايا هذه الجماعة المشتتة الى مزدة بلا ذخيرة ولا أمتعة وبلا مؤن ولا مدفعية».

لقد كانت هذه المعركة ومعركة القرضابية نهاية للهيبة الاستعمارية الايطالية، وكانت هزيمتهم بهذه الموقعة من أفدح الهزائم التي لحقت بهم في تاريخهم الاستعماري بليبيا بالنظر الى النتائج الخطيرة التي ترتَّبت عنها، ولم تستطع القوات الايطالية أن تعود الى هذه المنطقة إلا في نطاق الحملة الثانية، 1924م.

وتوفَّرت الأجهزة الحربية الاستعمارية الإيطالية على دراسة الاسباب الكامنة وراء هذه الهزيمة فانتهت الى تحديد العوامل التالية:

1ـــ ضعف جهاز المخابرات وقلّة المعرفة بأحوال السكان وأوضاع المنطقة وعدم تقدير الامور والتقدير الصحيح لقوة المجاهدين وتنظيماتهم.

2ـــ الطريقة الساذجة التي اتبعت في تجنيد القوات غير النظامية التي كانت تضم عناصر حاقدة على الايطاليين.

ولا بد هنا من الاشارة الى أن الدور الذي قامت به القوات غير النظامية في الانهزام السريع وعدم الالتزام بالمحاربة في المعركة، هو الذي قرر وَضْع المعركة وترجيح الكفة لصالح المجاهدين، وهو دور يشبه الى حد بعيد الدور الذي قامت به بعض العناصر الوطنية في معركة القرضابية، ومع تقدم معركة وادي مرسيط زمنيا.

وعن معركة القرضابية يقول الاستاذ التليسي: تُعرف في كافة المصادر الايطالية باسم معركة قصر أبي هادي، والموقع قرب سرت.

لم تكن القرضابية أعظم المعارك في تاريخ الجهاد من حيث وزن القوات المشتركة فيها وحجمها، فقد تقدّمتها معارك في بداية الجهاد، كانت اكثر ضخامة وأشد هولا، وأكبر مستوى ولكن القرضابية أعظم المعارك في تاريخ الجهاد من حيث توحُّد القوى الوطنية فيها (الشرق والغرب والجنوب)، ومن حيث النتائج الضخمة التي ترتَّبت عليها، وانتهت الى تلك الكارثة الشاملة التي لحقت بالاستعمار الايطالي وأدَّت الى انسحابه واقتصاره على بعض النقاط الساحلية بطرابلس وبرقة، وهي فترة امتدّت في حساب الزمن اكثر من ثماني سنوات أي حتى استئناف العمليات الحربية الايطالية التي عرفت باسم عمليات الاسترداد والتي بدأت بالنزول في مصراتة البحرية (قصر أحمد) وانتهت بإعدام عمر المختار ونهاية المقاومة في الجبل الاخضر، والمناطق الشرقية والجنوبية.

وعلى الرغم من أن أغلب المصادر الايطالية تتغاضى عن هذه المعركة،

ولا تعطيها حقها في التفصيلات التي ظلت قاصرة على الوثائق الرسمية فإنها تتّفق بأن تلك الهزيمة النكراء قد سجلت نهاية لِهَيْبة إيطاليا ومركزها الاستعماري في الدواخل، وهي تُجمع على أن ايطاليا أصيبت فيها بأفدح الخسائر وأقسى النتائج التي ظلت تتلاحق آثارها حتى المراحل الاخيرة من الجهاد، وجعلت من عمليات الاسترداد عمليات حربية جديدة لا تقلّ حجماً وتكاليف عن عمليات الغزو الأولى.

ويرتبط واقع هذه العملية الهامة بالفشل الذريع والاخفاق الكبير اللذين انتهت اليهما حملة الكولونيل «مياني» على فزان، نتيجة للمقاومة التي قادها وأشعلها المجاهد الورع محمد بن عبدالله البوسيفي الذي تصدّى لحملة «مياني» في معارك الشب وأشكدة والمحروقة التي استشهد فيها خاتما بذلك سلسلة طويلة من المواقف الوطنية الصادقة التي رفضت الاستسلام والقبول بالصلح وأعلنت الاستمرار في الكفاح والنضال ضد القوات المعتدية. ومن المعروف أن هذا المجاهد قد انتقل برجاله الى الجنوب، بعد أن شارك في معركة الاصابعة (جندوبة) رافضاً الاستسلام والدخول في المساومات السياسية فتصدّى لحملة «مياني» واستطاع أن يثير في وجهها مقاومة ظلت مستمرة حتى بعد استشهاده في محروقة وأدّت الى قطع الطريق على هذه الحملة وانتهائها الى الفشل التام والانسحاب الكامل من الدواخل، خاصة في مناطق الجفرة وفزان عند نهاية 1914م و 1915م، وإزاء هذا المدّ الثوري العنيف الذي هز أركان الوجود الاستعماري في تلك المنطقة وفشل تلك الحملة التي حاول بها مياني، أن يعيد أمجاد القائد الروماني (كورنيليو بالبو) حاولت الحكومة المركزية العمل على الاحتفاظ بالمواقع المحتلة، والتمسك بها واعدت حملتين كبيرتين للقيام بعمليات تطهيرية في القبلة ومنطقة سرت، وقد انتهت الحملة الأولى الى الهزيمة التي أصيبت بها القوات الايطالية في (وادي مرسيط وخرمة الخدامية) (7 ابريل 1915م) وهي المعركة التي سجلت بداية الهزيمة التي ختمت فصولها في القرضابية.

أما الحملة الثانية فقد قام على رأسها الكولونيل «مياني» سعيا وراء استرداد مجده العسكري وكرامته المجروحة وإعادة مركزه الذي اهتز بعد الانسحاب من فزان، فتحرك في مستهل إبريل من مصراته بقوة كبيرة من الايطاليين والاريتيريين والمحلات الليبية التي جنَّدها من مصراتة وترهونة وزليطن وورفلة.

وتتألف الحملة من 84 ضابطاً و900 جندي ايطالي ومن 2089 جندياً نظامياً من الملونين وغير الايطاليين و3000 من رجالات المحلات التي جنَّدها مياني بالاضافة الى 205 فرسان منهم، وكان لدى الحملة 12 قطعة مدفعية وقسما مدافع رشاشات تتبعها قافلة من الذخيرة والمؤن تتألف من 2000 جمل وعدد آخر من البغال والعربات. ومن مقارنة هذه القوة الكبيرة بقوة المجاهدين التي تقدرها المصادر الايطالية بألف وخمسمائة يتبيّن مدى الخطر المحدق بهؤلاء المجاهدين لو لم تنثن المحلات الوطنية على القوة الايطالية فتحول بذلك الموقف من كارثة محققة الى الجانب الوطني الى نكبة قاضية على الاعداء، هكذا نرى أن معركة القارة كانت الضربة القوية التي وجهت الى العمود الفقري للقوات الايطالية فخلخلت كل شيء: الوجود العسكري الايطالي في الجنوب وفي القبلة ثم في الوسط وفي الغرب وعلى الجبل الغربي وكذلك الحال في المنطقة الشرقية من البلاد، مياني وضباطه فقدوا الثقة في أنفسهم وفي جنودهم واسلحتهم أمام مقاتل ليبي لا يملك إلا بندقية بدائية أمام أسلحة متقدمة وجنود متدرّبين وضباط تخرجوا من كليات حربية، كانت (قارة سبها) وبعدها معركتي (وادي مرسيط) و(القرضابية) المعارك الثلاث المتتالية التي سرَّعت بندال الساعة لصالح المجاهدين وسببت هزيمة جيوش روما، وسنرى كيف أن ايطاليا بكل قضها وقضيضها، بكل دباباتها وطائراتها وجنودها وجنرالاتها لم تتمكن من استعادة موطئ قدم على أرضنا الطيبة إلا بعد حوالي عشر سنوات من القتال المتواصل بكل ذلك الهيلمان.

وصدق الشاعر العربي:

كل امرئ يولي الجميل محبب ... وكل مكان ينبت العز طيب

يا لها من سقطة أيها المواطنون ...
شملتنا جميعا، أنا وأنتم ..
بينما كانت الخيانة تترعرع فوق رؤوسنا
لقد انتقلت سلطة الحكم الى الوحوش الكاسرة
وفقد الناس عقولهم

شكسبير

(من مسرحية يوليوس قيصر)

4

الفصل الرابع

التخطيط والمواجهة والمعارك

عرفت عن الشيخ سالم بن عبد النبي الناكوع الدقة في التنظيم والحذر الشديد والبحث في أدق التفاصيل قبل الإقدام على أي عمل خصوصاً في ميدان القتال، وكان ينتقي رجاله، وحتى بين أولئك الذين ينتقيهم يحدِّد لكل مقاتل أو عدد من المقاتلين أدوارهم. وكان دائما في المقدمة كما حدث في معركة (سواني بني آدم) وهي أولى المعارك التي اشترك فيها أغلب المجاهدين من طرابلس والجبل والساحل، وفي تلك المعركة كان المبرز على رفاقه من قبيلته، ولا نقول القائد. ذلك أن القيادة أكدها فيما بعد من خلال المعارك التي خاضها، وقد استشهد سبعة من رفاقه الأقارب، وهم: مسعود الناكوع ومحمد بالطويرات وعمر بالطويرات والزروق الماترسي وحمد الجبو والداهش القرج وابراهيم القرج. ولم يخرج من المعركة او ينسحب الا بعد ان دفن اولئك الشهداء ونقل معه بنادقهم. وهذه تفاصيل اعداده واستعداده كما روتها ابنته الكبرى السيدة (عنايا) حيث قالت:

كنت دائما أعتني بفرس والدي فهو لا يطمئن إلا إذا أشرفتُ على إعداد ما يحتاج في رحلته بما في ذلك سرج الفرس، وعندما قرر الذهاب الى القتال في سواني بني آدم كان معه رجال قبيلته ومنهم أقاربه الذين استشهدوا في تلك المعركة، وقد ذكرتهم. ولم تكن هناك خلافات في ذلك الوقت بين المجاهدين الليبيين اذ كانوا جميعا يتجهون الى مقاتلة الايطاليين أينما كانوا. ولم تظهر الخلافات إلا بعد أن استقر الطليان في بعض المناطق بعد بداية غزوهم لليبيا، وقصفوا أغلب المدن الليبية بالقنابل من بوارجهم في البحر، وكانت معركة سواني بني آدم قد جاءت مباشرة بعد اتفاقية (اوشي —

لوزان) التي وقعت في 18 اكتوبر 1912م، وتخلّت على ضوئها الحكومة التركية عن مسؤولياتها في ليبيا بينما لجأ بعض الضباط الاتراك الوطنيين الى الدواخل لتنظيم عملية الجهاد الوطني وتدريب الليبيين على استخدام الاسلحة.

وعندما زحفت القوات الايطالية (بعد توقف للاعداد والاستعداد) على المناطق التي كانت تراها مهددة لوجودها آنئذ، جرت معارك عديدة في كل من العزيزية وفندق بن غشير وزوارة ورقدالين وزلطن وزليطن وتاورغاء والعجيلات والزاوية وترهونة وسرت وبني وليد. وبعد أن اشترك الشيخ سالم في معركة سواني بني آدم واستشهد أغلب رفاقه الذين كانوا معه، بدأ مع غيره من قادة الجهاد يعدُّون لمعارك الجبل الغربي إذ كان مفهوماً ان الايطاليين سوف لن يهدأوا ما لم يتقدموا لبسط سيطرتهم على الجبل الغربي وبقية المناطق التي لم يصلوا اليها بعد. هكذا حدثت معركة (جندوبة) وكانت هذه المنطقة هي بداية الهجوم على الجبل. ولقد حدثت في 23 مارس 1913م وبعدها جاءت بقية المعارك، (يفرن في 27 مارس 1913م، الزنتان في 5 ابريل 1913م، جادوا في 6 ابريل 1913م، ثم نالوت في 12 ابريل 1913م)

وحدث نفس الشيء في بئر الغنم والجوش، وانتهى الأمر بالاستيلاء على غدامس في 27 ابريل 1913م. وهكذا فإننا نبدأ بالقاء الضوء على معركة (سواني بني آدم) ثم معركة (جندوبة).

لم تكن الحرب في سواني بني آدم والمعارك التي خاضها المجاهدون متكافئة بأي معنى لان المجاهدين لم يكن لهم سابق معرفة أو عهد بالمدفعية بعيدة المدى أو ربما بالمدافع على الاطلاق، وقد اعتمد الايطاليون على القصف المدفعي الكثيف الذي قامت به سفنهم الراسية على الشواطئ. ولذا كانت خسائر المجاهدين كبيرة ولقد اندفعوا للمشاركة في هذه المعركة وجاؤوا من كل مكان دون نظام أو تدريب مما لا يتناسب مع وضع الحرب النظامية، لانهم في هذه المعركة يواجهون قوات إيطاليَّةً مزوَّدة بأسلحة حديثة ومتقدمة ويتعرَّضون للقصف المدفعي.

كان هناك بعض الضباط الاتراك ولكنهم كانوا غير قادرين على تنظيم الناس وقيادة المعركة دون اعداد واستعداد، ورغبة المجاهدين في القتال والاستشهاد كانت غالباً تربك هؤلاء الضباط ولم يكن أمامهم إلا تنبيه المجاهدين الى مخاطر وتأثير المدافع والقنابل التي تنطلق من البوارج الحربية الايطالية. ولذلك كانت الخسائر في صفوف المجاهدين كبيرة. (هذا ملخص ما ذكرته السيدة عنايا ابنة الشيخ سالم بن عبد النبي الناكوع، وهي كانت قد سمعته من والدها عندما كان يتحدث عن تلك المعركة واستشهاد رفاقه في سواني بني آدم).

ويقول المجاهد رحومة علي ابراهيم الحسومي عن **معركة سواني بني آدم** ما يلي[1]:

حين حدثت الحرب في سواني بني آدم ذهبت مرة أخرى الى الحرب حين جاء دوري، وقد حدث اجتماع بين المريض والسويحلي وآخرين وبين ضابط إيطالي يدعى (بيلا)، إلا أنهم لم يتوصلوا الى صلح، وذهبنا نحن مع مختار كعبار الى مكان يسمى بئر عبازة، وبعد أيام رجع مختار الى غريان وبقينا نحن.

ويضيف، في رد على سؤال: هل حضرت معركة السواني هذه؟

نعم، انسحب الايطاليون الى البحر ورابطت الفرقاطة بين الزاوية وجدايم واستمرت تضرب مواقع المجاهدين من حين الى حين مدة ثمانية أيام. وبعد ان هجم المجاهدون على المواقع الايطالية انسحب هؤلاء من الرأس الاحمر ومن البحر وكنا نظنهم قد ذهبوا، إلا أن الايطاليين تمركزوا في صبراته وبقيت أماكنهم نكرر عليها الهجوم من آن لآخر. ولكن عبدالله المسماري نهانا عن ذلك وقال: ربما يفاجئكم الفرسان الايطاليون، وقد حدث أن هجم ثلاثة فرسان من ترهونة على مجموعة من الاحباش فهرب الاحباش الى البحر، أما الفرسان الثلاثة فقد نزل احدهم عن فرسه وربطها الى احدى الشجيرات

(1) موسوعة جهاد الليبيين، 1.

أما الاثنان الآخران فما زالا راكبين، وفي هذه الاثناء فوجئوا بالصواري يندفعون نحوهم ففر الاثنان وشردت فرس الثالث وصاحبها استشهد. وحين نزل الايطاليون في صبراتة بعث عبيدة المحجوبي رسالة الى عبدالله المسماري في الزاوية يخبره فيها بنزول الايطاليين الى صبراتة ويطلب منه ان يأخذ حذره من الالتفاف عليه، وكان مع عبدالله المسماري مجموعة من الاصابعة بالاضافة الى مجموعة من العساكر. فرحل عن الزاوية ونزل في مكان بين المطرد وصرمان وهناك التقوا بالايطاليين اول الليل واستشهد محمد الوحيشي الاصيبعي وقد قدم الينا أحد هؤلاء الفرسان لانه كان قد تاه عن رفاقه وكانت لدينا رشاشة وبعض الاسلحة.

ويقول المجاهد موسى الفقيه حول أحداث معركة سواني بني آدم ما يلي:(1)

قدم الينا ضابط تركي وأخبرنا عن مجيء الايطاليين الى طرابلس فهبَّت الناس الى الحرب بكل ما تملك من أدوات القتال، ولم يكن لنا مكان تجمُّع، بل هبَّ كل منا قاصداً طرابلس إذ اننا ذهبنا الى الرابطة ومنها قصدنا طرابلس. كانت لدينا بعض الاسلحة مثل بوصوانة وحين وصولنا الى طرابلس استلمنا السلاح. رحلتنا استغرقت يومين. بتنا الليلة الأولى في بني آدم والثانية في طرابلس، بعد ذلك اصبح مركز المجاهدين في بني آدم والمشاة في بن غشير، الباروني وسوف وفرحات وبن عسكر، هؤلاء كانوا رؤساء الحرب، وكنت أنا والفيتوري بن عبدالله تابعين لحميد ظافر ضابط من الشرق، وفي الوقت الذي كان الايطاليون يقصفون مدينة طرابلس أطلقت الحكومة التركية المسجونين وفتحت مخازن الاسلحة وأهابت بالمواطنين أن يتسلحوا وحدثت معارك الهاني وسوق وقوز زناتة، وكانت حامية الوطيس. حدث مرة أن كان واحد من مجموعتنا يسمى جمعة خويطر وأخي عيسى وكان جمعة يعالج شخصا من ككلة (علاج محلي). وهم على هذه الحالة أنذرهم الضابط التركي وصاح

(1) موسوعة جهاد الليبيين 1.

بهم (كانون كانون) يعني مدفع خذوا بالكم، وقبل أن يتعدوا أصابت موقعهم قذيفة، وبعد ان هدأ القصف أخذ أخي عيسى وشخص آخر من ككلة يتفقدون حالة الباقين من رفاقهم وعندما رجعوا وجدوا جمعة مثقلا بجراحه ورفيقه الآخر قد غطته الرمال. ويضيف:

مكثنا مدة طويلة في سواني بني آدم وكان معنا ضابط تركي اسمه (كريم شاوش) يتكلم العربية بطلاقة، وكان صديقي. واستمرينا الى أن جاء الصلح الذي أبرم بين تركيا وايطاليا، وغادرنا الضابط والجنود الاتراك وكان كريم شاوش أحدهم فكان يبكي متأثرا أشد التأثر.

ويحدثنا المجاهد علي أحمد إبراهيم عن معركة سواني بني آدم فيقول:

دخل الايطاليون طرابلس والتجأ الاتراك الى الدواخل وتسلّحوا من مخازنهم في العزيزية وغريان وهب المجاهدون من جهات مختلفة وتمركزوا في سواني بني آدم. وكانت الارزاق تأتي الى المجاهدين من تونس، وتشتمل هذه الارزاق على الدقيق والشاهي وغير ذلك من المواد. وكانت تأتي بها القوافل من بن قردان وقد سدت حاجة المجاهدين الموزعين على سبعة أقسام: قسم الزنتان، وقسم الرجبان، وقسم أهل الجبل برئاسة الباروني، وقسم غريان برئاسة الهادي كعبار. وردا على سؤال، من كان يرئس محلتي الزنتان والرجبان، أجاب: رئيسهما الشنطة وفكيني، ومحلة المشاشة رئيسها ابو بكر قرزة، ومحلة المرابطين رئيسها حمد بن عبدالله، ومحلة أخرى من جهة الجنوب لا أعرف من كان يرئسها. وفي كل مرة يخرج الينا الايطاليون ومعهم الاحباش، كنا نسحق هؤلاء سحقا تاماً ويستمر الاشتباك من الصباح الى غروب الشمس، ثم يرجع الايطاليون من حيث أتوا وينقل المجاهدون جرحاهم.

اما **معركة جندوبة** فيتحدث عنها المجاهدون كالتالي:

يقول المجاهد أحمد رمضان[1]:

(1) موسوعة جهاد الليبيين 1.

نصب الايطاليون متاريزاتهم بالقرب من قريتنا هذه باعتبارها آخر قرى غريان من جهة الغرب، وتعرض الايطاليون لهجوم من قبل أولاد بوسيف ومعهم الكليبة ومسوفين في مكان يسمى (هنشير المرعاش) وقد استشهد حوالي اربعة من أولاد بوسيف وثلاثة من الكليبة، اما الباروني وبن عسكر فقد رفضا الصلح وتمركزا في بطومة الشيخ، وقد جاء بن عسكر بقوته عن طريق وادي الارباع. اما المرابطون والزنتان فقد تمركزوا في (هنشير المرعاش) وكنت أنا موجوداً في سهل قطيش، والتحقت بالقوات التي كانت مع بن عسكر، وقد استدعيت من قبل خليفة بن عسكر لأكون خبيراً. واتصل الشيخ عامر العجيمي وأبلغني أنه يريد الاستعانة بي لخبرتي بالارض. وافقت على ذلك، وقال لي خليفة بن عسكر: إذن أنا أريدك أن تذهب مع هذه القوة التي تنوي الهجوم على كردون الطليان، وكانت أرض الاصابعة مليئة بالمجاهدين من مختلف مناطق الجبل. ذهبت مع مجموعة المجاهدين البالغ عددها 1000 مجاهد. وحين اقتربنا من موقع الكردون ذهبت أنا وأربعة من المجاهدين. وحين اقتربنا اكثر من مواقع الايطاليين أحسُّوا بنا وبدأ إطلاق النار واستمر المجاهدون الذين هم في أماكن مناسبة في اطلاق النار. أما الذين هم في مواقع مكشوفة فقد تراجعوا قليلا، وبقينا نحن، وعددنا 80 مجاهدا، قرابة خمس ساعات في مواقعنا وكان اغلب هؤلاء من اهالي نالوت وقد استشهد منهم اثنان.

وفي يوم معركة جندوبة كان الأعاقيب ودنون الى جانب قوات خليفة بن عسكر وقد اشتبكوا مع الايطاليين في جندوبة في المكان الذي يشيد عليه الآن مبنى معسكر جندوبة. وقد مات من الايطاليين ما يزيد على ثلاثمائة واستشهد كثيرون من المجاهدين، واخيرا تقهقر المجاهدون بسبب نقص العتاد. ويضيف قائلا، ومن الفظائع التي ارتكبها الايطاليون أن اربعة من اولاد بوسيف التجأوا الى كهف بهنشير العنب ولم يخرجوا منه، فأوقد الايطاليون النار في هذا الكهف ومات الاربعة مختنقين بداخله. واستمر الايطاليون حتى الحدود

الغربية ثم اتخذوا من غريان مركزاً لهم وبعدها اتجهوا صوب مزدة، ومن مزدة ارادوا التوغل في القبلة.

وجنّد الايطاليون جنودا لهذا الغرض من غريان ومن اهل الشط ومن اهل ورشفانة ما يقارب ثلاثة آلاف كان رئيسهم راسم كعبار، اتجهت الى القبلة وحين وصلت الى جبل يسمى فروتن وقد اوشكت الشمس على الغروب أرادت الحملة ان تستريح للمبيت اسفل تل فروتن. وما كان يدري قادة هذه الحملة أن المجاهدين من الزنتان والمرابطين وغيرهم يتمركزون على قمة هذا التل. وحين حان المغرب كان أحد المجاهدين من الزنتان ينادي بصوت عال ما نصه: (يا أهل غريان، يا اهل الشط، يا ورسفانة اتركونا والطليان) وتساءل الايطاليون المرافقون للحملة عما يقول هذا؛ وبدأت الهواجس تأخذ مأخذها وكان هذا الزنتاني يدعى (الكبار) وبدأ يهزج ويقول:

مـــن الشـــرق سيـــدي السنـــي ومـــن الغـــرب سيـــدي العابـــد
يـــا حصلـــتك يـــا مطـــلين حصلـــــة جمل في مجابـــــد

واراد الايطاليون الانسحاب دون أن يعلموا الحملة بذلك. ولما اتضحت نية الايطاليين فر المجندون، وفي الصباح تبعهم المجاهدون ولحقوا بهم وتمكنوا من أسر خمسة أشخاص من غريان من بينهم شخص يدعى عبدالله بن حسين، وتبعوهم حتى قاربوا مزدة. حينها رجع المجاهدون لوجود الايطاليين بها.

بعد هذه المعركة أقدم الايطاليون على إرسال حملة اخرى لم يعترضها احد حتى وصلت الى فزان.

ونجد بيلاردينيللي يصف تلك المعركة وهو إيطالي عاصر الحرب بشكل آخر في كتابه الذي اصدره بعنوان، «القبلة» فيقول:

في 23 مارس 1913م هاجم أحد فيالقنا القادمة من العزيزية الحشود العربية البربرية[1] المنتشرة ما بين منطروس والرابطة، فيما أنزل في نفس اليوم فيلق

(1) كلمة البربرية يعني بها المؤلف هنا تعبير (الهجنية أو الفوضوية).

آخر بقيادة الجنرال ليكويو الهزيمة بمقاتلي القبلة المعتصمين في مواقعهم على وادي جندوبة.

على اثر صفير اول الاطلاقات (هكذا قص عليّ الشيخ البدوي وقائع تلك المعركة) امتطينا، أبو بكر قرزة وانا، صهوة جوادينا وهرعنا الى خط الدفاع، فكان كما لو دخلنا جهنم. كانت الجنود الايطاليون شيئاً رهيباً وكان كل شيء يحترق بين دوي المدافع، والارض نفسها كانت تغلي، ورجالنا يفرون في كل مكان طلبا للنجدة. وعندما أيقن بأن ليس لدى جماعته ما يمكن به الصمود أو المقاومة في مثل هذا الجحيم، فرّ أبو بكر قرزة ومعه جماعته من اولاد بوسيف والمشاشي صوب وادي غان، بينما أسرعت أنا ورجالي بالانسحاب الى الزنتان عن طريق الاصابعة وككلة. وكنا تركنا في الميدان الكثير من قتلانا وكل متاعنا، لم يترك لنا الايطاليون وقتا لشحن جمل واحد. وفي يوم 25 احتلت قواتنا ككلة، وفي يوم 27 يفرن، وجادو يوم 6 ابريل، وفي يومي 10 - 11 الجوش وتيجي، وما أن حل يوم 12 ابريل حتى كان العلم الايطالي يرفرف على قصر نالوت، التي هي في اقصى طرف الاراضي التي يسكنها البربر. وبذلك، وفي غضون ثلاثة أسابيع تم احتلال خط الجبل الجبار بكامله. واحدثت هزيمة الاصابعة والرابطة في روع اهالي القبلة الشعور بالرهبة من القوة الايطالية، إلا أنها احدثت في نفوس الرحل المزيد من بغضنا وكرهنا، ومن الارتياب فينا وفي نوايانا الى درجة أنهم نزحوا جميعا عن شمال القبلة واراضي منطقة مزدة لينتقلوا مع عائلاتهم وانعامهم الى منطقة زمزم والطابونية.

وهناك واقعة من الوقائع التي اتسمت بها تلك الفترة، وهي أن أحد رؤساء أولاد بوسيف الشيخ بلقاسم من لحمة (بيض الركاب) أوقف عند وصوله الى وادي دامس وقتل على يد أفراد القبيلة أنفسهم بعد أن كان عائداً من يفرن حيث استسلم وقدم فروض الولاء للحكومة. أما احمد البدوي فقد اندفع من الزنتان صوب الحمادة، بعد ان توقف قليلا في بئر الخور

وتحول الى زاويته في الطبقة، والشيخ ابو بكر قرزة الذي كان قد أرسل من وادي الغاني حوالي عشرة من فرسانه لمقابلة البدوي لأخذ رأيه حول ما كان عليه أن يفعل. وعندما رد البدوي على هذا السؤال بأن الحكومة قد احتلت كامل الجبل وأنه يحسن به أن يعود الى دياره استأنف مسيرته ببطء نحو الجنوب ليلوذ بمنطقة وادي تاجمل، ومحمد بن عبدالله حال علمه بذلك أخذ طريق فزان على رأس عدد لا بأس به من المقاتلين، وكذلك القنطرار فقد انسحبوا الى الطابونية حيث كان قد تجمع أيضا مقاتلو الغناني بقيادة سالم بن عبد النبي واحمد السني، الذي كان قد بقي وحده في مزدة استحسن أن يضمن النجاة ويكون في مأمن من العدو باختفائه من عائلته في أم (الخراب) (الملاق) وبعدها انتقل الى الطابونية بناء على دعوة وجهها اليه سالم بن عبد النبي[1].

وتقول السيدة «عنايا» ابنة سالم بن عبد النبي:

إن كل الناس كانوا قد سارعوا للالتحاق بقوافل الجهاد وكان والدي منذ شارك في معركة سواني بني آدم قد استمر في القتال ولم نره لمدة طويلة، هو وبقية المجاهدين الذين كانوا معه. وكان يحدث من وقت لآخر أن ترسل الينا حاجيات بعض الشهداء. وقد أخذ الناس في بداية الجهاد قراراً بأن يذهب الى ساحة الجهاد كل الرجال البالغين، ونظرا لظروف الحياة ووضع اهالي المجاهدين صار كقاعدة أن يذهب الى ساحة القتال اثنان من كل ثلاثة أو واحد من كل اثنين في العائلة الواحدة، أي أنه إذا كان في العائلة ثلاثة رجال (بالغين) ذهب اثنان الى الجهاد وبقي واحد، واذا كان هناك اثنان ذهب واحد وبقي الآخر وهكذا. ونظرا الى أن أخبار المجاهدين منذ حرب السواني قد انقطعت ولم نعد نعرف الموتى من الاحياء فقد كانت الحالة سيئة بين العائلات رغم القناعة بالجهاد، ويحدث ان بعض النسوة عندما

(1) من كتاب «القبلة» لبيلاردينيللي.

يبلغن عن وفاة او استشهاد ابن او زوج او اب يزغردن لانه شهيد. ومنذ اشترك والدي الشيخ سالم ورفاقه في معركة سواني بني آدم لم نعلم عنهم شيئا لمدة طويلة (اكثر من حول) اي سنة، وحدث ان بعثت امرأة، وتدعى فاطمة بنت حمد، بيتين من الشعر تقول فيهما:

دزولنـــا يـــللي بعـــاد جبـــاكم   حـــرفين ينبونـــا على مطـــراكم

وفي معركة جندوبة استشهد عدد كبير من المجاهدين منهم اثنان من اقارب الشيخ سالم هما: عمر بو غباقة وحميد بن مسعود وعدد آخر من الزنتان وقبائل أخرى. وكان الشيخ سالم بن عبد النبي يردد دائما بيتا من شعره وكأنه القسم على الاستمرار في الجهاد حتى آخر يوم في حياته طالما بقي الاجنبي في بلاده، وهو، أنه لا يمكن أن يضع البندقية جانبا مهما حدث وإن كان يؤلمه موت المجاهدين لأن الوطن بذلك يخسر الرجال ولا يبقى فيه إلا أولئك الخدم الذين لا احساس لديهم، وهم يخدمون الاجنبي ولو كانت تلك الاعمال حقيرة منحطة. نجده يقول:

مرات تبنـي بـيت مـرا حجـرا   حتى لين يوم النصر يفتح بابا
وكانك ظهـرتي تظهـري بالفجـرا   وكانك رحلتـي عالوسيـع اجنابـا
عجـرا ورا عجـرا وراهـا عجـرا   سيـدك افحـط البندقـا مـا يابـا
سيـــدك حلـــف بايمينـــا سيـــد   السرايـــا بـــوك يـــا سدينـــا
نهار الـــــــوخيم وبولقـــــــوب   غبينـا، كت وتنهد ما لقا قلابا
طاحـــوا فـــراسين الجهـــاد غبينـــا   وقعـدو المضايـع بعدهـم بوابـــا

كان يخاطب ابنته (عنايا) بهذه الابيات، وابنته هي ايضا شاعرة بليغة سوف نورد بعضا من شعرها، وهو هنا يذكرها أن الزمن هكذا يوما لك ويوم عليك الى أن يتحقق النصر بإذن الله، ولم يكن يشك في قرب ذلك اليوم، وهو يَعِدُها بأنها لا يمكن أن تهان طالما كان على قيد الحياة. ويؤكد أن الاساءات كثيرة وهي متتالية حينما يقول (عجرا ورا عجرا وراها عجرا)

وكلمة (عجرا) تعني إساءة، أو اهانة وهو لا يقبل الاساءة أو الاهانة ولهذا فلن يحط البندقية على الاطلاق.

وعملا بذلك فقد كان سباقا الى ميادين الجهاد وقد شارك في الكثير من المعارك، بداية من معركة الهاني التي جرت في 23 اكتوبر **1911**م الى اليوم الذي غادر فيه ارض الوطن، مجبرا على الهجرة التي كانت قاسية عليه وهو الذي لم يغادر بلاده طيلة حياته المديدة. ويجدر أن نذكر أهم المعارك التي شارك فيها الشيخ سالم بن عبد النبي الناكوع مع أقاربه ورفاقه من المجاهدين الليبيين من يوم 23 اكتوبر **1911**م الى يوم خروجه الى تونس:

1 ـــ معركة الهاني (23 اكتوبر 1911م)
2 ـــ معركة سواني بني آدم (15 نوفمبر 1912م)
3 ـــ معركة جندوبة (23 مارس 1913م)
4 ـــ معركة الزنتان (5 ابريل 1913م)
5 ـــ معركة مزدة (5 يوليو 1913م)
6 ـــ معركة الشب (10 ديسمبر 1913م)
7 ـــ معركة أشكدة (13 ديسمبر 1913م)
8 ـــ معركة الهاني (24 ديسمبر 1913م)
9 ـــ معركة القريات (3 مارس 1914م) معركة القريات الأولى
10ـــ معركة قارة سبها (28 نوفمبر 1914م)
11ـــ معركة الوخيم (30 مايو 1922م)
12ـــ معركة الجوش (12 يونيو 1922م)
13ـــ معركة السلامات (18 يونيو 1922م)
14ـــ معركة ام الجرسان (28 اكتوبر 1922م)
15ـــ معركة الطابونية (9 مارس 1924م)
16ـــ معركة ودي الخيل (16 مارس 1924م)
17ـــ معركة القريات والطابونية الثانية (اغسطس 1925م)

18ـــ معركة القريات الثالثة (15 يوليو 1928م)
19ـــ معركة بئر العلاق (9 ابريل 1929م)
20ـــ معركة المتكية (12 ابريل 1929م)

وكانت هناك مواقع أخرى تمثل هجمات خاطفة على تجمعات أو معسكرات العدو، وكان الشيخ سالم بن عبد النبي لا يعتمد فقط على السلاح الذي يكون معه وإنما عمل دائما على تخزين السلاح في مواقع مختلفة بحيث إذا احتاج اليه استعمله في الوقت المناسب. وهذا ما يمكن ان يطلق عليه تعبير الاستراتيجي الاحتياطي في اللغة العسكرية اليوم.

ولا بد لنا أن نفرد لهذه المعارك صفحات لنذكر بها من رغب معرفة تفاصيلها. وكان هناك حدثان كبيران لهما تأثير بالغ في سير المعارك ومواقف المجاهدين جاءا بعد معركة الهاني في 23 اكتوبر 1911م، وهما:

1 ــ معاهدة اوشي ــ لوزان، (18 اكتوبر 1912م)
2 ــ مؤتمر العزيزية (نوفمبر 1912م)

ونرى أنه من المفيد الحديث عن تلك التطورات قبل الدخول في التفاصيل المتعلقة بالمعارك التي جرت بعدئذ ومواقف المجاهدين على ضوء ذلك ...

معاهدة (اوشي ــ لوزان) واسبابها

كعرب بشكل خاص ومسلمين بشكل عام كان يجب أن ننظر باهتمام وتدقيق الى الاسباب التي أدّت الى تلك المعاهدة المشؤومة التي وقعتها تركيا مرغمة، (وليس هذا القول بحثا عن مبرر لموقف تركيا من العرب والمسلمين وخصوصا في ليبيا، وانما هو بحث عن الحقيقة)، فلقد كانت الاسباب والظروف كثيرة ومعقدة خارجيا وداخليا بالنسبة للدولة العثمانية. والاسباب الداخلية كانت:

اولا: هرم الدولة وتكدس المشاكل وتوسع رقعة الحكم.

ثانيا: التناقض والتردد اللذان ظهرا بسبب نشاط جماعة (الاتحاد والترقي)

والدعوات العالمية للتحديث والاهتمام بالذات.

ثالثا: المعارضة العربية الاسلامية التي كانت تؤججها سياسة الخداع والمراوغة الانجليزية في كل مكان وخصوصا في الجزيرة العربية حيث وصل الامر الى التقاتل والثورة المسلحة، اذ كان آل سعود يجري وراء أوهام الوعود البريطانية، وهذه بطبيعة الحال كانت الشوكة التي وقفت في الحلق، فلا بد أن الاتراك كانوا ينظرون الى العرب ككل، وكان يؤلمهم أن يلاقوا الجحود والمعارضة بل التهجم والهجوم المسلح على كل ما هو تركي وقد اصبح يمثل التخلف والركود والعائق في سبيل الوصول الى الحكم والاستقلال اللذين لوحت بهما بريطانيا. ولم تكن بريطانيا صادقة بينما كانت الدولة التركية في اشد الحاجة الى المساندة والتأييد.

أما الخارجية فقد كانت:

اولاً: يقظة الشعوب وانتفاضاتها ضد الحكم التركي.

ثانياً: تكالب الدول الأوربية على تقاسم تركة ما أسموه الرجل المريض (وهو لم يكن مريضاً في حقيقة الأمر).

ثالثاً: الطموح الايطالي الأوربي ومواقف كل من النمسا والمانيا في البداية ثم كل الدول الأوربية وأمريكا، وهذه مجتمعة أوصلت ايطاليا الى أن تهدد تركيا وتنذرها وما كانت تجرؤ على ذلك إضافة الى دورها في حرب البلقان.

ولم يكن أمام حكومة السلطان الا ان ترضخ في البداية ربما لثلاثة أسباب:

الأول: هو ما كان يتطلبه الوضع في مناطق البلقان ومواجهة تلك الانتفاضات والحروب.

الثاني: محاولة ترتيب الوضع الداخلي والوصول إلى اتفاق ما، أو عمل ما، مع جماعة الاتحاد والترقي الذين تغلغلوا في أجهزة الدولة كلها بما فيها الجيوش.

الثالث: أن يرى العرب والمسلمون بأعينهم ما سيحل بهم من الفرنجة وسيحتاجون بالضرورة فيما بعد إلى مساعدة ومساندة الدولة المسلمة الكبرى.

ومما يؤكد هذه الأمور الثلاثة (وربما لم تكن تركيا تتوقّع قيام الحرب العالمية الأولى) أن تركيا قد وجهت كل جهودها الى منطقة البلقان وحاولت الوصول إلى حل مع جماعة الاتحاد والترقي التركية متمثلاً في بعض الاصلاحات الداخلية. ثم إنها عادت وقدمت مختلف المساعدات للعرب والمسلمين وخصوصاً في ليبيا؛ فقد كانت الأسلحة تأتي من تركيا والتموينات تُشترى بواسطة الحكومة التركية من كل مكان وتُنقل الى ليبيا، وكان الضباط الأتراك يقومون بتدريب الليبيين الذين يتطوعون للجهاد على مختلف العمليات الحربية. وحتى بعد توقيع المعاهدة كانت التموينات تأتي عن طريق تونس بواسطة الأتراك، وكانت الأسلحة تأتي من تركيا ثم من حليفها فيما بعد (المانيا). كما ان حكومة السلطان بداية لم تفرط بالكامل في حقوق الليبيين رغم كل تلك الظروف والأسباب. والدليل أنها حاولت الحصول على موافقة ايطاليا بشأن الحكم الذاتي لليبيين وفرض بقاء النفوذ السلطاني ولو من الناحية الدينية في ليبيا المسلمة، إلا أن ايطاليا وقد كانت طموحة متحفزة مندفعة قد استغلت كل تلك الظروف والأسباب وأجهضت جهود تركيا، وكانت المناقشات قبل توقيع المعاهدة تدور حول أمرين هامين هما:

1 ـــ الحكم الذاتي لليبيين والذي يجب أن يمنح بموجب مرسوم من قبل السلطان في تركيا.

2 ـــ العفو العام على المحاربين الليبيين والاعتراف بالسلطان كمرجع ديني في ليبيا ويجب أن يصدر بمرسوم من ايطاليا.

وكانت ايطاليا تريد فرض شروطها على تركيا بحيث يقر السلطان في الاتفاقية بعجز تركيا عن الدفاع عن ليبيا مقابل بعض الوعود وهو الشيء الذي لم يحدث وهو ما كان يعني التخلي الكامل عن البلاد وعدم تقديم أية مساعدات الخ...

وعندما بدأت السفن الايطالية في قصف مدينة طرابلس بالقنابل لم تكن هناك

تحصينات أو دفاعات يعتمد عليها. وبطبيعة الحال فإن الايطاليين كانوا يعرفون ذلك جيداً ولهذا ركزوا القصف على موقعين أو ثلاثة فقط وهي التي توجد بها بعض القوات التركية وقطع مدفعية، وقد تمّ إسكاتها فوراً، وكان لدعوة الجهاد صدى واسع في كل أنحاء ليبيا، وقد تنادى الناس للدفاع عن بلادهم. وكان للضباط الأتراك دور كبير، وبحمية المسلم وغيرة الجندي كانوا يدعون المواطنين للتطوع، وكما ذكرنا كانوا يزودونهم بالسلاح ويدربونهم عليه. وقد ذكرت لنا السيدة (عنايا) وهي الابنة الكبرى للمجاهد الشيخ سالم بن عبدالنبي ان الناس جميعاً قد اتفقوا على المشاركة في الجهاد، وكان على كل أسرة أن تبعث أبناءها إلى الميدان. وكان والدها الشيخ سالم أحد الذين شاركوا في المعارك بدءاً من معركة الهاني. قالت: إن الذي حدث بين كل الناس أن يلتحق اثنان من كل ثلاثة رجال (بالغين) في العائلة الواحدة اذا كان هناك ثلاثة، وواحد اذا كان هناك اثنان في العائلة.

ومعارك الهاني كانت اولى المعارك التي خاضها المجاهدون الليبيون وأبلوا فيها بلاءً رائعاً ذكره التاريخ واعترف به الذين كتبوا عن تلك الفترة من القادة الايطاليين، عسكريين ومدنيين. كما تحدث عن تلك المعارك بعض المجاهدين الذين اشتركوا فيها أو أبناؤهم. وقد وثق لنا مركز دراسات جهاد الليبيين مشكوراً العديد من المقابلات والأحاديث ستكون بالتأكيد مفيدة لكل من يريد دراسة أحداث وتاريخ تلك الفترة بكل ما فيها..

ولقد قال الجنرال (كانيفا) القائد العسكري الايطالي الذي كان مكلفاً بفتح ليبيا (ان صح التعبير) ما وقع في الهاني فقال:

لقد أصدرت أوامري منذ مساء اليوم نفسه بتجريد سكان الواحة تجريداً تاماً من السلاح. وهو إجراء له طابع الضرورة المطلقة، لتأمين قواتنا من تجدد الهجمات الغادرة على المؤخرة. ولكن سرعان ما تبيّن في يوم 26 أن عملية تجريد السلاح وحدها ليست كافية؛ وكان عليّ إزاء إصرار سكان

الواحة على الغدر أن ألجأ إلى الوسيلة الجذرية بإخلاء الواحة، وهي الوسيلة الوحيدة الصالحة لضمان سلامة العبور الآمن بالواحة خلف ظهور قواتنا. وأمام هذه الضرورة القصوى يبدو لي أنه من اللازم إغفال بعض التعليقات غير الودية لبعض المراسلين الأجانب حول بعض الحالات الفردية من المبالغة في قمع الثورة التي قام بها الجنود المتعرضون الى الهجوم الدنيء في المؤخرة[1].

ولابراز دور بعض الضباط الأتراك وما قاموا به في تلك المرحلة الحرجة نورد بعض شهادات عدد من المجاهدين، كما يلي:

يقول المجاهد محمد بن عبدالنبي:

في الفترة التي نزل فيها الايطاليون في مدينة طرابلس كنا في سوق الجمعة. وفي اليوم السابق لمعركة الهاني بأربعة أو خمسة أيام جاء الينا الحاكم التركي من جهة الملاحة وأخذ يحث الناس على الجهاد، وقد أعطى بنادق لمن لا يملكون سلاحاً. ودارت المعركة قرب الفرناج خسر فيها الايطاليون الكثير وخاصة في العساكر (بوريشة)؛ فقد قتلنا أعداداً هائلة من هؤلاء. وبعد تلك المعركة بقي جزء من الايطاليين في قصر الهاني وبقية الايطاليين دخلوا مدينة طرابلس. وبعد ذلك استجمع الايطاليون قوتهم وخرجوا، واستمرت المعركة، وكان خروجهم ذاك بعد ثلاثة أو أربعة أيام من تلك المعركة، وكانت قد بدأت قبل الفجر. ومن المجاهدين من استشهد على مقربة من قصر الهاني وهو في طريقه الى اقتحام القصر، واستشهد الكثير من المجاهدين وتراجع العدو الى مدينة طرابلس. وفي بداية المعركة جرحت ونقلت الى غريان وكان الذي يشرف على علاج الجرحى طبيب تركي.

ويقول المجاهد محمد عطية:

في الأيام الأولى لنزول الايطاليين وعند حدوث معركة الهاني كنا بمنطقة

---

(1) معجم معارك جهاد الليبيين ـــ خليفة التليسي.

الساحل، وحين دعي داعي الجهاد ذهب والدي واستلم بندقية موزر من الأتراك إلا أن آخرين تعرضوا له واغتصبوا منه تلك البندقية، ثم عاد والدي واستلم بندقية أخرى واشترك في الجهاد. وبعد مضي يوم الهاني أصبحنا في حيرة عن مصيره، وكنا قد انتقلنا من مقر إقامتنا وخرجنا الى سوق الجحمة حيث المزارع والبساتين وبقينا في انتظار والدي لاننا لا نعرف طريق سيرنا. وبينما نحن في انتظار والدي جاءنا نبأ استشهاده. وقد حدث ذلك قرب بئر أبو مليانة. وفي حالة النداء للجهاد كانت تعلو دقات الطبول وأهازيج الحرب، وكانت والدتي تحمل الماء للمجاهدين، وعن والدي لم نسمع إلا خبر وفاته. وذهبنا سيراً على الأقدام الى الخثنة بالقرب من الجيلاني في منطقة سوق الخميس، ومن هناك نقلنا الى اولاد بريك بواسطة أناس كنا نعرفهم. وبعد ذلك أصبح التموين يأتي من بن قردان ووزع الارز على أسر الشهداء[1].

ويقول الاستاذ محمد بن مسعود[2]:

وما كاد الطليان يرمون المدينة بالقنابل من الاسطول ويأتي اليوم الرابع من اكتوبر حتى خرجت الحكومة التركية وعساكرها بقيادة نشأة بك الى الضواحي القريبة فعسكرت فيها. وخوفاً من مفاجأة العدو صاروا يتنقلون من مكان الى آخر، ثم استقروا في غريان إذ هو بعيد عن الشاطئ، وفيه كثير من المخابئ الحصينة، ويمكنهم عند الخطر الشديد ان يذهبوا الى مراكز أكثر أمناً وسلامةً. وبما أنه لم تكن للترك من قوة سوى ثلاثة آلاف جندي موزعين في مختلف البلدان الليبية وثلاثين مدفعاً وأسلحة وذخائر قليلة جداً، وكان الجيش الايطالي مقدَّراً بمائة ألف جندي ومجهزاً بأحدث طراز من الأسلحة الفتاكة، فقد أصبح الترك لهذا السبب ينتظرون من الآستانة أمر التسليم بين لحظة وأخرى، وصاروا يحضرون أمتعتهم لمغادرة البلاد بين لحظة وأخرى.

(1) موسوعة جهاد الليبيين، مركز الجهاد ـــ 1 ـــ.

(2) تاريخ ليبيا العام، 1950م، محمد بن مسعود.

غير انه فاجأهم حادث عظيم لم يتوقعوا حدوثه أبداً؛ ذلك أن زعماء البلدان ومشايخ قبائلها حين بلغهم نزول الطليان الى المدينة وخروج الترك منها وعزمهم على الرحيل من ليبيا راجعين إلى أوطانهم حرضوا أبناء مناطقهم على الجهاد في سبيل الحرية والاستقلال الى النهاية.

وصادف نداء الزعماء قبولاً حسناً حماسياً من جميع السكان، واستخرجوا ما كان مدسوساً عندهم من أنواع الأسلحة النارية التي كانوا أيام الأتراك يشترونها خفية من بعض الأجانب الساعين لتحريض الليبيين على الترك، ومن تجار المهربات غير المشروعة، ثم أتوا جميعاً إلى مقر الحكومة التركية بغريان وطلبوا من الترك وعساكرهم أن يشتركوا معهم في محاربة الطليان، وإلا فستكون نتيجتهم من الطرابلسيين أوخم العواقب. فاندهش الترك من هذه الوطنية الصادقة وجرت في عروقهم دماء الشجاعة الطورانية، وأجابوهم إننا لمعجبون بهذا الاخلاص جداً، وسنكون معكم ما دام فينا نفس يتردد وبادروا فعرفوا الاستانة بحقائق الأحوال بعد نزول الطليان. ولما أطلعت حكومة السلطان على ما وصل اليها من ليبيا تأكد أن أهاليها قوة حربية لا يستهان بها، وأرسلت لرجالها هذا الرد المستعجل قائلة: ابقوا مكانكم واتحدوا مع الأهالي في محاربة العدو، وسنمدكم بجميع الوسائل الممكنة.

وفعلاً بعثت بطرق خفية كميات من الذخائر، وأرسلت لهم قائدين عظيمين جاءا متنكرين، وهما : علي فتحي بك نزل بتونس ومنها قدم الى طرابلس، وأنور باشا الذي جاء الى الجبل الأخضر. وأُذيع هذا النبأ على المجاهدين وقادتهم فقرعوا الطبول إشارة للحرب، وعلا هتاف التضحية والدفاع، وأخذ كل فريق يتهيأ ليوم المعارك الطاحنة، وابتدأت الأفواج تتسرب على القيادة العامة في سواني بني آدم من مصراتة وترهونة وتاورغا وزليتن واورفلة والساحل وتاجورا والمنشية وغريان والزنتان والزاوية والعجيلات وزتزور وغيرها من بقية المناطق والقرى، وتولى ضباط من الأتراك يساعدهم قادة طرابلسيون في توجيه تلك الفرق الى المراكز الحربية المحيطة بالمدينة فكان الجيش الوطني

على الوصف الآتي:

1 ــ فمنه فريق متسلح بأنواع شتى من بنادق البارود التي تُعبَّأ من أفواهها.

2 ــ وفريق يحمل بنادق الصيد المعروفة بليبيا بالمقرون.

3 ــ وفريق معه بنادق حديثة لها مخزن يسع عدة خرطوشات تسمى المارتين والموزر ومنها أشكال ذات خرطوشة واحدة تعرف بالبندقية اليونانية.

4 ــ وفريق أعطاه الترك ما عندهم منها ولكن بقية أفراده الأكثر عدداً ظل أعزل من السلاح الناري فتسلح بالسيوف والفؤوس والخناجر والعصي.

وكانت فيه فرق من الفرسان البارعين، وتكفل كل واحد من الجند الأهلي بمؤونته وغطائه ولوازم معيشته. والفقراء قدم إليهم أغنياء الشعب ما يحتاجون اليه من القوت. وكثيراً ما كنت تراهم يأكلون جميعاً على مائدة واحدة لا فرق بين وجيه وغير وجيه، أو بين غني وفقير. وأي شخص ليس لديه زاد فما عليه إلا أن ينضم إلى إحدى الجماعات المخيمة هناك فيجد عندها المأوى الحسن وترحيب الأخ بأخيه. وفي الحق إن نزول الطليان أظهر ثاني وحدة ليبية بعد أبي الخطاب، وأصبحت الأمة من ناحية الشعور الديني والوطني كالنفس الواحدة في إتفاق الكلمة والرأي، ولما ترك الرجال خدمة الأرض واهملوا العناية بأسرهم منصرفين الى الجهاد اهتم الترك بمسألة التموين اهتماماً فائقاً فاشتروا من الأسواق الخارجية مئات الألوف من أطنان الدقيق والارز والشاي والسكر، وصارت شركات النقل البحرية الأجنبية توردها الى ليبيا عن طريق تونس، أي كانت البواخر توصلها إلى الموانئ التونسية ثم تأتي القوافل الطرابلسية فتنقلها إلى مخازن الحكومة ومنها توزع على القبائل مع رواتب نقدية بنسبة رجالها المحاربين، وبذلك قضوا على أزمة المعيشة واطمأن الناس من هذه الناحية واتجهوا للعدو بقلوبهم وأبدانهم[1].

---

(1) نفس المصدر.

ثم يتحدث الاستاذ التليسي عن تلك المعارك فيقول:

تعترف المصادر الرسمية الايطالية بأن وضع القوات العسكرية الايطالية لم يكن سهلاً بعد الأحداث التي جرت أثناء المعركة الكبرى (الهاني ــ شارع الشط 23 اكتوبر 1911م) وما أعقبها من نتائج خطيرة أدت الى زعزعة مركز العدو، وإضعاف روحه المعنوية وخيبة أمله فيما كان يتخيله من سهولة الاحتلال وانعدام المقاومة. وكان الجنرال (كانيفا) قائد الحملة قد أصدر أوامره باتخاذ كل وسائل القمع والارهاب لتجريد الأهالي من السلاح وإجلائهم من المواقع الخلفية للجنود الايطاليين مع تدمير المساكن وإحراقها ونفي المواطنين، وتم تنفيذ هذه العملية في جو من الارهاب واعتقل أكثر من ألفي شخص، كما نفذ حكم الاعدام في عدد من المواطنين وضاقت السجون بالمعتقلين. ولما كان من المتعذر حفظ جميع المعتقلين في طرابلس فقد اتخذت الاجراءات للحصول على موافقة الحكومة المركزية لارسالهم إلى السجون في ايطاليا، وفي مساء يوم 25 سافر الفوج الأول الذي كان يتألف من ستمائة شخص الى جزيرة (تريمتي).

يقول الجنرال كانيفا: «لقد أصدرت أوامري منذ مساء اليوم نفسه بتجريد سكان الواحة تجريداً تاماً من السلاح، وهو إجراء له طابع الضرورة المطلقة لتأمين قواتنا من تجدد الهجمات الغادرة على المؤخرة، ولكن سرعان ما تبين في يوم 26 أن عملية تجريد السلاح وحدها ليست كافية، وكان عليَّ إزاء إصرار سكان الواحة على الغدر أن ألجأ إلى الوسيلة الجذرية بإخلاء الواحة وهي الوسيلة الوحيدة الصالحة لضمان سلامة العبور الآمن للواحة خلف ظهور قواتنا».

وهذه الفقرة المستخلصة من تقرير الجنرال كانيفا واضحة في الدلالة على الأساليب الإرهابية التي لجأت اليها القوات الايطالية خلال يومي 25-24 اكتوبر 1911م وهي واضحة في الدلالة على الهزة العنيفة التي تعرضت لها هذه القوات نتيجة لمعركة الهاني الاولى، والرعب الذي ساد الخطوط الايطالية

مما دعاها الى فرض رقابة صارمة، وما كان لهذه الاجراءات إلا أن تزيد الثورة لهيباً واشتعالاً. ويعترف العدو نفسه في وثائقه الرسمية بأنه على الرغم من هذه الاجراءات ظل وضعه محفوفاً بالمخاطر والصعاب، إذ كان عليه أن يتولّى الدفاع عن جبهة طولها عشرة كيلومترات بقوة تزيد على تسعة آلاف جندي، وهي قوة كافية إذا وضعنا في تقديرنا أن القوة التي تواجهها من المجاهدين لا تزيد (طبقاً للمصادر الايطالية) عن خمسة أو ستة آلاف مقاتل لا يتوفر لهم ما توفر للقوة الايطالية من تدريب وتجهيز وإمكانيات برية وبحرية.

وقد فكرت القيادة الايطالية فعلاً في الانسحاب وتضييق الجبهة إلا أنها خشيت من النتائج المادية والمعنوية المترتبة على ذلك، فلجأت في التغلب على هذا الوضع المتدهور الى تلك الاجراءات التي أشرنا اليها فيما تقدم، وإلى الإلحاح في طلب المزيد من الدعم من ايطاليا.

وأدّى هذا الوضع إلى عدول الايطاليين عن احتلال زوارة في تلك الفترة، كما تعذر إرسال أي دعم إلى القوة الايطالية في الخمس التي كانت تواجه وضعاً دقيقاً محفوفاً بالمخاطر، مما اضطُرَّ القائد العام للحملة، إلى أن يصدر التعليمات بالانسحاب في حالة الضرورة.

تلك لمحة عن الوضع العام الذي سبق معركة الهاني ــ أبي مليانة، التي جرت يوم 26 اكتوبر 1911م.

وقد تلت معارك الهاني معركة سواني بنيآدم، وكنا تحدثنا عنها، ثم معركة جندوبة التي حدثت في 23 مارس 1913م ثم معركة الزنتان في 5 أبريل 1913م. إلا أن معارك بداية الغزو في الجنوب تمثل أهمية كبرى وقصوى في تاريخ الجهاد الليبي، وكان الشيخ سالم بن عبدالنبي قد لعب دوراً كبيراً في تلك المعارك وهي، الشب وأشكده والمحروقة، ولأنها كانت طريق الايطاليين في غزو الجنوب، بداية من سوكنة الى مرزق، فهي أيضاً كانت طريق هروب القوات الايطالية من الجنوب، من مرزق الى سوكنة ثم الشاطئ، ولأهميتها في سياق الأحداث نوردها هنا بتفاصيلها:

معركة الشب

كانت هذه أولى المعارك التي التقى فيها المجاهدون وجهاً لوجه مع القوات الايطالية، قوات الكولونيل «مياني» المكلفة باحتلال الجنوب والتي كانت قد تجمعت في سوكنة وأعدت واستعدت لمدة ثلاثة شهور هناك. وعندما تقرر تقدُّمها الى الجنوب خاض معها المجاهدون المعركة الأولى في بداية زحفها، وكانت تلك القوات قد جهزت بأحدث الأسلحة والمعدات العسكرية والتجهيزات الأخرى، وذكرت المصادر الايطالية أن القوة كانت تتألف من:

1 ـــ سريتي مدفعية جمال منقولة على الجمال.
2 ـــ كتيبتين من الاريتريين مدربَّة على حرب الصحراء.
3 ـــ سبع محطات لاسلكي للاتصالات البعيدة والميدانية.
4 ـــ سرية خدمات مختلفة.
5 ـــ قافلة إمدادات تموينية وطبية وغيرها.

وقد تحركت هذه القوة بقيادة الكولونيل «مياني» من سوكنة يوم 6 ديسمبر 1913م في اتجاه (براك وسبها ومرزق) وكان المجاهدون يستخدمون بنادق عادية ويتنقلون إما مشاة أو على ظهور الخيل أو الإبل، وقد هاجموا القوات المتقدمة يوم 10 ديسمبر 1913م. وهكذا حدثت معركة الشب. وعلى الرغم من ان القوة والعتاد والاسلحة لم تكن متكافئة الا ان المجاهدين الحقوا بعض الخسائر بتلك القوات ما لم يكن متوقعاً، وكان له بالتأكيد أثر نفسي على معنويات جنود وضباط تلك القوات التي كان قادتها لا يتوقعون أية مقاومة في طريق تقدمهم، وبعد الهجوم انسحب المجاهدون في إتجاهات مختلفة. وكان عليهم في الوقت الذي استمرت فيه القوات الايطالية في تقدمها أن يضموا صفوفهم مرة أخرى في مكان آخر.

معركة أشكدة

لم تكد القوات الايطالية تصل أشكدة حتى كانت تتعرض للهجوم من طرف المجاهدين وكان هجوماً خاطفاً. ولقد كان أسلوب المجاهدين، نظراً لتفوق القوات الأيطالية في العدة والعدد، أن يشنوا هجمات خاطفة على تلك القوات المتقدمة وهم يدركون أنهم لن يوقفوا أو يهزموا هذه القوات الضخمة وهي زاحفة. إلا أن أسلوب الهجوم هذا سوف يرهق الجنود والضباط إذ سيكونون دائماً في حالة استعداد وتخوف من المجهول. وكانت معركة أشكدة عنيفة أيضاً حيث جعلت قوات «مياني» تتمركز في مواقع دفاعية لبعض الوقت.

وقد جرت المعركة يوم 12 ديسمبر 1913م، وكان المجاهدون من مختلف القبائل الليبية. إلا أن أبرز قادتهم كان المجاهد محمد بن عبدالله البوسيفي، وكان الشيخ سالم بن عبدالنبي أحد رفاقه ومساعديه. وبعد معركة أشكدة هذه تمكّنت القوة الايطالية من احتلال براك وتمركزت هناك، وبراك تمثل أول نقطة احتلال في خطة الكولونيل الايطالي «مياني». ونظراً لتعرض القوات الايطالية لتلك الهجمات الخاطفة بينما كانت تتقدم، فقد قرر «مياني» وضباطه بعد أن احتلوا براك أنهم يجب أن (يطهروا) بحسب التعبير العسكري الايطالي جيوب المقاومة التي تعيق التقدم السريع. وهكذا أعدَّ العدة لمعركة فاصلة. وحدث أن المجاهدين، وكالعادة بعد كل معركة بدأوا في تنظيم صفوفهم لمعاودة الهجوم، جهز الكرلونيل «مياني» قواته ليقوم هذه المرة بالهجوم بدلاً من الدفاع عندما كان يتقدم وقد ترك قوة رمزية لحماية الموقع الذي احتله في براك.

معركة المحروقة

عندما قرر الكولونيل «مياني» القيام بالهجوم على منطقة تجمع المجاهدين، كان لأول مرة يتّخذ مبادرة الهجوم حيث كان منذ تحركت قواته من سوكنة

في وضع الدفاع. وقد توفرت لديه معلومات عن تجمع المجاهدين قرب آبار محروقة، ولا بد أنه توقَّع أن المجاهدين يُعِدُّون للهجوم على قواته بالإضافة إلى أنه قد قرر تطهير الجيوب كما يحلو له أن يقول، بحيث لا يبقى فرصة للهجوم عليه عندما يتحرك من براك في اتجاه سبها ومرزق. وهكذا استخدم معظم قواته التي كانت تحت قيادته وهاجم المجاهدين في محروقة، وقد كانت معركة شديدة عنيفة، وقد فرض على المجاهدين في هذه الموقعة أن يكونوا في وضع الدفاع رغم أنهم دائماً يعتمدون على الحركة السريعة في الهجوم والدفاع.

وقد جرت المعركة يوم 23 ديسمبر 1913م وتكبد فيها المجاهدون خسائر كبيرة، وكانت واحدة من خسائرهم استشهاد المجاهد محمد بن عبدالله وهو الذي كان يقود المعركة، وفقدوا أيضاً كثيراً من الخيول وهي عدة المجاهدين الحربية السريعة. وقد تفرقوا في كل اتجاه، وليس أصعب على المجاهد الذي تعوَّد على الهجوم الخاطف من أن يجد نفسه محشوراً في مكان واحد وأن يكون في وضع الدفاع بدلاً من الهجوم. وبعد ذلك التفرق والتشديد ونكبة استشهاد المجاهد الذي كان يقودهم، كان من العسير تجميع هؤلاء الناس مرة ثانية وفي وقت قصير، وكان الشيخ سالم بن عبدالنبي قد اعتزم القيام بذلك العمل الذي يشبه المستحيل والمتمثل في شيئين هامين وهما:

الأول: تجميع المجاهدين وتنظيمهم.

والثاني: القيام بعمل جهادي كبير يعيد الثقة في النفس، والثأر من الأعداء الذين قتلوا رفيقه المجاهد الكبير محمد بن عبدالله. هكذا اعتزم وقد بدأ على الفور.

بدأ بعدد قليل من أقاربه الذين كانوا معه أثناء المعارك الثلاث وجعل منهم رسلاً الى كل مكان من أجل توصيل رسالته: لا بد من الانتقام وردٌ الاعتبار لان المجاهد في سبيل الله لا يمكن أن ييأس..

أما القائد الإيطالي فإنه اقتنع بما لا يدع مجالاً للشك بأنه لن يتوقف

ولن يتعرض لاي مشاكل وقد نجحت العملية التي قام بها. وكانت نقطة توقفه الثانية هي سبها، ولا يعقل أن يلحق به هؤلاء الذين فقدوا خيولهم وذخيرتهم وأغلب قادتهم في محروقة، وحتى لو حاولوا فسوف لن يلحقوا به إلا بعد وقت طويل جداً يكون فيه قد تمركز وجهز قواته واستحكاماته. كما أنهم إذا تجمعوا في مكان آخر سيقوم بنفس العمل ليقضي على البقية الباقية من (العصاة). وقد دخل سبها يوم 17 فبراير 1914م، ومرزق في يوم 3 مارس 1914م.

وهكذا فقد استغرقت حملة مياني من سوكنة الى مرزق قرابة ثلاثة شهور حيث انها ابتدأت يوم 6 ديسمبر من سوكنة واستقرت في مرزق يوم 3 مارس 1914م. ولان مياني كان يريد أن يقطع إمكانية أي اتصال أو منفذ للمجاهدين فقد قرر أن يحتل (غات). وهكذا حدث؛ فقد أرسل قوة احتلت غات يوم 12 أغسطس 1914م، ولم يحسب بعد ذاك أي حساب للمجاهدين إذ كان قد احتل المنطقة بكاملها. ولان هذا الكولونيل كان يؤمن دائماً بأن الهجوم خير وسيلة وأن تطهير الجيوب واجب فوري، فقد جمع قوة كبيرة أراد أن يطهر بها الجيوب الباقية أو التي صارت بعده في منطقة الشاطئ. وقد تزامن ذلك مع استكمال تجمُّع المجاهدين وتنظيمهم الذي قام به الشيخ سالم على خير وجه وقرر أن يضرب ضربته في المكان الموجع المفجع.

لقد قرر أن يهاجم أقوى قلعة عسكرية جهزها «مياني» بالعساكر والأسلحة، إنها (قارة سبها) وفي يوم 28 نوفمبر 1914م كان قد هاجم واحتل تلك القارة بنجاح منقطع النظير، وما كاد الكولونيل الايطالي «مياني» يعلم بذلك حتى ترك الجيوب والساحة كلها هارباً بمن معه الى سوكنة التي بدأ منها هجمته الأولى.

وهكذا بدأ الانهيار العسكري الايطالي وبدأت مرحلة جديدة مجيدة في تاريخ الجهاد الوطني الليبي، كان للشيخ سالم بن عبدالنبي الناكوع دور بارز ومشرف فيها ومعها. وقد امتد جهاده عشرين سنة كاملة، وبعدها أربع عشرة

سنة من جهاد الغربة إلى أن أسلم روحه الطاهرة الى خالقها سنة 1944م.

منذ هذه المعركة التي قادها الشيخ سالم بكفاءة نادرة لمع نجمه وقد احتل مكانة بارزة في تاريخ الجهاد الوطني الليبي.

بدأ الإيطاليون يدرسون تاريخ حياة هذا الرجل الذي لم يدرس في كلية عسكرية ولا تعلم فنون الحرب في المعاهد العسكرية. ومع كل ذلك ظل الرجل كما هو، بسيطاً متديناً وقوراً بين أهله ورفاقه، هو الشيخ سالم بن عبدالنبي، المجاهد الليبي. أما الأعداء فقد قالوا إنه مغامر وهو باطني داهية لا يعرف أحد ماذا يريد أو فيم يفكر. بل هناك حتى من قال إنه قاطع طريق وأن الحكومة التركية كانت تسعى في القبض عليه وقد رصدت جائزة كبيرة لمن يدلي عنه بأي معلومات... ولكن لا الحكومة التركية ولا الحكومة الايطالية ولا كل الوظائف والأموال استطاعت أن تغري هذا الليبي البسيط، وقد بقي الى آخر يوم في حياته يعيش عيشة الكفاف.

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟
وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾

صدق الله العظيم

[الحجرات ١٥]

5

الفصل الخامس

مرحلة الجهاد الأكبر

لا يختلف اثنان عند الحديث عن مرحلة الجهاد الوطني الأولى في ليبيا أن الليبيين جميعاً قاتلوا ضد العدو الغازي ربما دون أي استثناء؛ فلقد كان الجهاد في سبيل الله والوطن. ويمكن القول إن هذه المرحلة قد استمرت حتى نهاية سنة 1914م وهي المرحلة التي لم تكن فيها مغانم مادية أو وظيفية، ولا استطاع أحد أن يطبق فيها نظرية «فرِّقْ تَسُدْ». أما ما جاء بعدها فقد جاءت معه جميع وسائل الاغراء والاغواء والخداع، دخلت الأموال والمناصب والوظائف السياسية والادارية، وهي مرحلة يمكن أن ينطبق عليها التعبير العربي القائل (اختلط الحابل بالنابل) حيث تمكن الايطاليون من استمالة بعض الناس بالمال والوعود والتخويف والابتزاز، وقد التحق بهم مَن التحق وساعدهم مَن ساعد وعمل لصالحهم مَن ضعفت نفوسهم وايمانهم او انه كان ضعيفاً في الأصل.

وكان الوجود العسكري الايطالي قد انكمش تماماً بعد معركة القرضابية وهزيمة الجيش الذي جاء ليفتح البلاد كلها في تلك المعركة. وقد تجمعت فلوله من انحاء البلاد في المدن الساحلية الثلاث وهي: طرابلس والخمس وزوارة. وحدثت أيضاً بعد هذه المعركة مباشرة الحرب العالمية الأولى التي كانت ايطاليا طرفاً فيها، وقد نتج عن بداية تلك الحرب شيئان هامان بالنسبة للمجاهدين الذين استعادوا المبادرة في الحرب الوطنية واصبحوا في وضع المهاجم القادر الواثق، وهما:

اولاً: انشغال ايطاليا في تلك الحرب باعتبارها أحد اطرافها.

وثانياً: عودة تركيا الى الاهتمام بالساحة الليبية رسمياً بعد أن تركتها، وكانت معها هذه المرة حليفتها في الحرب (المانيا).

وهكذا تدفقت الأسلحة والضباط المدربون والمساعدات الأخرى على المجاهدين من الدولتين (تركيا وألمانيا). وحدث نفس الشيء في المناطق الشرقية من ليبيا حيث أصبح الوجود العسكري الايطالي محصوراً في ثلاث مدن ساحلية هي: طبرق ودرنة وبنغازي. والحدثان الآخران الهامان في هذه المرحلة هما:

اولاً : عودة الاتصال والتفاهم بين قادة الجهاد في ليبيا شرقها وغربها.

ثانياً: العمل على تكوين ما يمكن ان يطلق عليه اسم حكومة وطنية.

وعلى الرغم من ان النوايا لم تكن خالصة كلها إذ كانت هناك اطراف لها مصلحة في عدم توحيد الجهاد الوطني أو بالأحرى أي اتفاق بين قيادات الجهاد في المنطقة الغربية مع السنوسيين الذين يقودون الجهاد في المنطقة الشرقية، مع هذا كله فإن الجهاد الليبي لم يكن بعيداً عن اهتمام العرب والمسلمين، وخصوصاً في مصر. وربما يكون من المفيد أن نذكر هنا أن التواصل بين الشعبين في ليبيا ومصر كان وثيقاً وحميماً في أغلب الأوقات، وبشكل خاص وقت الاجتياح والأزمات؛ فقد كان الضباط المصريون وعلى رأسهم عزيز المصري أول من تقدم لتدريب الليبيين، كما كان السيد عبد الرحمن عزام وبعض القادة والخبراء المصريين اول من ساعد بالخبرة والمشورة في شئون الادارة والسياسة، وكان الهلال الأحمر المصري أول من قدم الخدمات الانسانية والطبية في هذه المرحلة من الحرب التي يخوضها المجاهدون الليبيون.

وكان الليبيون قد قدموا الخدمات والمساعدات لاخوانهم المصريين؛ فقد حدث أنه عندما وقعت فرنسا اتفاق العلم مع تركيا في 9 اكتوبر 1801م وعاد القنصل الفرنسي السيد(بوسييه) الى طرابلس وعادت العلاقات ودية بينه وبين الباشا، وكانت العلاقات مع فرنسا قد اقيمت بالنسبة لحاكم طرابلس

الغرب على أساس من المطامع الشخصية، ولذا فان سكان البلاد لم يكونوا يؤيدون هذه السياسة لأنها كانت من الناحية العملية موجهة ضد شعب مصر الذي كان يخوض نضالاً عادلاً ضد الغزاة الأجانب، فخلال المقاومة الضارية التي كان يقوم بها أهل القاهرة ضد الفرنسيين كان سكان القسم الشرقي من ايالة طرابلس الغرب متضامنين مع المصريين. وبالاضافة الى تقديم المساعدات المادية للمدافعين عن القاهرة، إذ عمد سكان درنه الى ارسال التعزيزات البشرية اليهم، هذا وقد أبدى مثل هذا التضامن مع الشعب المصري سكان مصراته الذين شاركوا في القبض على مبعوث نابليون السيد (ارنو) عندما كان ذلك عائداً من طرابلس باخباريات الى مصر. وعندما اتضح ان (ارنو) هذا هو رسول نابليون قتله رجال سيف النصر على الرغم من طلب باشا طرابلس اطلاق سراحه[1]. ومثلما كانت مصر مأوى آمنا لكل الليبيين الذين هربوا من طغيان الايطاليين، كانت كذلك تونس، وكان الشعب التونسي؛ فقد وجد الليبيون المكان والأمن والأيدي التي تمتد بالمساعدة والمواساة في هذين البلدين العربيين الشقيقين. وهذا ما يؤكد وحدة الأمة العربية وتعاطف المسلمين في كل مكان مع القضايا العادلة والانسانية، ويورد لنا السيد «بروشين» في كتابه الدليل على ذلك عندما يقول:

في يوليو 1574م اقترب الأسطول من شطآن تونس وحلق الواد، وكان السكان قد بدأوا قبل وصوله بتشديد صراعهم ضد الاسبان وممثليهم موجودين إلا خلف أسوار تحصيناتهم، بدأ الأتراك عملياتهم العسكرية بحصار تونس، واشترك في الحرب التونسيون والجزائريون وجنود متطوعون من طرابلس الغرب ومصر، وتحملت المدينة الحصار مدة ستة أيام حتى اذا اقتنع الاسبان باستحالة الدفاع عنها وعن قلعتها انسحبوا الى قلعة باب البحر. ففي تلك النقطة المحصنة والمجهزة من أجل الحصار الطويل الأمد ركز عدد كبير من الأسلحة والذخائر.

---

(1) كتاب تاريخ ليبيا في العصر الحديث، تأليف ن.أ. بروشين، ترجمة د. عماد حاتم.

وفي اغسطس سنة 1574م بدأ حصار حلق الواد، قلعة الاسبان الرئيسية في تونس، وتواصل ضرب القلعة 40 يوماً متصلة، وكانت خسائر الجانبين كبيرة فالاسبان لوحدهم خسروا 5 آلاف من القتلى والفين من الجرحى وكان بين الاسلاب التي غنمها الأتراك 500 قطعة سلاح ارسل 130 من بينها الى استامبول، وتم القبض على مولاي محمد، سلطان تونس وعلى قائد القوى الاسبانية.

وبعد احتلال حلق الواد تبقى في ايدي الاسبان حصنان هما باب البحر وحصن شاكلي (سان جان). ولم يكن بالمقدور كسر المقاومة الخرافية للمحاصرين الا بالحصار الطويل الأمد، وبعد سقوط هذين الحصنين الاسبانيين المهيمنين في الشمال الافريقي انتهت معركة تونس ووضعت حدًّا لاسرة الحفصيين والسيطرة الاسبانية في هذه البلاد. وقد تكبد الجانبان خسائر معتبرة، فالاسبان وحدهم خسروا 8 الآف إذا ما اغفلنا العدد الكبير من انصار مولاي محمد. أما الجيوش التركية ومعها قوات المتطوعين المسلمة من التونسيين والطرابلسيين والجزائريين فقد خسروا في حربهم مع الاسبان 10 الآف انسان.

وهكذا استطاع الاتراك باستخدامهم لنضال الأهالي المحليين ضد سيطرة الاسبان ان يوسعوا بصورة معتبرة حدود ممتلكاتهم فوق الشمال الافريقي، وأدى حصول تركيا على الأراضي الجديدة إلى إضعاف اسبانيا التي اخذت تعاني من المتاعب الاقتصادية الملموسة بعد أن عانت سلسلة من الهزائم الكبرى، وبعد هزيمتها في تونس لم يبق لها نقاط ارتكاز في افريقيا الشمالية إلا مليلة، مرسي الكبير ووهران، وفي سنة 1581م صرف فيليب الثاني النظر نهائياً[1] عن الثأر في افريقيا الشمالية ووقع الصلح مع السلطان مراد الثاني.

وعندما تكونت الحكومة الوطنية وحدثت الاتصالات بين المبعوثين الأتراك وبعض قادة الجهاد الوطني في ليبيا، كان الشيخ سالم بن عبد النبي مستقراً

---

(1) نفس المصدر.

في موقع رأسه (القرية) يتأمل مجريات الأمور، وكان يعرف تماماً أن الجهاد لم ينتهِ، وأن الايطاليين لا بد عائدون. وكان ينصح أولئك الذين نزحوا عن فزان بالعودة إليها والاستعداد للجولة القادمة. لم يكن له في السياسة شأن ولا في الحكم مطمع، ولا كان يميل الى حياة المدن والمكاتب او المراسم، فقد نشأ حرًّا طليقاً لا يقيم إلا في الصحراء الواسعة ولا يملك إلا الفرس والبندقية والابل والغنم مع ميل نسبي الى الزراعة، وكانت له مزارع في الجنوب وبعض الأملاك استولى عليها الايطاليون فيما بعد، أي بعد هجرته.

وعندما اشتدت حالة الحرب الأوربية كانت فيها تركيا والمانيا وبلغاريا والنمسا في الجانب المعادي للحلفاء ايطاليا وبريطانيا وروسيا وفرنسا، تدعمت علاقات التعاون الحربي بين المجاهدين الليبيين وتركيا والمانيا، وقد تم العمل على تنظيم المحاربين الليبيين ليكونوا نواة الجيش الوطني بقيادات تركية. وكانت الحكومة الوطنية عملياً تابعة للسلطان، وكانت هناك عمليات حربية متقطعة بين حين وآخر لاثبات الوجود تحدث بين القوات الايطالية الباقية في شواطئ ليبيا وبين المجاهدين. ونظراً لذلك فإن الليبيين لم ينصرفوا تماماً الى اعمالهم الخاصة في الزراعة وغيرها، ولهذا السبب لم تكن الحياة مستقرة أو آمنة.

وما أن انتصر الحلفاء ومعهم إيطاليا سنة 1918م في تلك الحرب العالمية حتى تغير الموقف الايطالي كما تغير الموقف التركي، ذلك أن السلطان التركي قد أمر من بقي من مواطنيه بالعودة الى بلادهم، وسلكت ايطاليا سياسة جديدة اعتماداً على تجربتها السابقة في ليبيا اذ عرفت أن السلاح وحده لا يمكن أن يحل المشكلة. وبذلك جعلت السياسة في مكان السلاح وهي بطبيعة الحال تدرك أن موقف الليبيين لا بد أن يكون أضعف مما كان عليه قبل وأثناء الحرب الأوربية.

وأثناء الحرب الأوربية كان السيد إدريس السنوسي قد حصل على وعد من بريطانيا بالمساعدة في الحصول على الحكم الذاتي لبرقة بعد انتهاء الحرب. وهكذا تكونت إمارة برقة برئاسته بينما عمل قادة الجهاد في المنطقة الغربية

على تأسيس الجمهورية الطرابلسية ربما اقتناعاً بأنه لم يكن ممكناً لهم التفاهم مع السنوسيين، أو ربما للرغبة في فرض الأمر الواقع على ايطاليا التي خرجت من الحرب العالمية الأولى منهكة وان كانت منتصرة. وهكذا اتفق الطرفان على عقد مؤتمر خلال سنة 1919م عرف فيما بعد باسم مؤتمر (سواني بنيآدم) وقد تمخض عن بعض الاتفاقات الوطنية التي تضمنها القانون الأساسي الذي صدر فيما بعد، وما كانت ايطاليا صادقة في أي اتفاق، إلا أنها كانت ترغب في كسب الوقت والفرص لضرب المجاهدين ببعضهم. وبدأ رجالها يعملون دون كلل على إثارة الفتن والنعرات القبلية والطائفية والعرقية بين قادة الجهاد، وقد نجحوا الى حد كبير في ذلك المسعى وعلى الرغم من أن هؤلاء قد فطنوا لما يقوم به رجال الحكومة الايطالية، إلا أن الدعاية والدسائس كانت قد فعلت فعلها.

وعقدوا مؤتمراً عرف باسم (مؤتمر غريان) سنة 1920م واتفقوا على ارسال وفد الى روما لتأكيد الحقوق والمطالب الوطنية لليبيين. وما كانت ايطاليا لتقبل بذلك على الرغم من سفر الوفد الى هناك، فبعثت بوفد ليبي آخر يلغي مهمة وفد مؤتمر غريان، وبالتالي فقد فشل الوفد الأول في تحقيق أي شيء إلا بعض الدعاية الاعلامية في ايطاليا.

وبعد عودة وفد مؤتمر غريان من روما بلا نتائج بدأت المناوشات الحربية من جديد في المنطقة الغربية في ليبيا. ولما كان الأمير السنوسي في برقة أيضاً لم يجد وفاء من إيطاليا رغم تصالحه معها، فقد تمّت اتصالات بينه وبين قادة الجهاد في غرب البلاد وتم الاتفاق على عقد مؤتمر لتوحيد الجهود وعرف فيما بعد باسم (مؤتمر سرت سنة 1921م). ولكن ايطاليا لم تسمح بذلك وقامت بعمليات حربية كبيرة ضد المواقع الوطنية في مختلف مناطق البلاد سنة 1922م، ولكنها لم تنجح في تحقيق أغراضها فسعت مرة ثانية الى المصالحة وانعقد مؤتمر ضم مندوبي ايطاليا مع المجاهدين في (فندق الشريف). ولكن اللقاء في هذا المؤتمر انفض دون نتيجة تذكر، ولا بد ان السلطات الايطالية

في هذه الأثناء وطدت علاقاتها مع بعض قادة الجهاد الوطني وبالتالي تراجعت عن نية المصالحة.

وقد سيطر على بعض القادة التفكير في المصالح الخاصة، وكان هناك من طلب إمارة خاصة به مشابهة ربما لامارة السنوسي في برقة!!! وهكذا بدأت الحرب من جديد وان اختلفت هذه المرة، فقد بدأ الوطنيون يتقاتلون فيما بينهم، ومع بداية الخلاف والتقاتل شددت ايطاليا من هجماتها، فقتل السويحلي وهو احد قادة الجهاد، وبدأ كل زعيم يفكر في نفسه وفي منطقته أو قبيلته فقط. تحالفت قبائل وزعماء ضد قبائل وزعماء آخرين، وانضمت الى الغازي قبائل ومناطق وزعامات للمحافظة على مصالحها او فوائدها، ومن لم يستطع فقد هاجر وهجر، هجر الجهاد وهاجر الى بلاد أخرى، مصر تونس السودان سوريا تركيا.

وفي هذه الفترة بدأت المرحلة الثالثة من الحرب وهي التي اسماها الايطاليون (حرب الاستعادة أو الاسترداد) وهذا يعني أنهم قرروا استعادة الأراضي والمناطق التي كانوا قد احتلوها في بداية غزوهم وقد طردهم منها المجاهدون بعد ثورة سنة 1914م اي احتلال البلاد كلها، شرقاً وغرباً وجنوباً، وكان على المجاهدين أن يلجأوا من جديد الى المواقع التي كانوا قد احتموا بها وقاتلوا منها، الى الصحراء بعد العديد من المعارك اليائسة وغير المتكافئة.

وعاد الشيخ سالم بن عبد النبي من جديد الى الميدان، الميدان الذي لا يعرف غيره، فهو لم يفاوض، ولا التقى بالأعداء حتى لو كانت الأغراض وطنية، عاد بعد استراحة وتأمل ربما هي (استراحة المحارب) وكان قد خاض الكثير من المعارك مع زعماء آخرين ومجاهدين من مختلف القبائل الليبية نذكر منها:

1ـ معركة الجوش (12 يونيو 1922م)
2ـ معركة السلامات (18 يونيو 1922م)
3ـ معركة الوخيم (9 مارس 1924م)

4ـ معركة الطابونية (16 مارس 1924م)

5ـ معركة ودي الخيل (اغسطس 1925م)

6ـ معركة القريات الأولى (15 يوليو 1928م)

7ـ معركة بئر علاق (9 ابريل 1929م)

وأما تفاصيلها وظروفها وما أحاط بها فهي كما يلي:

معركة الوخيم، (3 يونيو 1922م)

كانت معركة وادي الوخيم أولى المعارك التي خاضها المجاهدون ضد قوات الغزو الايطالية فيما عرف تاريخيًّا باسم (حرب الاستعادة أو الاسترداد) وقد جرت هذه المعركة في (3 يونيو 1922م). وكان هذه المرة يقود القوات الايطالية جنرال جديد هو (رودولفو غراتزياني) ولقد تكبّد فيها الايطاليون خسائر كبيرة واستطاع المجاهدون إيقاف تقدمهم. وكانت الطائرات قد استعملت لأول مرة في هذه الحرب ولقد حدثني الحاج محمد الصغير العائب، وكان عاصر تلك المعارك وان كان صغير السن، إلا أن والده كان أحد أبرز المجاهدين (وقد اعدمه الايطاليون في الزنتان بعد معركة الكردون ضمن العشرة الذين اعدموا قرب السوق ويعرف قبرهم حتى الآن بقبر العشرة) حدثني عن تلك المعركة وكيف كان أثر ظهور الطائرات على المجاهدين وعلى خيولهم التي لم تألف هذه الظاهرة، حيث قال:

بدأ تحرك القوات الايطالية التي يقودها غراتزياني والتي تتكون من ايطاليين وأحباش ومجندين ليبيين وهي مزودة بمختلف الأسلحة والعتاد، وصعدت القوات من الوطية في اتجاه وادي (غدو) وتزوّدوا بالمياه من سواني الحمراء وكان المجاهدون من الزنتان والرجبان وآخرين في انتظارهم بالوخيم في رأس الوادي بمكان اسمه (الصليعات). وقد هجم الايطاليون بقوات المشاة والفرسان، وكانت الطائرات فوقهم وهي المرة الأولى التي يرى فيها المجاهدون الطائرات، وكانت هذه الطائرات تصوب الرشاشات على المجاهدين بينما جفلت الخيول كأنما

أصيبت بالجنون بسبب أزيز الطائرات التي لم ترها من قبل، ومع ذلك فقد صمد المجاهدون أمام كل ذلك الجحيم وردوا الايطاليين في اليوم الأول وعادوا الى سواني الكردي قرب (غدو) وقد اصاب منهم العطش وصاروا يحفرون تلك السواني بحثاً عن الماء.

وفي الصباح خلال اليوم الثاني بينما كان المجندون الذين يعملون مع الطليان يبحثون عن الماء فاجأهم المجاهدون وقتلوهم جميعاً، ثم حدث هجوم آخر من طرف الايطاليين ومعهم الطائرات وقد قتل عدد كبير من المجاهدين أذكر منهم: إبراهيم القرج بن عمار وبالقاسم بوتالوله وابنه محمد وحسن فكيني وابن علي العالم والهادي بودرباله وعدداً آخر، وقد انسحب المجاهدون (وأود أن أذكركم انني في ذلك الوقت كنت شاباً غير صائم) والحقيقة أن الطائرات هي التي كانت سبباً، وفي معركة السلامات كان هناك من يشجع الايطاليين على صعود الجبل ويقولون لهم: إن المجاهدين منشغلون بنقل عائلاتهم. وكانت بغال الايطاليين شبه عاجزة عن جر المدافع عبر الجبل، ومع الأسف كان بعض الليبيين يساعدونهم في دفع عربات المدافع التي ضربونا بها بعدئذ، وكان المجاهدون في مكان اسمه (الخربة) ولم يكونوا كثيرين، ومع ذلك فقد هجموا على الجيش الايطالي المتقدم عبر السلامات، وقد استشهد ميلود بن سالم وموسى الدحنوس والهادي العيساوي ومحمد بن عبد الواحد. وأذكر ان الذين استشهدوا في السلامات من الزنتان فقط كانوا خمسة وعشرين مجاهداً. ونظراً للخسائر الكبيرة فقد انسحب المجاهدون.

وبعدئذٍ تجمع الزنتان والرجبان في منطقة الزنتان وتبين أن الايطاليين قد اتفقوا مع بعض المتعاونين معهم من الليبيين على ضرب حصار، أي أن يأتي الايطاليون من الغرب والعرب المتعاونون معهم من الشرق. وهكذا انتقلنا الى مزدة وبئر الحميراء وفسانو وبئر المرحان والى بئر علاق، بينما تجمع الايطاليون ومن معهم من الليبيين في جادو.

وعندما اطمأن المجاهدون على أسرهم في منطقة مزدة استعدوا من جديد

وكونوا خط دفاع في (سفيت)، وقد جاء في ذلك الوقت خالد القرقني ومعه بعض الجنود وكذلك السيد حمد السني. وهكذا تكونت جبهة فيها الزنتان والرجبان والقواليش وككله. وكان الرؤساء هم عمر الغز وعمر بن حمد والشنطة والمحاريق وبقية أعيان الزنتان، وكان الناس محتاجين للغذاء. ولهذا كان المجاهدون يذهبون عن طريق يفرن الى الشاطئ للحصول على الشعير وكانوا قد احضروا رحى للطحن وكان ذلك كل ما يتوفر لأكل المجاهدين، بقي المجاهدون في تلك الجبهة وكان الذين يهاجموننا هم المجندين العرب بينما بقي غزاتزياني في جادو، وهؤلاء كانوا يهاجمون ثم يعودون الى جادو، لا أعرف التاريخ بالتحديد في الوقت الذي هجم فيه الايطاليون على سفيت، وكان المجاهدون ينقصهم كل شيء بما في ذلك الذخيرة، وكان لا بد ان ينسحبوا، وعندما بدأ الهجوم كان القواليش يستعدون للرحيل، ولما فوجئوا بالهجوم صمدوا امام القوة الايطالية كلها ولم يكن عددهم يزيد على 70 رجلاً، ثم انسحبوا بسلام محافظين على أسرهم وانتقلوا مع بقية المجاهدين الى مزده والأبيار.

بعد ذاك حدثت اتصالات بين الايطاليين وعلي الشنطة والصيد، وكان رأي الشنطة والصيد وكذلك محمد فكيني ان الناس قد تعبت ولا يمكن لها أن تستمر في الحرب ضد الحكومة. وبعد تلك الاتصالات جاء الشنطة وحمد الصيد وقالوا إن الحكومة مستعدة للعفو ويجب أن تعودوا الى البلاد وان تسلموا الاسلحة، ولهذا فان اغلب المجاهدين رفضوا وقرروا الاتجاه الى القبلة وترك الأمر اختيارياً لكل شخص فيما يتعلق بالاستسلام. وحدث ان الذين رجعوا الى المنطقة قبض عليهم الايطاليون، وكان الوقت على ما اعتقد شهر يوليو، قبض على: علي الشنطة، ومحمد الشنطة، وعبد السلام الشنطة، ومحمد بن علي الشنطة، وسالم عمر كامور، ومحمد بن ضوء، وموسى فطيحيز، وعبد الواحد وحمد الكرودي، ومنصور الكافالي، وخليفة ديدون، ومبارك الرسي، ومحمد الوعد، والحاج الحضيري الرماح مات في الطريق وكان مكتوف

الأيدي (مكلبش). أما حمد الصيد فقد رجع وعندما سئل قال: إنني لا أملك رأسين كي أسلم احدهما للايطاليين؛ وقد بدأ الايطاليون ينكلون بالناس بسبب بعض الوشايات مثلما حدث مع عدد كبير من الزنتان الذين أُعدموا بلا أي سبب الا بوشاية انهم يفكرون في الالتحاق بالمجاهدين في القبلة.

ويذكر الاستاذ التليسي بشأن معركة الوخيم ما يلي:

كانت هذه المعركة من المعارك الأولى التي جرت بالجبل الغربي (30 يونيو 1922م)[1] أثناء زحف القوات الايطالية بقيادة الجنرال غراتزياني في نطاق العمل العسكري الذي تبنته الحكومة الايطالية حينذاك في سبيل استرداد واعادة احتلال المواقع التي كانت بيد الوطنيين والتي ظلت حتى ذلك الوقت خارج نطاق السلطة الايطالية، وقد استطاع المجاهدون إرهاق العدو في هذه المعركة. ويعترف الجنرال غراتزياني في وصفه للمعركة بأن القوات الايطالية قد وجدت نفسها في موقف حرج، ولم يتحسن هذا الوضع الا بعد وصول المزيد من الدعم. وقد اضطرت القوات المعادية الى إيقاف الزحف على الجبل لمدة تزيد على خمسة أيام بدعوى سوء الأحوال الجوية وارتفاع درجة الحرارة، إلا أنها في الواقع كانت تنتظر المزيد من الدعم عن طريق زوارة، وقامت الطائرات بضرب المجاهدين وملاحقتهم في الأيام التالية للمعركة[2].

ونرى ان غراتزياني قد تحدث عن المعركة بتوسع فقال:

وفي صباح اليوم الثالث في الوخيم قبل تنفيذ هذه التدابير هوجمت الخيالة (السباهيس) التي توجهت لاستكشاف مواقع الاعداء وطوقتها قوات كبيرة كثيرة العدد ولكن امكنها أن تتخلص من هذا الحصار بعد جهد وعناء شديدين، وبعد أن فقدت ضابطين من ضباطها الثلاثة وكثيراً من الجنود فضلاً عن عدد من الخيول.

---

(1) يلاحظ أن هناك خطأ في التاريخ ربما يكون مطبعيا وهو بدلاً من (30 يكون 3 يونيو).

(2) معجم معارك الجهاد في ليبيا، خليفة التليسي.

كما فوجئ ما يقرب من مائة من قوات (خريبيش) وهم يبحثون عن الماء في جهات قريبة من المعسكر وذبحوا عن آخرهم بعد أن فقدوا كل أسلحتهم وقد قتل فكيني ثلاثين منهم بيده[1].

ولكن هذا الموقف الحرج قد تحسن في الأيام التالية بفضل تراجع الفصائل التي كانت قد أرسلت الى (الحمراء) وإخراج الأتربة من الآبار التي بدأت تفيض بالماء وأفادت منها جميع الوحدات بما فيها الفصائل التي بقيت في سواني الكردي. ولكن ريح القبلي اشتد هبوبها اشتداداً عظيماً منقطع النظير في الخمسة الأيام التالية وكانت تخنق بدواماتها الرملية العاتية الرجال والدواب، وكانت ساريات المحطات اللاسلكية مدى خمسة أيام (من 3 الى 8) لا يمكن رفعها الى أعلى، وكان يبدو أن الطبيعة تعترض بقوتها الغاشمة ارادة جماعة من الرجال الأبطال كانوا يريدون ان ينتهكوا اسرارها، وكانت تظهر هناك بعيداً بين السحب الرملية جوانب (الجبل) الوعرة السوداء، ذلك الحمى المتبع الذي كان يبدو انه لا يمكن الوصول اليه او التغلب عليه.

وكانت واحة الجوش تبدو من بعيد جهة الغرب في ذلك الأفق الداكن وقت الأصيل، وعندما تهدأ الريح كأنها غادة فتانة تسبي العقول وهي ملأى بالنخيل والمياه الجارية.

كانت تلك الأيام أيام قلق وجزع ولا يمكن أن تنسى على مرور الزمن وكر الأيام، ولكن الارادة القوية التي لا تتزعزع تتغلب على جميع الشدائد.

وبشأن معركة الجوش يقول:

حوالى الساعة الثامنة والنصف من يوم 13 يونيو 1922م، هاجمتني وحدات قوية من وحدات العدو كانت تتلقى على الدوام إمدادات من المحلات التي

---

(1) نحو فزان، رودولفو غراتزياني، علماً بأنه لم يثبت ان فكيني قد قتل ذلك العدد بيده كما ذكر المؤلف فالقتل ليس غريباً في حالة الحرب وانما مثل ذلك العدد في وقت واحد غير ممكن وبواسطة شخص واحد.

كانت تأتي من الوخيم وكانت هذه كلها من الزنتان والرجبان والحرابة والصيعان وغيرها (قوامها 2500 بندقية) وكلهم من الرجال المدربين على الحروب والذين كانوا يفاخرون بانتصاراتهم علينا التي احرزوها في سنة 1915م. وسرعان ما استعرت نيران القتال الحامية حول الألاي الذي كان يزحف وهو يتبع نظام التشكيلات العسكرية القديمة (المربعات) ويضم عدداً كبيراً من الحراس لأنه كان يسير في أرض منبسطة مكشوفة.

لقد تدخل رجال القوات الجوية الذين كانت طائراتهم جاثمة في معسكر أعد لها في سواني الكردي حيث وقفت لحراستها قوة الهجانة، وكانوا يحضرون القنابل ويعودون الى العمل دون توقف وهم يلقون منها أيضاً الذعر والهلع في صفوف الأعداء.

وكانت الكتيبة الليبية الأولى تصد هجوم الأعداء على مسيرتنا وتضعف حماستهم بينما كانت الكتيبة الليبية السادسة تعمل في الجهة اليمنى والكتيبة الأريترية الرابعة تصد هجمات قام بها العدو على مؤخرة الألاي، وبثلاث هجمات قمنا بها احتللنا (العين الجديدة) التي ضمنت لنا الحصول على الماء اللازم، وبهجومين آخرين احتللنا واحة الجوش بينما كان العدو يولي الادبار الى جادو عن طريق شكشوك تتبعه جماعة الخيالة والسباهيس في غير هوادة.

ثم يضيف في مكان آخر من الكتاب:

وفضلاً عن هذا فإن جموع الثوار الذين انهزموا في الجوش قد صعدوا فوق الجبل بأسلحتهم وأصبح في إمكانهم الدفاع عن الممرات بقذف الحجارة نظراً لوعورتها الكبيرة وصعوبة سلوكها.

وكان الزعماء الوطنيون المحليون بما فيهم (خربيش) يستبعدون ان يستطيع العدو في الحال جمع شمله. وكانوا يميلون الى البقاء في الجوش في انتظار لمدة بضعة أيام، ومن العبث ان يستمع القائد الى آراء القواد الذين تحت أمرته أو إلى نصائحهم وارشاداتهم. وإنني حتى إذا ما استمعت لهم فانه

يكون من الصعب عليَّ بعد ذلك أن أقر ما أراه وما يخطر ببالي في حدود المسؤولية الخطيرة التي تقع على كاهلي. إذ أن تولي القيادة معناه البث وإصدار القرار وهذه حكمة قديمة ترن في ذهني كدق المطارق، وعلى مسافة ليست بالبعيدة على خط الجبل الوعر الذي يقوم كأنه حصن عجيب لا يمكن انتهاكه كان هذا الخط يقول لي بلغته الصامتة، إن البقاء على سفحه معناه الهزيمة، وليست السيطرة ويجب الاسراع بالصعود وبانه من العبث ايضاً انتظار الأوامر والتصريحات من طرابلس، وفي مثل هذه الحالات يجب أن يبث في الأمر من مكان المعركة، وهذه الحكمة القديمة يمكن تطبيقها في الحروب الاستعمارية بوجه خاص[1].

معركة الجوش

هذه المعركة كانت مباشرة بعد معركة وادي الوخيم وقد ذكرها الاستاذ التليسي قائلاً:

بعد معركة الوادي الوخيم التي جرت في 30 مايو 1922م (نلاحظ ان التاريخ خطأ مرة أخرى) اضطر الجنرال غراتسياني الى تأجيل الزحف على الجوش بسبب المتاعب الكبيرة التي تعرضت لها حشوده من جراء المعركة المذكورة، ولم يتحرك نحو الجوش الا بعد أن وصله المزيد من الدعم، وبعد أن تحسنت الأحوال الجوية بما ساعده على استغلال الطيران الى أبعد مدى ممكن (يقول غراتسياني: كان عليَّ أن أختار بين طريقين إما أن انقض مباشرة في اتجاه الوخيم حيث كان الخصم ينتظرنا في مواقع محصنة مجهزة تسيطر على مداخل جادو عن طريق شكشوك وطريق الجوش، وإما أن أتجه مباشرة الى الجوش عن طريق العين الجديدة. وقد اخترت الحل الثاني الذي يسمح لي بالمبادرة في الحركة ويرغم الخصم على تغيير مواقعه).

وهكذا نشبت معركة الجوش وهي من المعارك الهامة التي دارت في هذه

(1) نفس المصدر.

المنطقة دفاعاً عن الجبل الغربي، وبدأت المعركة عند الساعة الثامنة والنصف من يوم 13 يونيو 1922م عندما قامت مجموعة من المجاهدين بمهاجمة قوات غراتسياني، وقد أخذت قوة المجاهدين تتزايد بذلك العدد الذي تحول من الوادي الوخيم الى المواقع الجديدة، وكانت محلات المجاهدين مؤلفة في اغلبها من الزنتان والرجبان والصيعان والحرابة وغيرهم، ويقول غراتسياني: «إنهم أقوام محاربون زادت من جرأتهم الانتصارات التي حققوها ضدنا سنة 1915م».

ودارت المعركة عنيفة مريرة طوال اليوم حول العين الجديدة مما دفع بغراتسياني الى ان يستخدم الطيران على نطاق واسع وإلقاء القنابل على صفوف المجاهدين، مما حوَّل المعركة في النهاية الى صالحه، واستطاع ان يظفر بالسيطرة على العين الجديدة التي تشكل مصدراً هاماً للمياه، ويعترف غراتسياني بأن قواته قد تعرضت الى خسائر فادحة في صفوف الضباط والجنود[1].

ويأتي السيد القشاط بكل تطاول وخيلاء وتزوير ليذكر معركة الجوش على نحو يخالف كل ما كتب او قيل عنها، وهذه روايته[2]:

في الوقت الذي بدأت النجدات تصل قرسياني في سواني الكردي أُشيع في المجاهدين أن الطليان يزحفون الى الجبل من جهة (البيضاء والدناجي) وهما منطقتان في سهل الجفارة من املاك الرجبان والزنتان. وقد فعلت هذه الاشاعة فعلها في صفوف المجاهدين؛ فلقد ترك المنطقة مجموعات كبيرة من الزنتان والرجبان وعادوا الى قراهم في الجبل، كما أن فراغ التموين من المجاهدين أيضاً سبب في ذهاب أكثرهم الى منتجعاتهم لجلب دقيق التموين. وهكذا بعد معركة الوخيم لم يبق من الزنتان والرجبان الا مجموعة رمزية قليلة. أما الصيعان فمن المعلوم ان أكثر من نصفهم يقاتل في بئر الغنم تحت قيادة علي كله وعون سوف.

(1) معجم معارك الجهاد في ليبيا، خليفة التليسي.

(2) معارك الدفاع عن الجبل الغربي، محمد القشاط.

وفي يوم 12 يونيو زحف الطليان نحو الجوش، وقد كان المجاهد محمد العريض من الصيعان كل ليلة بجانب العدو يترصد حركاته ويخبر المجاهدين. وفي تلك الليلة رجع للمجاهدين وأخبرهم أن الطليان يتحرّك ولا أعلم جهته فلقد تركت ابله محمله وخيوله مسرجة، كما نقل اثنين من فرسان الزنتان نفس الخبر.

وفي الصباح صعد الطليان على جهة (حسي بركة) و (عين الجديدة) وتلقاه الصيعان والحرابة وبعض الزنتان والرجبان، وكانت خيول المجاهدين تنفر من الطيارات لأنها لم تتعود عليها قط، وكان الجواد يفر بفارسه عند سماع أزيز الطيارات، ذلك الطيران الذي استخدمه قرسياني بكثافة ولو ان قنابله غير مؤثرة إلا أن مجرد ظهوره في سماء المعركة تنفر خيول المجاهدين مبتعدة عن المعركة بغير انتظام وغير اتجاه، وقد كانت قوة المجاهدين لا تزيد عن (300) ثلاثمائة ما بين فرسان وبيادة تقاتل جيش قرسياني اللجب.

ويضيف القشاط:

وهكذا يعترف العدو بخسائره الفادحة بالرغم من لجوئه دائماً لاخفاء خسائره؛ أما المجاهدون فقد استشهد منهم نفر قليلون، منهم محمد بن عبد الواحد من الزنتان كما جرح من الزنتان احمد العرعود وعلي بن حمد، وانتقل الزنتان والرجبان الى الجبل، ورحل الصيعان بعائلاتهم وإبلهم وأغنامهم من الحميدة باتجاه الشياب على قسمين كبيرين!! انتهى كلام القشاط.

وأمر هذا الرجل غريب عجيب فهو حتى في عملية التزوير هذه لم يوفق. فقد ذكر لنا ان قلة من الزنتان والرجبان شاركوا في المعركة بينما تحمل العبء فيها الصيعان والحرابة. ولكن عندما انتهت المعركة أتضح ان الذين استشهدوا هم فقط من الزنتان وقد ذكر اسم شهيد من الزنتان، ولا أحد آخر، أي انه لم يجرح أو يستشهد أحد من الصيعان او الحرابة وهم الأغلبية التي قامت بالمعركة!!! هذا أولاً. ثم قال إن الخيول كانت تنفر من الطيارات، وكان حري به إمعاناً في التزوير أن يقول إن خيول الزنتان والرجبان هي

التي كانت تنفر من الطائرات أما الخيول الصيعان فلا، لأن الصيعان لم يهربوا من ميدان المعركة، وربما أيضاً لا يقتلهم الرصاص اذ كيف يستقيم الأمر اذا كانوا هم الأغلبية وهم الذين يقاتلون ولا يجرح او يستشهد منهم أحد... (وقد نقلنا كلمات القشاط كما هي ولم نضف اليها الا علامات التعجب في الآخر).

ولأنه اراد ان يقول للقارئ الكريم أن الأغلبية من الصيعان فقد قال إنه عندما انتهت المعركة عاد أولئك القلة من الزنتان والرجبان الى قراهم بينما انقسم الصيعان الى قسمين كبيرين (نلاحظ هنا كلمة، كبيرين!!)

وفي حين كان غراتسياني يقول إن قوة المجاهدين كانت في حدود (2500 بندقية) يرفض القشاط ذلك الكلام ويقول إنهم ثلاثمائة فقط، فطالما أن الأغلبية من الصيعان فلا يجوز ان يكون المجاهدون بذلك العدد الذي ذكره غراتسياني!!

واذا كانت كل المصادر التاريخية بما فيها المجاهدون الذين اشتركوا في المعركة قد ذكروا معلومات لا ترضي السيد القشاط فهي جميعاً كاذبة، أو ربما أن غراتسياني يكون معادياً للصيعان فلم يشأ أن يذكرهم بما أكّده القشاط بعد مرور احدى وستين سنة من وقوع تلك المعركة، وعلى كل حال لا بد أن القشاط كان حاضراً وأحصى العدد بينما كان الجنرال الايطالي يدس رأسه في التراب خوفاً من الرصاص ولم يستطع التدقيق في العدد.

معركة السلامات

بعد معركتي وادي الوخيم والجوش، وقد تكبد المجاهدون فيها خسائر كبيرة بسبب التفوق الذي كان عليه الايطاليون في الجنود والسلاح والمعدات، وبسبب عنصر آخر هام دخل الحرب لأول مرة وهو الطائرات الحربية، فقد عمل المجاهدون وهم يعرفون أن القوات الايطالية في اتجاهها لاحتلال الجبل، عملوا على إعادة تنظيم أنفسهم وقرّروا خَوْض معركة ربما تكون فاصلة ضد القوات

الايطالية قبل أن تتمكن من الصعود على الجبل. وقد اختاروا المكان المناسب لتلك المعركة وهو (السلامات).

وكان غراتسياني قد اتخذ نفس القرار لأنه يعرف الأهمية الاستراتيجية لتلك المنطقة، ويحدثنا الاستاذ التليسي عن معركة السلامات فيقول[1]:

عمل المجاهدون على إعادة تنظيم أنفسهم بعد معركتي الوخيم والجوش وتحوّلوا في حركة سريعة فجر يوم 18 يونيو 1922م نحو السلامات للسيطرة على هذا المنفذ الهام. وكان العدو قد احتاط لهذه الحركة فبادر الى توجيه قوة غير نظامية الى السلامات للسيطرة على هذا المنفذ الجبلي الهام وتأمين زحف القوة الايطالية الى الجبل، ورابطت هذه القوة في السلامات يوم 15 يونيو 1922، وفوجئت يوم 18 يونيو 1922م بالمجاهدين يشنون عليها هجوماً عنيفاً دارت على أثره معركة حامية، استمرت حتى ساعة متأخرة من المساء تكبَّد فيها الطرفان خسائر كبيرة. وتعتبر هذه المعركة من المعارك الفاصلة التي جرت في هذه المنطقة، وقد ساهم في تقرير نهاية المعركة لصالح الايطاليين العدد والعدة والظروف التي استنفذت قوى المجاهدين في المعارك السابقة...

ويقول الجنرال غراتسياني عن معركة السلامات ما يلي:

وفي صباح يوم 17 كنا نصعد الجبل الطرابلسي للمرة الأولى منذ سنة 1915م عن طريق ممر السلامات بالألاى الذي كان يتألف من الكتيبة الأريترية الرابعة والكتيبة الليبية الأولى وجماعات الخيالة (السباهيس) وقسم من مدفعية البطارية الثانية بعد ان تركنا في واحة (الجوش) الكتيبة الليبية السادسة لحماية القاعدة.

ويضيف: على ان محلات الثوار التي كان قد تمَّ تشكيلها من جديد على وجه السرعة في جادو بعد تشتيت شملها في الجوش والتي قد اندفعت

(1) كتاب معجم معارك الجهاد في ليبيا، خليفة التليسي.

في زحف سريع نحو السلامات لحصار هذا المضيق الذي وجدته محتلاً، قامت في فجر يوم 18 بهجوم عنيف على مواقعنا وقد استمرت المعركة حتى الساعة الرابعة بعد الظهر وانتهت بانكسار العدو وتشتيت شمله، وبدأ الرائد «تراكيا» دون تأخير في تعقُّب العدو طوال الليل، وفي صباح يوم 19 احتل بلدة «جادو» وهنا أيضاً رفع رايتنا فوق قلعتها القديمة.

ولقد كان إعادة احتلال هذا المركز ومركز «كاباو» قد نتج عنه نزوح جميع أهالي الرجبان والزنتان الى القبلة فضلاً عن بعض جماعات أخرى، كما أدى الى تسليم واستسلام جميع الأهالي العرب في الجبل من جادو الى نالوت[1]. انتهى كلام غراتسياني.

ولا يكتفي القشاط لأنه بطبيعة الحال يريد أن يؤكد ان الايطاليين لولا الصيعان ما كانوا يحتاجون الى استعمال ربما أي سلاح لاحتلال الجبل لأن الزنتان والرجبان هربوا منه تاركين العدو يتقدم بدون قتال، ولذا فقد تحدث عن معركة السلامات على النحو الذي يروق له كما يلي:

18 يونيو 1922م، وصل الى الجوش محمد بن محمد السلامي قادماً من السلامات وطالباً من الطليان الزحف نحو السلامات للاستيلاء عليها إذ ان المجاهدين اجتازوها نحو الجبل، فلقد نزل المدير نصر بمن معه بالشباب استعداداً للعودة الى الجوش مستسلماً، ونزل المبروك الغدي والطيف الحطاب بمن معهما بوادي السدر بظاهر الرحيبات استعداداً للاتجاه شرقاً للحاق بالمجاهدين في بئر الغنم، كما وصل الزنتان والرجبان الى بلدانهم تاركين العدو وراءهم يتقدم بدون قتال، وصعد خربيش الى السلامات واحتلها بسهولة ولكنه ما ان استقر بها حتى هاجمته قوات المجاهدين بضراوة من الصيعان والزنتان والرجبان واستمرت المعركة يوما كاملا، وعند المساء تراجع المجاهدون. فلقد اصبحت

(1) نفس المصدر.

القوات القادمة من الجبل عن طريق نالوت وكاباو نحو الرحيبات والحرابة تهدد الصيعان من الخلف كما كانت القوات القادمة من بئر الغنم صارت تهدد الزنتان والرجبان من الخلف. وهنا انسحب المجاهدون.

وقدم في اليوم الثاني المدير نصر بن الحاج وضو الرقيق والمبروك الختروشي الى يوسف خربيش متفقين معه على إلقاء سلاحهم. وقد اتفق معهم على ذلك في قرية (القنافيد) وهنا رجع النجع الذي يقوده نصر الى الجوش من الشياب وأغلبه من أولاد سلام والهمائلة. اما النجع الآخر الذي يتقدمه المبروك الغدي والطيف الحطاب وهو الذي نزل بظاهر الرحيبات فلقد تقدم نحو الشرق باتجاه الرجبان والزنتان.

وما ان وصلوا الى هناك حتى وجدوا الزنتان والرجبان وقد حملت إبلهم راحلين الى الحمادة الحمراء وعرضوا على الصيعان ان يرافقوهم الى هناك. ولكن الصيعان بينوا لهم أنهم سيواصلون السير شرقاً حتى يلتحقوا بالمجاهدين مع الشيخ سوف المحمودي بيفرن، ويقول عون سوف في مذكراته[1]:

ثم خرجت قوة كبيرة من ناحية الجوش في اتجاه الزنتان والرجبان، فتوجهت وبرفقتي احمد عبد المجيد المصري وقسم من العسكرية ومدفع وبعض الرشاشات للاشتراك مع الزنتان والرجبان لصد العدو الزاحف من الجوش. وعندما وصلت الزنتان وحدث ان الحالة لا تسمح بالتصدي للعدو، لذلك قررت القبائل المذكورة آنفاً الرحيل الى مزدة. وفعلاً تم الرحيل لابعاد العائلات عن طريق العدو.

وهكذا تم خروج الزنتان والرجبان من الحرب كاد يكون نهائياً بعد معركة السلامات ولم يشتركوا في الحرب ضد الطليان الا بعد سقوط الجبل وترهونة

(1) هذا الكلام عن مذكرات سوف أثبت مركز الجهاد الليبي بالدراسة العلمية انه تزوير متعمد من طرف القشاط وقد نشرت دراسة المركز في كتابي المشار اليه، كما قلنا فالقشاط ينسب الأشياء الى الأموات أو المذكرات غير المنشورة.

ومصراتة وبني وليد، وبدأ العدو في التوغل داخل الحمادة الحمراء بعد ذلك بأكثر من عامين، حيث خاضوا معارك بطولية في القبلة وفزان. انتهى كلام القشاط.

لا أريد التعليق على كلام القشاط هذا لأنني فندته في كتابي (حقيقة معارك الدفاع عن الجبل الغربي) إلا أنني أُعيد الى ذاكرة القارئ الكريم فقرة مما اورده الجنرال غراتسياني وهي كما يلي:

(بعد احتلال الجبل تم نزوح جميع أهالي الزنتان والرجبان الى القبلة فضلاً عن بعض جماعات أخرى، كما أدى الى تسليم الأسلحة واستسلام جميع أهالي الجبل العرب من جادو الى نالوت). وهذا يعني ان الذين اتجهوا الى القبلة رفضوا الاستسلام مفضلين صعاب الصحراء على خبز الايطاليين وهوانهم. اما الذين بقوا فقد استسلموا جميعاً، ولا يستحق كلام القشاط بعد هذا أي تعقيب او تكذيب لأن الأحداث والكتابات الرزينة والوثائق كذبته.

معركة الطابونية

بعد فترة معارك الاستعادة او الاسترداد التى أرادها غراتسياني حرباً شاملة على الليبيين في كل مكان من البلاد، بعد معارك وادي الوخيم والجوش والسلامات التي تمكن على أثرها الايطاليون من الصعود الى الجبل الغربي واجبرت تبعاً لذلك اغلب تجمعات المجاهدين من ترك قراها ومناطقها في الجبل حيث اتجهت الى الجنوب، الى الصحراء بداية من منطقة مزدة، حدثت معركة الطابونية والتي يمكن أن تسمَّى معركة المطاردة التي كان يقوم بها الجيش الايطالي بجنوده الايطاليين والاريتريين والليبيين. وكانت من الجانب الآخر معركة الدفاع عن النفس، أي من جانب المجاهدين، واذا كانت قبيلة الزنتان قد اسهمت بقدر وافٍ ومشرف في حروب الدفاع عن البلاد منذ بداية الغزوة الهجمية الايطالية فقد تميزت بدور خاص في حروب القبلة والجنوب، وهو ربما ليس تفرُّداً بقدر ما هو دور أولئك الذي خبروا الصحراء وشظف

عيشها وتكيَّفوا مع ما يكتنف تلك الحياة من صعاب ومخاطر، وبالتالي وقع عليهم الدور الأكبر في الدفاع عنها أو أيضاً ربما فرض عليهم النصيب الأكبر من عنت الغازي الأجنبي وطغيانه، ونجد الأستاذ التليسي يصف تلك المعركة كما يلي[1]:

تدخل هذه المعركة في نطاق الحملة العسكرية التي شنها الايطاليون على المجاهدين من قبائل الزنتان الذين عرفوا بصمودهم ومقاومتهم العنيدة للاحتلال الايطالي وسيطرتهم على هذه المنطقة سيطرة تامة، الأمر الذي دفع بالايطاليين الى الاعداد لحملة مكونة من الجيش الايطالي والقوات غير النظامية بقيادة الماجور «غالياني» الذي زحف يوم 1 مارس 1924م من جادو نحو بئر مرهان[2] وودي الخيل واشتبك هناك في معركة مع قبائل الزنتان المرابطة عند بئر النصرة والطابونية في 9 مارس 1924م، وقد استطاعت القوة الايطالية أن تتغلب في البداية لكن هذه القبائل لم تلبث أن عادت في المساء بقوة أكبر وشنت هجوماً عنيفاً على العدو، واستمرت المعركة دائرة الرحى حتى ساعة متأخرة من المساء. وتعترف المصادر الايطالية بعنف المعركة، وتقول تلك المصادر إنه قد سقط من المجاهدين في هذه المعركة حوالي تسعين شهيداً كما استولى الايطاليون على عشرة آلاف رأس من الماشية، وقتل في هذه المعركة (احمد العياط) الذي كان موالياً للايطاليين، وتحول المجاهدون الزنتان عقب هذه المعركة الى ودي الخيل حيث نشبت هناك معركة جديدة وصف الجنرال غراتسياني هذه المعركة بأنها كانت مريرة. ويتحدث عن معركتي الطابونية والتي تعرف باسم معركة (العميان)[3] ومعركة ودي الخيل المؤرخ العسكري الايطالي أ. بيلاردينيللي فيقول:

16 مارس 1924،

(1) معجم معارك الجهاد في ليبيا، خليفة التليسي.
(2) البئر اسمه الحقيقي (بئر المرحان) وليس المرهان، والمرحان قبيلة من الزنتان.
(3) نحو فزان، رودولفو غراتسياني، ترجمة طه فوزي.

بسبب قلة الماء اضطر الفيلق أن يتوقف بودي الخيل وفي صبيحة اليوم التالي تعرض لهجوم مفاجئ شنته عليه محلة قوامها 900 بقيادة ذلك المعلم الرهيب في فنون المكر والخديعة، سالم بن عبد النبي الناكوع.

عندما كان سالم هذا متربصاً في الطابونية في انتظار الفيلق، ابلغه شيخ من الزنتان (كان قد هرب من الأسر وتمكن من الفرار) بمواقع مختلف وحدات الفيلق الذي يقوده «غالياني»، فغادر الطابونية على الفور وحل بأودي الخيل في ساعة متأخرة من الليل. غنم فرصة زوبعة القبلي الهوجاء التي كانت تجتاح المنطقة ليتسلل في صمت مطبق ويضرب حصاراً حول معسكرنا وما أن طلع الفجر (الساعة 4) حتى بادر باطلاق النار، وكانت نيران مكثفة، انقض بعدها على المعسكر ليداهمه بأقصى العنف حتى تغلغل الى داخله، إلا أن قواتنا سرعان ما تمكنت من تدارك الموقف فقاومت الهجوم ببسالة وحزم وتحولت الى شن هجوم مضاد خاطف اسفر عن دحر شراذم سالم ابن عبد النبي وملاحقتها حتى الملاحات، وفي الاشتباكات المتفرقة فقد الزنتان فضلاً عن الخسائر الجسيمة في الأرواح كميات كبيرة من المؤن والعتاد وأعداداً كبيرة من الماشية.

بعد ان كلل مهمته بهذا الانتصار الباهر عاد «غالياني» مع عصابات خربيش وجلبان الى جادو عن طريق بئر تلاكشين، اما مشاشي محمد بن حسن فتمركزوا في فساطو بقوة، وعاد اولاد بوسيف الى مناطق ترحالهم المعتادة.

وبهذه العملية الموفقة حقق الجنرال قراتزياني الغرضين اللذين يستهدف تحقيقهما: الغرض الأول، عسكري وهو تسديد ضربة قاسية أخرى لرحل الزنتان الذين اصبحوا في وضع سوف لن يمكنهم من عرقلة احتلالنا لغدامس؛ والثاني، سياسي، وهو ترسيخ الحزازات والخلافات القديمة التي ظلت تفصل الزنتان عن المشاشي وعن بربر الجبل والرياينة والاصابعة. وبدافع من حرصه على تحقيق هذا الهدف الثاني بالذات، فضلاً عن ضرورة مواجهة متطلبات ضمان التموين والامداد، شكل فيلق غالياني أساسا من عناصر من الجنود

غير النظاميين، الذين برهنوا بهذه المناسبة على مدى تضامنهم وتلاحمهم ليمحوا صفحة عار (خيانة قصر ابي هادي) من خلال ما اظهروه من شجاعة خارقة.

وعن معركة الطابونية يقول بيلاردينيللي:

كان للانتصار الذي حققته وحداتنا أعظم الأثر في كافة أرجاء القبلة وخارجها، ولمس العصاة بأنفسهم الدليل المادي على أنهم سوف لن ينعموا بالراحة والسكينة حتى في الحمادة حيث ان قبضة الحكومة باستطاعها الوصول اليهم وضربهم في مخابئ كانت حتى عهد قريب منيعة لا تدركها الضربة الرادعة.

لأول مرة يقول الجنرال غراتسياني في كتابه، اصبحت قوة سلاحنا تشعر بثقلها وخطورتها في قلب الحمادة حتى ان نساء الزنتان ما لبثن أن تغنين بلحن مفعم بالحزن والأسى مصدره استخفافهن بصفات (المجندين الوطنيين مع الطليان) وحقدهن عليهم.

أخذ الكثير من الخارجين عن طاعة الحكومة طريق الغرب ليلجأوا الى الجزائر وغيرهم عادوا الى اوطانهم الأصلية عن طريق غدامس ــ نالوت، وسلموا الجزء الأكبر من اسلحتهم، الا ان الزنتان رغم الأضرار الجسيمة التي لحقت بهم من جراء الانتصار الباهر الذي احرزه العقيد غالياني ضدهم، تجمعوا من جديد حول الطابونية حيث تمكنوا بعد زوال الهلع عن روعهم، من اعادة تكوين محلاتهم واظهروا رغبة جامحة في استئناف غاراتهم وغزواتهم.

الا ان تقدم فصل الصيف وقيظه، وندرة الأمطار، وقلة الآبار على خط مزدة ــ القريات، وغموض موقف أولاد بوسيف بعد مصرع أحمد العياط، كلها امور دفعت قيادتنا الى العدول عن القيام بالزحف على الطابونية.

وتقرر اعادة الزحف على مزدة، بدأ انه آن الأوان لاعادة احتلال مزدة بصورة نهائية وبواسطة القوات النظامية، فأرسلت فعلاً، الى هناك أول تشكيلة من المجندين الوطنيين بقيادة رئيس العرفاء «مورو» وهو من الشرطة الوطنية الايطالية ثم الحقت به يوم 10 السرية الصحراوية المركزية بقيادة النقيب

«بياتي» لاستكمال قدرتها على الدفاع. وفي يوم 11 مايو، اصدرت قيادة القوات أمراً بقيام طائراتنا بغارات قوية على مراكز العصاة في الطابونية البعيدة وقصفها بعنف حتى يشعر العصاة هناك بقدرتنا على الوصول اليهم اينما وجدوا وبكل الوسائل.

الحملة على الطابونية (مارس 1924م)

عندما أصبح من الضروري تسديد ضربة قاسية للزنتان، كونت قوة من المجندين غير النظاميين (عرب وبربر، كان القادة فيها خربيش وجلبان وبن حسن والعياط) واختير لهذه الحملة التأديبية التي كانت أيضاً بمثابة استعراض لعضلاتنا في القبلة الرائد «ايتوري غالياني» قائد قطاع يفرن الذي كان استعماريا عريقاً وضليعاً بشؤون تلك الأراضي وناسها وبالوضع ككل.

كانت تلك القوات المتألفة من 900 رجل من المشاة و 170 فارساً، ومفرزة مدفعية محمولة على الابل قد تحركت من جادو في أول مارس.

في يوم 4 وصلت بئر المرحان لتنضم الى مقاتلي احمد العياط القادمين من مزدة حيث استطاع تكوين محلة قوامها 300 رجل من ثلاث قبائل، وفي اليوم التالي مضت في طريقها صوب ودي الخيل، حيث ادركتها محلة أخرى بقيادة محمد بن الحاج حسن قوامها 50 مسلحاً. بعد ضم هذه القوات في فيلق واحد استأنف الرائد غالياني مسيرته في 7 مارس عبر الحمادة حيث تبين انه كانت هناك محلات عبارة عن مخيمات كثيرة للزنتان المتمردين.

وفي يوم 9 وفي الجنوب من طريق بئر الناصرة ـــ الطابونية تقابل مع طلائع مقاتلي الزنتان عندما كانوا يتأهبون للانسحاب فداهمهم وحطم عدداً من خيمهم واستولى على ماشيتهم[1] وفي ظهيرة ذات اليوم أدرك محلات

(1) قد لا يتصور القارئ الكريم شكل تلك المعركة التي يتحدث عنها السيد بيلاردينيللي في كتابه ذلك، وكيف كان الانتصار الباهر وربما يكون من المفيد وصفها، فلقد زرت بنفسي مكان المعركة ورأيت أنه ساحة ممتدة على طول النظر خالية من أي نبات =

ضخمة للعدو فشن عليها هجوماً بالغ العنف تلته معركة تواصلت حتى الغروب وانتهت بانتصار قواتنا انتصاراً باهراً، إلا أن ذلك اليوم المشهود قد عكر صفوه مصرع أحمد العياط الوفي.

وتحدث الجنرال غراتسياني بمرارة عن تلك المعركة، فبعد أن عدد المزايا والقدرات التي يجب ان تتوفر في القائد الذي يختار لمثل ذلك العمل الكبير، ويقول انها جميعاً توفرت للصاغ «غالياني» قائد قطاع يفرن الذي وقع عليه الاختيار ليقود عملية الطابونية أو عملية المطاردة (ومما لا شك فيه انه لا يعني بشكل محدد ذلك الصاغ وانما اراد ان يتحدث رمزياً عن نفسه لأنه كان القائد الرسمي والفعلي للعمليات الحربية التي عرفت باسم حرب الاستعادة او الاسترداد) فنراه يقول[1]:

إن القائد الاستعماري لا يفاجأ بهذه القيادة ولكنه يتكون ببطء في مدرسة الصعوبات وينشأ على المسؤوليات التي يفرضها العمل الاستعماري.

إن الواجب صعب دائماً، وقد يصبح اكثر صعوبة ومشقة عندما يجب على المرء العمل في اراض صحراوية، حيث تصبح غلطة واحدة في التنظيم أو أي عدم تبصر من أي نوع مدعاة للوقوع في خطر لا يمكن معالجته. لذلك كانت الاخلاق يجب أن ترتفع على جميع المواهب الأخرى، إذ يجب

= أو حجارة أو منخفضات، وقد حاصر الجيش الايطالي عدداً من مجاهدي الزنتان لا يزيد عددهم عن اربعة وثلاثين مقاتلا مع عدد كبير من النساء والاطفال والابل والاغنام، كانوا رحلاً، وقد حاصرهم الجيش الايطالي بما عدده 1250 جنديا و170 فارسا ومفرزة مدفعية وعدّته اسحلة حديثة وقوات نظامية بذخائر وتموين وكل ما يحتاج اليه المقاتل. وجرت المعركة في تلك المنطقة التي لا يتوفر فيها مكان للاختباء او الاحتماء بين عدد قليل من المجاهدين وجيش لجب جرار، وماذا حدث، استمرت المعركة يوما كاملا خرج بعده المجاهدون من الحصار، اقصد خرج الاحياء منهم، فقد قتل البعض ولكنهم لم يستسلموا ولم يتركوا نساءهم واطفالهم وخرجوا من الحصار عنوة، أما الابل والاغنام فذلك شيء آخر.

(1) نحو فزان، رودولفو غراتسياني، ترجمة طه فوزي.

السيطرة على التعب الجسماني والأوهام الزائدة والخوف من تحمل المسؤولية المرهقة. ويجب ان يضع القائد نصب عينيه أنه لم تسند اليه حماية الجهاز الحربي وحده، بل قبل كل شيء حماية هيبة الوطن البعيد التي تمثلها وترمز اليها بشكل محسوس الراية الوطنية. وهكذا تصبح المستعمرة ملعباً للتمرن على خير الفضائل والخصال العسكرية الحميدة، التي يجب على كل رئيس أن يحرزها والتي سوف تكون في كل مسرح حربي ضماناً لعمله في القيادة، ويكون الحال هكذا بالنسبة لمن تربوا وتعلموا في مدرسة افريقيا، فقد ولد في كل الأمم رؤساء عسكريون من الطراز الأول وقدموا في ميادين الحرب الأوربية ادلة عظيمة على الخلق والجدارة.

ولقد كان الأشراف على سير العمليات في (حمادة) عملاً من الأعمال التي تتطلب استعداداً خاصاً، في تنظيم العمليات أو تنفيذها، ولقد تم تطبيق نظرية (فَرِّقْ تَسُدْ) تطبيقاً تاماً وعلى أحسن الوجوه، تلك النظرية التي كانت بسبب ظروف المكان والزمان والعمل عظيمة ولذلك اتبعناها، كانت هذه العملية جديرة بأن يجري التفكير فيها لأنها مليئة بتعليمات ذات طبائع مختلفة.

كان الألاي تبلغ قوته 1000 بندقية بين مشاة وفرسان ويضم قسماً من المدفعية المحملة على الجمال، وقد تحرك من جادو في يوم 4 مارس للانضمام الى جماعات المجندين في ودي الخيل على مسافة 100 كيلو متر من جادو، وفيه توقف حتى صباح يوم 8، ثم انتقل الى الملاحة، وكان يلتقي باستمرار بوحدات من الثوار كان ينزل بها خسائر فادحة، وفي يوم 9 استأنف زحفه نحو الجنوب واستمر هذا الزحف 14 ساعة لكي يصل الى معسكرات الثوار بين الطابونية والنصرة حيث التقى بجماعات الزنتان ودخل معها في معارك حامية[1].

(1) نلاحظ الخلاف في المعلومات حول عدد الجنود بين ما ذكره بيلاردينيللي وغراتسياني لان الاول قال انهم بالمجندين غير النظاميين كانوا 1250.

ويضيف غراتسياني: وبعد ان أمضى الألاي ليلته في مكان العمليات وصل الى (محلات الثوار) يوم 10 والى ودي الخيل يوم 11 وبقي فيها حتى يوم 16 وفي الصباح قامت محلة كبيرة من الزنتان يشد أزرها عناصر أخرى من الثوار بقيادة سالم بن عبد النبي الطاعن في السن بمهاجمة معسكرنا بمنتهى الشدة وتلت ذلك معركة عنيفة ولكن رجالنا تغلبوا على الخصم الذي ولى الادبار الى الطابونية.

وعن معركة ودي الخيل قال التليسي:

بعد معركة الطابونية انتقلت القوات الايطالية الى ودي الخيل الذي وصلته يوم 12 مارس 1922م وذلك لتأمين الحصول على المياه بعد معركة الطابونية وقد فوجئ العدو بهجوم شنه الزنتان الذين خاضوا ضده معركة الطابونية التي سلبت فيها مواشيهم، وتقدر هذه الحملة بحوالى ستمائة مسلح استشهد منهم ستون بعد ان كبدوا قوات العدو خسائر فادحة وعادوا الى مواقعهم في الطابونية. ولجأت القوات الايطالية الى استخدام الطائرات في رميهم بالقنابل كما قامت بإلقاء الغازات السامة في محاولة شريرة ودنيئة لانهاء المقاومة التي رفع الزنتان لواءها في هذه المنطقة، وقامت الطائرات الايطالية بعدة غارات على تجمعات المجاهدين في الطابونية يوم 15 يونيو 1924م.

معركة القريات الأولى، اغسطس 1925م

هي واحدة من المعارك التي دارت على أرض قرية الشيخ سالم بن عبد النبي (القرية) التي ولد فيها هذا الرجل العصامي المجاهد الصادق الذي كان في كل معركة وقعت من اجل الوطن في المنطقة الغربية والجنوبية من أرض ليبيا الطاهرة، ولم يكن في أي مكان دارت فيه أحاديث السياسة والمنافع او الوظائف، كان دائماً غطاؤه السماء وفراشه الأرض الطيبة المعطاء، وزاده ما تجود به هذه الأرض. لم يغادر بلاده طيلة حياته الا عندما أُجبر على الهجرة، وبعد ان استنفذ جميع وسائل الجهاد والمقاومة. وحتى عندما هاجر

اختار العيش بعيداً عن المدن وأهلها، فقد عاش في منطقة (دوز) على أرض تونس يزرع ويحصد ليعيش كما كان دون ان يطلب مساعدة من احد لقاء أي عمل قام به أو تضحية قدمها طوعاً وعن رضى خاطر، وعندما عاد الى بلاده بعد ان انقشع عنها الضيق والظلم لم يطلب شيئاً ولم يتحدث ويتظلم بل عاش بقية أيام حياته هادئاً في قريته الى ان توفاه الله ودفن في نفس تلك القرية بلا مراسم ولا خطب أو ضجة.

حدثت معركة القرية في اغسطس 1925م، وكانت المعركة الأولى اذ جاءت بعدها معركة أخرى أعنف وأشرس.

كانت قوات الجنرال غراتسياني قد شنت عمليات متابعة ومطاردة بعد ان سيطرت على مناطق الساحل وغرب ليبيا، ثم صعدت جبل نفوسة بعد معارك وادي الوخيم والجوش والسلامات ويفرن وغريان ثم مزدة فالقريات والطابونية، وهذه المعركة شملت المنطقة بين مزدة وطبقة والقريات الغربية والشرقية وجرت في بداية منتصف اغسطس 1925م، وقد صمد فيها المجاهدون رغم شراسة القوات المهاجمة وكثافة نيران الأسلحة المستخدمة بما فيها الطائرات التي كانت تقصف كل شيء يتحرك على الأرض مع عدم وجود اسلحة لمقاومتها، لدى المجاهدين.

وجرت معركة أخرى في القريات وكانت أيضاً معركة عنيفة بين غازٍ يطارد اصحاب الأرض الذين رفضوا التسليم والانصياع وظلوا يدافعون عن دينهم وارضهم وكرامتهم واسرهم، وبين غازٍ متغطرس يستخدم جميع وسائل الحرق والقتل والتدمير والارهاب على ناس وفي ارض كان يعتقد أنها خالية من الناس، بمعنى أنه لا يوجد من يدافع عنها، وان جنود ايطاليا سيقومون بنزهة فقط وليس حرباً. وقد وردت أحداث هذه المعركة على النحو التالي:

بعد معركة (ابوغرة) التي جرت يوم 12 يونيو 1928م تحول المجاهدون الى القريات الشرقية وقد ظلت القوات الايطالية تلاحقهم طوال الأيام التي تلت المعركة (11ـــ12ـــ13ـــ14 يونيو) وقامت يوم 15 يونيو 1928م بشن

هجوم على محلات المجاهدين في القرية الشرقية. وقد نظرت القيادة الايطالية الى هذه المعارك نظرة خاصة تنبعث من حرصها على المقاومة في جنوبي طرابلس الغرب، وتأكيد سيادتها على القبلة، ولذا فقد عبأت لها كل جهودها وكل عنفها وحقدها. ومع ذلك فلم تستطع بعد هاتين المعركتين أن تطمئن الى سيطرتها واحتلالها، وظلت تعتمد في مواصلاتها على استخدام الطيران لتزويد حامياتها وقواعدها وربط الصلة بين قواتها النظامية وغير النظامية العاملة في المنطقة. ويقول الجنرال غراتسياني: ان مراحل الطريق ما تزال غير مضمونة وهي تشير بعدم المغامرة في الزج بمجموعات صغيرة من الجيش، ولذا فقد اسندت مهمة النقل الى الطيران، وقد اسقط المجاهدون طائرة ايطالية في بئر جعفر كان يقودها الكابتن (ماتزيني) وتقدم المصادر الايطالية قائمة استعراضية بعمال الطيران على النحو التالي:

عدد ساعات الطيران 450
عدد الاستطلاعات 140
عدد الغارات والقاء القنابل 35
وزن المواد المتفجرة 15000 كيلوغرام
عدد خراطيش الرشاشات 3500
عدد رحلات نقل الجيوش 18
عدد الجنود والضباط الذي نقلوا جوا 220
وزن العتاد والمواد المنقولة جواً 2500 كيلوغرام
عدد الجرحى والمرضى الذين نقلوا جواً 28

ويقول غراتسياني: ان هذه القائمة شهادة مبينة تظهر ضخامة وتنوع مساهمة السلاح الجوي في التمكن من احتلال القريات الشرقية والاحتفاظ بها.

واذا كانت هذه الشهادة تفصح عن اهمية دور الطيران الايطالي في مطاردة مجموعة من المجاهدين لا تزيد على خمسمائة او ستمائة مسلح، فهي تفصح أيضاً عن مدى المقاومة التي بذلها هؤلاء المجاهدون بعددهم المحدود وسلاحهم

البسيط، وتظهر مقدار الضيق الذي كانت تعانيه ايطاليا من هذه المجموعة التي كانت تهدد وجودها بالخطر[1].

فاذا كانت كل القرى والمدن في ليبيا قد تعرضت للعدوان الايطالي الغاشم وقصفت بالقنابل من الطائرات والمدفعية الثقيلة وعبث الجنود المتعجرفين فان القريات قد تعرضت بشكل اكثر وبنوع خاص ومتعمد ربما لأن ألم هزيمة (قارة سبها) كان يجري في دماء القادة الايطاليين، وبالتالي اسم الشيخ سالم ابن عبد النبي يبعث الرعب في نفوسهم، والقريات ارتبط اسمها بهذا الاسم الذي لا ينسى.

(1) كتاب معجم معارك الجهاد في ليبيا، خليفة التليسي.

رحيلي عـنك عـز علـيّ جـدا — وداعـــاً ايها الوطـــن المفـــدَّى
وداع مفـــارق بالرغـــم شـــاءت — لـــه الأقـدار نيـل العـيش كـدًا
وخيـرٌ مـن رفـاه العـيش كـدٌ — إذا انـــا عشت حـــرًا مستبـــدًا
سأرحـل عنك يـا وطنـي وإني — لأعلـــــمُ أني جـــــئت إدًا
ولكنـــي أطـعت إبـاءَ نفســي — أبت لمرادهـا في الكـون حـدًا
على النـفس إن عظـمت شقـاء — يلـــذ لمن الى المجد استعـــدًا

رفيق المهدوي

6

الفصل السادس

المراوغة والافلات

بعد ان استمرت العمليات العسكرية لفترة طويلة ما كان احد يتوقعها بما في ذلك القوات الغازية، اصبحت احوال المجاهدين صعبة جداً، فلقد تواصلت الحرب دون هوادة منذ بداية الغزو سنة **1911**م وحتى سنة **1930**م، ومع الحرب كانت المجاعات والجفاف وندرة الأقوات، اضافة الى صعوبة الحصول على الذخائر والأسلحة؛ لأن الغزاة سيطروا على منافذ الاتصال والتجارة مع الخارج، كانت هناك الحدود التونسية والحدود الجزائرية من الغرب والحدود المصرية من الشرق، وكان المجاهدون يحصلون على بعض البضائع والذخائر والأسلحة بالتهريب عبر هذه الحدود، وكانوا يجدون العون والمساعدة من اخوانهم في هذه البلاد، ولكن الحدود سدت والمنافذ أُقفلت وصارت تحرسها قوات ايطالية ومتعاونون عرب ليلاً ونهار. وقد اضاف الجفاف واحتجاب المطر صعاباً كثيرة، ولم يعد متيسراً الحصول على القوت للناس والحيوانات. وكان اعتماد المجاهدين على حيواناتهم في العمل والعيش والتنقل والحرب، فما يكون عليه الحال عندما ينعدم الغذاء وتموت الحيوانات او تعجز عن الخدمة... ولكل انسان طاقة وقدرة وصبر وهذه محدودة، ولقد كانت الصحراء هي ملاذ المجاهدين مع أُسرهم وحيواناتهم ولكنها أجدبت وصاروا في ترحال دائم مرهق، وكان الشيخ سالم بن عبد النبي يتنقل بين مكان وآخر مع اهله وذويه والمجاهدين الذين قادهم ويقودهم في المعارك، وهؤلاء جميعاً كبيرهم وصغيرهم صاروا شبه فارين مطاردين من قبل القوات الايطالية التي بدأت تحكم قبضتها على البلاد والعباد.

بعد معركة بئر علاق بفترة انتقل الشيخ المجاهد الى مكان قصي، (الى

الرملة) وبقي هناك مدة سنة كاملة دون أن يكون على اتصال بأي انسان أو مكان، ولم تُعط الأرض شيئاً وقد نفذ ما كان لدى هؤلاء الناس من زاد بعد تلك السنة، وكان عليه باعتباره مسؤولاً عن حياة أُسَرٍ بكاملها، رجالاً واطفالاً ونساء، كان عليه أن يقرر. وليس اصعب على الانسان من ان يرى اطفاله يتضورون جوعاً ويموتون امام عينيه دون أن يفعل شيئاً.

وبعد سنة حدث أن اتصل بالشيح أحد أقاربه ناصحاً، وربما مبعوثاً من قبل السلطات الايطالية دون ترتيب او اتفاق مع الشيخ سالم، قيل له ان البلاد اصبحت تحت السيطرة الايطالية بكاملها. وقالوا له إن الايطاليين قد اعطوا وعوداً بالعفو والتعاون واعمار البلاد. كان يعلم أنه لا وعد يمكن أن يبقى أو يثبت مهما نمقت الكلمات، لأن ايطاليا عندما دخلت ليبيا كانت قد أعلنت أنها جاءت من أجل (تعمير وتحضير ليبيا)، وكان التعمير قنابل قاتلة وغازات سامة خانقة حارقة، وكان التحضير مطاردة وتشريداً، ولكن، ليس هناك من حيلة، فقد شحت الموارد وفرغت البطون ولا زرع أو ضرع، لقد جف كل شيء، وافق على ترك الرملة على أن يترك رفاقه وأسرهم يعودون الى قراهم ومناطقهم، قالوا له إن مكافآت ووظائف تنتظر زعماء القوم، لكنه لا يعبأ بذلك فما أراد إلا ان يعود الى القريات ليعيش هادئاً هانئاً، ولكن هل يمكن أن يكون هناك هدوء في ظل المستعمر خصوصاً بالنسبة لأولئك الذين قاتلوا وما هدأوا ورفضوا الاغراءات والانصياع منذ البداية فما الذي يمكن أن يحدث بعد قرابة عشرين سنة من القتال..

وفي أول لقاء مع الضابط الايطالي المكلف بالاتصال عن طريق ذلك القريب والذي يدعى حمد الصيد أحسَّ الشيخ بأن وراء الأكمة ما وراءها. ولكن لا بأس، المهم أن يعود الرفاق بسلام. قيل له إنك يمكن أن تعود الى القريات أو الى أوباري وسوف تبلغ فيما بعد بما يجب ان يكون.

ورغم كل شيء فان المجاهد لا يسلم سلاحه، وهذا ما يعرفه الشيخ سالم جيداً ولهذا فقد كان له سلاح في اكثر من مكان، يظهره وقت الاحتياج،

والايطاليون يعرفون ان مثله اذا ترك حراً لا بد أن يمثل خطراً، سوف يستقطب الناس من جديد وسوف ينظم ولا بد ان يقاتل طال الزمن ام قصر، وحتى عندما عاد الى القريات كان تحت المراقبة اليومية. ومع ذلك لم يتركوه اكثر من عدة أيام في قريته قبل ان يبلغوه بأن الوالي في طرابلس يريده هناك، وما كان بينه وبين ذلك الايطالي سابق معرفة أو تعامل فما الذي يريده منه... ولكن لا مفر من الذهاب.

ذهب المجاهد الذي كان يقود مقتاداً، من الحرية الى المعتقل وان كان في مكتب بقرب الوالي، الحاكم الايطالي الذي بدأ يضغط بقدمه على رقاب الليبيين، ذهب برجليه الى طرابلس، وبقي ينتظر لأن الوالي يريده.. كان يجلس في مركز شرطة (أبي ستة) ليلاً ونهاراً ينتظر وينظر الى الداخل والخارج والواقف والجالس، انه نوع من الاذلال، ولكن ما حيلته، هكذا قالوا، انها ارادة الوالي..

نقلوه للقاء الوالي بعد فترة من الانتظار، أخبره الحاكم الايطالي أن ملفه مليء بالأوراق وهي تحمل كل شيء، سالم بن عبد النبي الناكوع من قبيلة الزنتان، عائلة الغناني قاطع الطريق الارهابي الخطير، العقل المدبر لأغلب الغزوات، كان مطلوباً وتقع اعماله تحت طائلة القانون ايام الحكومة التركية. وهو كذلك مطلوب للمحاكمة في العهد الايطالي. هذا رأي الايطاليين وما يوجد لديهم في الملفات، سالم بن عبد النبي المجاهد صاحب العقل المدبر المنظم، زعيم المجاهدين في عملية اقتحام (قارة سبها) والذي قاتل بشجاعة فائقة في مقدمة رفاقه في اغلب المعارك منذ بداية الغزو الايطالي، الرجل البسيط الورع، هذا رأي الليبيين، وهو الحقيقة، يقف أمام الوالي الايطالي الذي يبلغه بما يحوي ملفه، لا شيء أكثر من ذلك، وعندما ينصرف قال له الوالي الذي كان يتكلم من أنفه: لا بأس فان الحكومة قررت العفو. أعيد الى نفس المكان، مركز شرطة، بلا أي جواب.

﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين﴾ صدق الله العظيم.

يجلس هناك فقط، هل هو سجين؟ لا.. هل هو حر؟ لا..

طالت مدة الانتظار بين السجن والحرية، وأرهقت الأعصاب رغم هدوئها المعتاد، والعقل رغم اتزانه المعروف.

وعندما يكون الانسان بين اربعة حيطان لا بد له من الهدوء والحيلة. فكر كثيراً وطويلاً ومليئاً، واهتدى الى فكرة، اذا امكن له ان يصل الى فزان فسوف يفلت من هؤلاء الطغاة، طلب مقابلة الوالي وقال إن الأمر هام وعاجل وله علاقة بالأمن والسلام.

قال للوالي إنه فكر كثيراً ولأنه يريد أن يبدأ صفحة جديدة مع الحكومة الايطالية فإنه يبلغه بأن لديه اسلحة مخبأة في الجنوب ويريد تسليمها للسلطات ولا أحد يعرف مكانها هناك غيره. تركوه وذهبوا يستجوبون أبناءه بل يجلدونهم بالسوط وهو وسيلتهم المهذبة المعروفة، من أجل معرفة أي شيء. يريدون من ابنائه ان يعترفوا بمكان الأسلحة التي خبأها والدهم، لم يعترف أحد، او لم يجدوا أحداً يعرف. ذلك ان الشيخ كان حذراً في كل شيء، لا شيء الا نقل الشيخ الى حيث توجد الأسلحة.

نقلوه محروساً بالجنود المدججين بالسلاح وهو اعزل ووحيد، يتذكر مقابلة الوالي الذي تجاهله في بادئ الأمر، وبعد فترة سأله: أأنت سالم بن عبد النبي؟ قال: نعم هو انا ولكن اسمي الكامل هو، سالم بن عبد النبي الزنتاني مولود في القرية. قال الوالي وقد انتفخت اوداجه: نحن نعرف عنك اكثر مما تعرف عن نفسك وهذا ملفك يحوي كل شي. وبعد لحظة توقف أضاف: ولكن الحرب انتهت والحكومة ستعفو، ألست أنت الذي اقتحم القاهرة وقتل الضباط والجنود الايطاليين؟

يتذكر ذلك وقد أدرك انه لا يجب أن يلتقي الوالي مرة أخرى ولا أي

ايطالي آخر الا إذا قدر له ان يلتقيهم في ساحة الحرب مرة أخرى.

نقلوه الى سبها عبر هون، وعندما وصلوا الى مكان (قارة سبها) توقفوا به هناك ليسألوه ما إذا كان يستطيع اقتحامها مرة ثانية. نظر ملياً وتذكر ذلك اليوم المجيد، إنه يوم عاشوراء الموافق 28 نوفمبر 1914م. ابتسم وقال: لقد سمعت من الوالي ان الحرب انتهت، ولم يضف شيئاً.

ومن هناك ذهبوا به الى براك حيث يسجن ابنه صالح وشقيقه، وقف امام معتقلهما محروساً بالجنود وهما وراء القضبان، لم تكن هذه لفتة كريمة أو هي مودة من جانب الطليان وإنما هي بالتأكيد ترهيب وتحذير، قال: إنني أطلب إطلاق سراحهما لأنهما إذا كانا قد اعتقلا بسببي فان ذلك السبب الآن قد زال، فاجابوا بأن ذلك قد يحدث بعد تسليم الأسلحة المخبأة. كانت الأسلحة مخبأة فعلاً في مزرعة المجاهد في ادري ولهذا فقد اتجهوا به من براك الى أدري للبحث في المزرعة عن الأسلحة، وهم لا يعتقدون أن تلك هي الحقيقة، لأنهم يرون فيه المخادع الرهيب، على حد تعبير بيلاردينيللي. ولكن لا بأس فهو أعزل وبين حراس أشداء ومنطقة آمنة لأنها تحت سيطرتهم.

أشار الى مكان وقال: احفروا هنا. أتعبهم الحفر فنظروا الى بعضهم، ربما كان يخدعهم، أو يهزأ بهم، إلا أنه أصر على الاستمرار في الحفر إذا أرادوا إخراج الأسلحة، حفروا عميقاً حتى عثروا على الأسلحة مخبأة ومغطاة بالتبن. كان هناك مدفع وعدد من الرشاشات والبنادق وكمية وفيرة من الذخائر، نقلوها على الفور الى المركز الايطالي في ادري حيث يوجد القائد الايطالي الذي ابلغ طرابلس على الفور.

وضعت الأسلحة في صناديق وأصبحت في يد الطليان ولم يعد هناك من شيء إلا أن يقرروا مصير الشيخ المجاهد، وهو يعرف ماذا سيقررون إذا أتاح لهم الفرصة.

قال إنه يود زيارة أسرته في ادري، أي إنها قريبة من مركز الايطاليين،

وافقوا ولكن تحت الحراسة المشددة. وفي اليوم الثاني وصلت التعليمات، الشيخ سالم بن عبد النبي ممنوع من البقاء في ادري ويجب ان ينقل مع اهله واقاربه الى براك.

لا بد إنها الخطوة الأولى، وافق انما هو يحتاج لبعض الوقت ليتدبر أمر المواشي بالبيع او التصرف بحيث يكون التنقل سهلاً. اعطوه خمسة أيام فقط، وهكذا بدأ يُعِدُّ للعملية التي أراد بها الخلاص من هؤلاء الجلادين، لأنهم اذا وضعوا ايديهم عليه مرة ثانية فسوف ينتهي به الأمر الى حبل المشنقة بلا ادنى شك.

خطط بدقة كعادته لما اراد، البادية وما تحتاج وطريق الافلات، الزاد والماء والسلاح والنهاية اذا قدر له ان يفلت، والمواجهة اذا حدثت، كلها وضع لها احتمالاتها، اختار رجاله، اثني عشر رجلاً، وهو رقم مبارك فقد خاطب به الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام، **﴿وإذ استسقى موسى لقومه فقُلْنا اضرِبْ بعصاك الحَجَرَ، فانفجَرَتْ منه اثنتا عشرةَ عيناً، قد علمَ كلُّ اناسٍ مشرَبَهُم، كُلُوا واشرَبُوا من رزقِ الله ولا تعثُوا في الأرض مُفْسِدين﴾ صدق الله العظيم. [البقرة 60].**

وطلب من أهله وخصوصاً ابنه المهدي إعداد الأشياء المطلوبة، وبعد أن اطمأن على كل شيء، أبلغهم بالخطة، وكان هناك أحد رفاقه القدامى خبر الطريق الى تونس، والشيخ سالم من أحسن من يعرف مسالك الصحراء وشعابها، وفي الوقت المحدد ابلغ القائد الايطالي أنه واهله واقاربه على استعداد للانتقال الى حيث ارادوا، الى براك، وفي طريق السفر عرج بحراسه على مزرعته وقال لهم انهم سوف يغادرون غداً وطلب من احد اقاربه ان يذبح شاة وان يعد لهم ما يلزم من الأكل والشرب، وقد حانت الفرصة التي لا يمكن ان يضيعها المجاهد الحذر الذي وصفه اعداؤه الايطاليون بـ «الداهية». ولنَرَ ماذا قالوا عن خطة خروجه من بين ايديهم.

يقول مؤرخ تلك الفترة (أ. ن ــ بيلاردينيلي في كتابه، القبلة) ما يلي:

بعد الهزيمة التي مني بها في أم الملح (22 ابريل 1929م) لجأ هو الآخر الى الشاطئ وبعد ان استقر به المقام في أدري اجرى اتصالات مع زعيم ورفله عبد النبي بالخير فاستقر رأيهما على مقاومة ضغوط سيف النصر وعدم السماح له بجباية اي خراج من المناطق التي كانت تقع تحت سيطرتهما.

وأمام زحف فيالقنا على الشاطئ (فبراير 1930م) غادر سالم بن عبد النبي مع جماعته من العصاة، غادروا ادري واقتفوا أثر محمد بن الحاج حسن متجهين الى الحدود الجزائرية، وعندما طلب السماح له باجتياز الحدود واللجوء الى داخل تراب الجزائر رفض طلبه بسبب ما كان قد ارتكبه من تصرفات تحكمية وجرائم. فادرك أن سمعته السيئة قد سبقته الى هناك ولذلك لم يندهش عندما تصدت له السلطات الفرنسية ومنعته من اجتياز الحدود هو واتباعه من الزنتان واولاد بوسيف الذين كان عددهم 200 مسلح، فاضطر الى العودة ادراجه متوغلا في موقع من الرملة غير المعروفة.

وبعدها وبناء على شفاعة الشيخ البدوي والشيخ احمد قرزة صدر عنه العفو من جديد وامر بالانتقال مع اتباعه للاقامة بعوينات ونين حيث كان في استقباله قائد السرية الصحراوية الخامسة الملازم «كازو» وبرفقته الشيخ احمد الصيد.

في يوليو 1930م ارسل الى براك للبحث عن الأسلحة المخبأة في مكان هناك لا يعرفه إلا هو. إلا ان سالم بن عبد النبي سواء بدافع قلقه على مستقبله ومصيره الغامض أم بسبب إفراط سلطاتنا في ملاحقته والالحاح عليه ليكشف عن مخابئ الأسلحة الأخرى، او من واقع خوفه من تهمة الاستيلاء على أراض ونخيل بدون وجه حق، وعلم فيما بعد ان سالم بن عبد النبي عندما وصل بالقرب من مرعى دوابه (حوالى 50 من الابل بقيت في الشاطئ بعد ان سلم نفسه) استغل سذاجة حراسه ورعاته وغفلتهم وتمكن من الهروب والافلات بكل سهولة وبرفقته حفيده وصهره واثنان من خدمه، اجتاز الحدود

التونسية القريبة من سيناون بعد ان سلك دروباً ومسارب غير مطروقة كثيراً ولا يعرفها الا القليل من ابناء المنطقة.

ولم يثر فراره اية دهشة او صدى وانتهى امره عند هذا الحد. اما افراد عائلته فبعد عودتهم الى ديارهم في القرية عاشوا في هدوء[1].

نقلنا هنا ما ذكره (بيلاردينيللي) عن افلات الشيخ سالم بن عبد النبي، والواقع ان روايته رغم اهمية كتابه لا علاقة لها بالحقيقة على الاطلاق:

اولاً: الشيخ سالم لم يصل الحدود الجزائرية إطلاقاً فقد كان فعلاً متجهاً الى هناك إلا أنه في آخر لحظة قرر العودة نظراً لما اصاب الناس من إعياء وعدم استطاعتهم مواصلة السفر، وكانت معه أسر بكاملها نساء وأطفال. ولو كانت فرنسا فعلاً قد اتخذت منه موقفاً على أساس أنه مجرم، كما قال الكاتب الايطالي، فانها ما كان يمكن أن تسمح له بدخول تونس عندما غادر ليبيا وهي التي كانت تحكم تونس والجزائر في وقت واحد.

ثانياً: فان مسألة اتصاله بالمجاهد عبد النبي بالخير لم تكن من اجل الوقوف في وجه سيف النصر او محمد فكيني لأن هؤلاء جميعاً حلفاء وقادة جهاد، وكل انسان يعرف ان هناك رابطة أخوّة وتحالف من اجل الجهاد بين الزنتان وورفله والرجبان، وفكيني هو زعيم الرجبان بينما عبد النبي بالخير هو زعيم ورفله، وسالم بن عبد النبي هو زعيم الزنتان، وانما كان هناك تشاور وتنسيق بين هؤلاء الزعماء وهذا شيء طبيعي، مهما كانت تفسيرات الايطاليين.

ثالثاً: نحن لا نعرف لماذا تحدث بيلاردينيللي عن (أم الملح) ولم يذكر (بئر علاق)، لأن الحقيقة أن الشيخ سالم بن عبد النبي قد حقق نصراً مؤزراً في معركة بئر علاق. اما معركة ام الملح وهي بعد بئر علاق مباشرة فانه لم يكن أحد قادتها ولا حتى من المشاركين فيها، ولقد كان المجاهدون قد

---

(1) بيلاردينيللي ـــ كتاب القبلة.

انقسموا بعد معركة بئر علاق، وبعضهم اتجهوا الى ام الملح حيث حدثت معركة غير متكافئة مع القوات الايطالية التي استخدمت الطيران بشكل مكثف.

رابعاً: القول بان إفلاته لم يثر أي اهتمام او صدى او دهشة وان عائلته وابناءه قد عادوا الى القرية واستقروا هناك بلا أي مضايقة أو ضغط، فاننا نرد عليه بنص القرارات التي اصدرتها السلطات الايطالية مباشرة لنرى كيف كانت السلطات محمومة وليس مندهشة فقط.

فبعد اختفاء الشيخ سالم بن عبد النبي اصدرت السلطات قراراً بتاريخ 10 اكتوبر 1930م يقضي بمصادرة والاستيلاء على جميع املاكه في الزنتان وغريان وفزان بما في ذلك المزارع وما فيها من نخيل وآبار، وأصدرت في نفس الوقت والتاريخ قراراً بوضع شقيقه وابنه تحت المراقبة العسكرية الدائمة ولمدة عشر سنوات.

ولهذا فان ما قاله بيلاردينيللي لا يعتمد على أي برهان وهو مجافٍ للحقيقة والواقع ولقد حاولت السلطات الايطالية القبض على الشيخ سالم ولاحقته في كل مكان ولكنها فشلت وما قول الكاتب الايطالي، ان الشيخ سلك دروباً ومسارب غير مطروقة الا دليل على انهم لم يتمكنوا من اللحاق به.

سيـــدك نـــوا للهجـــرة لا　　زلبحاتـــا فائـــدة لا تجرا...

بهذا البيت كأن الشيخ سالم كان يتجاوب مع ما قاله الشاعر الليبي احمد الشارف، عندما قال:

وممّـــا زاد في الوطـــن استيـــاء　　واحجافـــا وابعـــد كل دانِ
معاملـــة نـــفت ثقـــة وأمنـــا　　وأفضت للمذلّـــــة والهوانِ
واهـــواء وسفسفـــة وغـــدر　　وخـــوف بعـــد إعـــلان الأمـــانِ
وخـــرق للشريعـــة وانتهاك　　لحرمـــة كل ذي شرف مهـــانِ

7

الفصل السابع

حياة الهجرة

عندما قرر الشيخ سالم بن عبد النبي الهجرة وهو الرجل الذي لم يغادر ارض الوطن على الاطلاق، وكان يرى ما آلت اليه أمور بعض الناس الذين تحولوا الى تجار أو أصحاب أعمال أو مناصب، لم يكن من السهل عليه أن يهاجر وأن يترك كل شيء، الأهل والأقارب والأرض التي أحبها وقاتل طويلاً من اجلها، بعث الى ابنته (عنايا) قصيدة طويلة كان مطلعها يقول:

(سيــــدك نــــوا للهجــــره لا زلبحاتـــــا فائــــــدة لا تجرا)

وهو لم يهاجر مثل أولئك الذين هاجروا عند بداية الحرب وتأزم الأمور وإن كانت الهجرة غالباً تقع بسبب الظلم او الاضطهاد الذي يحدث للانسان، لكنه حمل البندقية وقاتل، قاتل كفرد في صفوف المجاهدين، وقاتل كقائد مع مجموع من القادة، وقاتل كقائد منفرد بالقيادة والتخطيط، وفي هذه المواقف والمراحل كان فاعلاً وبارزاً. ولقد حدث ان هناك مَنْ هاجر مع خروج الاتراك من ليبيا، أي مباشرة بعد بداية الحرب؛ وهناك مَن هاجر وابتعد بعد المرحلة الأولى من الحرب الوطنية، اي بعد سنة 1915م، وهناك مَنْ هاجر بعد أن ابتدأت المرحلة الثالثة من الحرب الوطنية، والتي عرفت باسم حرب الاستعادة أو الاسترداد، أي خلال سنة 1922م. أما رجال الصحراء، قادة الجهاد الدائم، فلم يتركوا البندقية ولا هجروا البلاد (ونحن هنا لا نعيب على أحد موقفه لأن الظروف مختلفة وانما نريد أن يكون لكل ذي حق حقه) ولقد صدق ابن خلدون عندما قال:

«أهل الصحراء أسلم عقلاً وبدنا من اهل القرى الذين ينعمون بحياة أكثر

رخاء، فبشرة اهل الصحراء أكثر نقاء، وأجسادهم أكثر صفاء، وقواهم أكثر انسجاماً وجمالاً، وأخلاقهم أكثر اعتدالاً، وعقولهم أشد مضاء وتفهماً واستعداداً لنَيْل المعارف الجديدة من أهل الريف، ولنقارن بين الغزال والنعامة والظباء التي تعيش في الصحارى ومثيلاتها التي تعيش في المناطق المأهولة، فالأولى أكثر نقاء وبريقاً في فرائها وانسجاماً في اعضائها ومضاء في حواسها».

ولقد كان الشيخ سالم بن عبد النبي الناكوع من أهل الصحراء، فهو يزرع ويحصد ويرعى الابل ويجوب الصحراء وقد خبرها منذ كان طفلاً يافعاً.

ولقد غادر بلاده متجهاً الى تونس في فبراير 1930م، وفي هجرته أيضاً عاش في الصحراء ومارس الزراعة والحصاد وتربية الابل، ولقد خيَّروه في المكان الذي يريد فاختار منطقة (دوز) بتونس وهي منطقة صحراوية ذات مراعٍ وأهلها يعنون بالابل والأغنام، وحتى عندما اختير رئيساً فخرياً لجمعية التعاضد الليبية التي تعنى بشؤون المهاجرين الليبيين لم يوافق على العيش في المدن فكان يساهم ويشارك ثم ينصرف الى (دوز) الى حيث إبله وزرعه.

ولقد بقي في المهجر أربع عشرة سنة كاملة، وكان معه اثنا عشر من صحابه انصرفوا جميعاً مع الزمن ولم يبق إلا اثنان هما ابناه: المهدي وأبو بكر. وحتى بالنسبة لولديه لم يبقيا طويلاً فقد توفي بعد فترة الابن الأصغر (ابو بكر) وتلك ارادة الله التي لا رادَّ لها، البعد عن الأهل والأولاد ثم فقدان أحد الأعزاء، آلام ومعاناة، ولكن الله مع الصابرين.

ولقد وجد في أولئك الناس الذين يحملون هموم الوطن على اكتافهم وشجونه في قلوبهم خير رفاق، ولذلك لم يبخل بجهده في تقديم النصح والمشورة، وقد قابل التقدير الذي أولوه إياه بالمداومة على الحضور والمشاركة في انشطتهم المختلفة لأنهم جميعاً كانوا يتطلعون الى وطن حر ومواطن عزيز، ليبيا المستقلة العربية المسلمة، هذا كان هدف الجميع. ومن أجل هذا الهدف كانت جمعية التعاضد تقدم مساعداتها للمهاجرين الليبيين، وكانت تجري اتصالات للتنسيق

بين كل المهاجرين الليبيين وقد توزعوا بين تونس ومصر وسوريا وتركيا.

وكانت الجمعية قد سارعت الى توجيه رسالة الى الشيخ سالم عندما تبلغت بمجيئه الى تونس وهذا نص الرسالة:

حمداً لله وصلاة وسلام،

حضرة الوطني الغيور والمجاهد الصادق سيدي سالم بن عبد النبي حفظه الله، تحية واحترام وبعد،

فقد رأت لجنة جمعيتكم الادارية، جمعية التوادد والتعاضد بين المهاجرين بتونس أنه من المناسب إفادتكم ببعض الايضاحات فيما يتعلق بالخصوص بالغايات الشريفة التي تقصدها هذه الجمعية المتأسسة منذ عهد قريب فقد وجدت اقبالاً عظيماً بين معاشر اخواننا المهاجرين.

إن هذه الجمعية لم تتأسس إلا لإغاثة مَن أصبح منكم في حالة من الضنك والفقر والتعاسة ويمكن لنا الآن التصريح والتأكيد بأنها مستعدة بكل حنان وشفقة وصدر رحب للقيام بما انيط بعدتها من الأعمال الخيرية التي منها الاعانات المادية والأدبية للمهاجرين والأفراد وعائلاتهم، ومعالجة المرضى منهم وايجاد الشغل لهم، لمن لا عمل له، وتأسيس مطابخ خيرية وإعطاء الثياب لمن يكون في حاجة اليها، وغير ذلك من وسائل الاعانات والمساعدة، سعياً وراء تخفيض آلام المجاعة والبؤس والمرض. كل ذلك مجاناً سوى دفعكم معلوم الاشتراك في الجمعية وهو بالنسبة للفوائد الحاصلة لكم منه لم يكن شيئاً مذكوراً. فقد اتضح جلياً مما تقدم شرحه ان الجمعية ما أسست الا لتكون لكم عضداً قوياً وساعداً متيناً، ومن المحقق ان الطرابلسيين المهاجرين لا يجدون منها الا قبولاً حسناً وشفقة وحناناً ومجاملة وبشاشة. فهلم ايها المهاجرون الى استلام بطاقاتكم السنوية، فمن كان منكم يستطيع القدوم الى مركز الجمعية الكائن بباب سويقه 148 بتونس، فليفعل ذلك بدون تأن، ومن لم يستطع وله موانع تمنعه من ذلك فليخاطب رئيس الجمعية السيد محمد عريقيب

الزليتني ليمده بكل الارشادات المفيدة، والله في عون ما دام في عون اخيه، والله لا يضيع أجر مَنْ أحسن عملاً، والسلام عليكم ورحمة الله.

اللجنة الادارية لجمعية التوادد والتعاضد بين المهاجرين الليبيين

وبعد ان اختارته جمعية التوادد والتعاضد بين المهاجرين الليبيين في تونس نائباً للرئيس، كانت تدعوه للاجتماعات وتبعث اليه منشوراتها وتوجيهاتها بين وقت وآخر. ولأنه غير محب لحياة المدن فلم يوافق على الانتقال الى العاصمة حيث مقر الجمعية. ولهذا قرر اعضاء الجمعية انتخابه ممثلاً للجمعية ونائباً لها في المناطق التي يتواجد بها، وكان وقت توجيه الرسالة اليه يقيم في منطقة اسمها (برج القصيرة) قرب الحدود التونسية الليبية وكان تاريخ الرسالة (13 ديسمبر 1939م) وهذا نصها:

حضرة الوطني الغيور السيد الشيخ سالم بن عبد النبي الزنتاني، ببرج القصيرة حفظه الله، تحية واحتراما وبعد،

فان جمعيتكم، جمعية التوادد والتعاضد بين المهاجرين المسلمين بتونس تضع ثقتها التامة في شخصكم المخلص وانها تعتمدكم من الآن فصاعداً بأن تكون نائباً لها في كل كامل التراب في المراقبة التي أنت بها قاطن، وأنا في انتظار جوابكم على قبول هاته المهمة التي أناطها بعهدتكم اعضاء الجمعية لنرسل لكم كمية من المناشير والبطاقات الخاصة بالانخراط في الجمعية. وليكن في علمكم أن كل بطاقة تسلمونها لمن أراد الانخراط في الجمعية لكم مقابل تعبكم معلوم تقييدها. فمن أراد الدخول بصفة عضو متبرع مثلاً، يجب عليه ان يدفع 15 فرنكاً: عشرة منها معلوم الاشتراك هي لصندوق الجمعية والخمسة الباقية لمعلوم التقييد هي لك مقابل خدمتك. ولك ان تجعل في كل قرية من قرى المراقبة انت ساكن بها نائباً عنك لتستعين به على حصر اخوانه الطرابلسيين القاطنين هناك وعلى خدمتك، وليكن في علمك أن جمعيتنا

هذه قد حظيت بالتفات عظيم وعناية فائقة من لدى الحكومة الفرنسية وستجدون انتم كامل العناية والتبجيل من جميع حكام جهتكم الأفاضل ودمتم محترمين،

والسلام

كاتب الجمعية

ولم يكن الشيخ سالم في مهجره يتلقّى أية مساعدة من أية جهة بل كان يعتمد على نفسه. وقد اضطر مؤخراً الى ان يبيع بعضاً من ابله التي كانت معه ليواجه متطلبات الحياة. وحياته كانت بسيطة، وبعدئذٍ وعندما لم يبق لديه ما يبيع اضطر ابنه الوحيد الباقي معه الى ان يلتحق كمجند مع السلطات الفرنسية هناك بحيث يمكن ان يتوفر لهما بعض الدخل.

كان الشيخ ينتظر يوم العودة الى الوطن بفارغ الصبر، وهو يعرف انه لن يستطيع العودة طالما بقيت ايطاليا على ارض بلاده، وقد قامت الحرب العالمية الثانية وكانت ايطاليا تحت حكم الحركة الشوفينية التي عرفت بالفاشيستية وقد نفخ اعضاء تلك الحركة بالتطبيل والمظاهرات واضفاء الالقاب والتمجيد في روح موسوليني حتى اعتقد انه قد حكم العالم، وان ايطاليا بقيادته قد استعادت امجاد الرومان، ولا بد لها أن تملي ارادتها على العالم، وما كادت الحرب الكونية الثانية تنفجر حتى وجد الفرصة، وكان في المانيا حركة مثل حركته وزعيم مثله، انها النازية وهتلر؛ تحالف الزعيمان واحترقت اصابعهما وشعباهما في حرب كونية كانت فيها الغلبة للعقل، وكان النصر للحلفاء.

انهزمت ايطاليا الفاشية وكان عليها ان تنكمش وان تلعق جراحها الدائمة، وقد تخلصت ليبيا من ظلم وسيطرة ايطاليا وجزمة عساكرها.

وقرر فوراً المجاهد العودة الى أرض الوطن بعد هجرة اجبارية استمرت أربع عشر سنة ولقد صدق الشاعر الليبي رفيق المهدي الذي ذاق ايضاً

الم الهجرة عندما قال:

رجـع المطـوح مـن بعـاده | عـاد الغـريب الى بـلاده
الحب يفعـم روحـه | والشـوق يلـهب في فـؤاده
وبشائـر المستقبـل الزاهـي | تضاعـف في جهـاده
ليرى حيـاة حـرة | هـي وحدهـا اقصـى مـراده
كانت منـاه وكان مـن | جرائهـا سـبب اضطهـاده
اهـون بما قاسـاه مـن | عسـف نـأى عـن بـلاده
لـو كان مقتصـرا عليـه | مـا تفكـر في ازديـاده
لكنـه الوطـن العزيـز | اصـيب حتـى في جماده
ظلـم العـدو وجـوره | بلـغ النهايـة في اشتـداده
قـد ضـر لكـن لم يكـن | بأضـر مـن عـدم اتحاده
مـن ذا الـذي يدعـو الى | تـقسيم جـزء وانفـراده
تفريـق برقـة عـن طرابـلس | خـروج عـن سـداده
مـا تـلك غير جنايـة | تـأتي على بـاقي عنـاده
ومـن الـذي يرضـى بحكـم | غير حـر في بـلاده
وطـن اذا لم يستقـل | بـغير شرط مـن قيـاده

قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ
قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ

صدق الله العظيم

[النساء 97]

أَلا أيُّها الليلُ الطويل ألا انجلِ بصبحٍ، وما الإصباحُ منكَ بأمثلِ
امرؤ القيس

8

الفصل الثامن

العودة الى الوطن

شد الشيخ الرحال عائداً إلى الوطن، وما كان له من مطلب اكثر من أن يقبّل ترابه وان يدفن في موقع رأسه عندما تحين ارادة الخالق، ان يدفن في القرية الغربية. عاد الشيخ سالم بن عبد النبي في بداية سنة1944م، ولم تكن عودته الى القرية مباشرة، فقد رأى أنه من الحكمة أن يتجه الى (أدري) اولاً ليتدبر بعض الأمور لأن غيبته كانت طويلة.

عندما غادر بلاده مرغماً كان متخفياً، قضى خمسة عشر يوماً في الصحراء متجهاً الى تونس، كان يسير برفاقه ليلاً عبر مسالك صحراوية لا يعرف احد من الطليان دروبها وكانت غير مطروقة إلا من قبل أولئك الذين يخبرون الصحراء والذين قطعوها سيراً على الأقدام. عندما غادر بلاده كان يخشى أن يلتقيه أحد فيشي به إما متطوعاً، وهذا كثير، وإما مرغماً لأن هؤلاء الطغاة يمكن أن يستخلصوا المعلومات من الحجر الصلد. ولم يطمئن أو يهدأ باله إلا بعد أن وصل الحدود التونسية، وحتى هناك عندما وصل وكان على استعداد أن يسلم سلاحه للسلطات التي تحكم ذلك البلد، فان الضابط الفرنسي الذي كان في مركز الحدود أبى أن يفعل ذلك. وعندما أبلغ رؤساءه قالوا له: استلم الأسلحة من رفاقه واترك له سلاحه وعامله باحترام لأن المجاهد من هذا الطراز لا بد من احترامه، فاذا كانت التحية العسكرية تعطى للقائد المهزوم عندما يبدأ في التسليم فان الاحترام واجب تجاه مجاهد لم يستسلم وانما لجأ عندما أعيَتْهُ الحيل وتعذر عليه مواصلة الكفاح.

عاد الى بلاده مرفوع الرأس، وسلك نفس الطريق عبر الصحراء ولكن ليس من خلال المسالك الوعرة والوديان السحيقة، وليس ليلاً وإنما نهاراً

وعلى رؤوس الاشهاد. عاد الى ادري يرافقه ابنه المهدي بعد ان دفن ابنه الثاني ابا بكر الذي توفاه الله في تونس منذ زمن ليس ببعيد، تركه هناك لأن ارض الله واسعة، وهي أرض اسلام، في ادري كانت له املاك صادرها الايطاليون وحاولوا بيعها لمن يرغب. ولكن الناس رغم الخوف من الايطاليين وحكمهم الجائر يجلُّون الرجل الذي يعرفونه حق المعرفة و لم يجرؤ أو يرغب أحد في الشراء غير مواطن واحد كان يعمل جندياً مع الطليان. وحتى هذا الأخير عندما سئل، كيف يمكنك ان تقابل ذلك الرجل المجاهد الجليل اذا ما عاد يوما ما، قال: لقد اشتريت المزرعة بالذات لأنني أريد أن أحافظ عليها الى أن يأتي صاحبها، ولأنني لم أشأ ان تمتد اليها يد العابثين.

وبعد عشر سنوات من هجرة الشيخ سالم حاول ابنه ان يستردّ بعض املاك والده، ثم عاد المجاهد واستعاد املاكه بالتراضي والتفاهم و لم يطلب شيئاً غير ذلك. وبعد شهرين تقريباً قضاها في ادري عاد الى القرية الغربية موقع رأسه ومقر اهله و لم يعش طويلاً، فقد انتقل الى جوار ربه بعد اقل من شهر من عودته. وكان لي ان زرت قبره في القرية الغربية خلال شهر يناير 1993م، عندما كنت اقوم بزيارة للقريات للقاء أبناء المجاهد الشهيد من اجل جمع المعلومات عن حياة وجهاد الشيخ سالم، عندما التقيت اولئك الرجال، أبناء المجاهد وأقاربه في القرية الشرقية خيل إليّ أنني كنت أسمع دقات قلوبهم قوية متتالية وهم يتحدثون عن الجهاد والمجاهدين، عن الأجداد والآباء.

وعندما زرت القرية الغربية نظرت الى هامات نخيل تلك القرية التي تحتضن قبر المجاهد الشهيد، نخيل في صفوف كأنما هو، بتلك الصفوف، يريد أن يحمي القرية من رياح القبلي التي تهب عليها عاتية احياناً وهي تحمل الأتربة، رأيت صغيرات تلكم النخلات خضراء يانعة، وكبيراتها جريدها يشبه المكانس القديمة، وكأن هذه النخلات تعلن عن الفرق بين جيلين، الجيل القديم المثمر الذي يصارع الرياح والجديد اليافع اليانع النامي.

زرت قبر الشهيد وتذكرت قصيدة الفرزدق:

سقى الله قبراً يا سعيد تضمنت نواحيه اكفانا عليك ثيابُها
وحفرة بيت انت فيها موسَّد وقد سدّ من دون العوائد بابُها
لقد ضمنت أرض يا مصطخر ميتاً كريماً إذا الأنواءُ حفَّ سحابُها
شديداً على الادنين منك اذا احتوى عليك من الترب الهيام حجابها
لتبكِ سعيدا مرضعٌ أم خمسة يتامى ومن صرف القراح شرابها
اذا ذكرت عيني سعيداً تحدرت على عبرات يستهل انسكابها

والمتجوِّل في القريات، وخصوصاً الغربية لما فيها من نخيل يصطف في وسط واديها الذي يمتد في تعرُّج بسيط من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي، ويقف امام قبر الشيخ المجاهد سالم بن عبد النبي ذي الحجارة البيضاء في نهاية رأس الوادي المتفرع في اتجاه الشمال الشرقي وبين كفي جبل صغير يرتفع على حافتي فرع الوادي، لا بد أن يعجز عن اختيار كلمات يعبر بها عن جلال الموقف. ولا أعرف ماذا كان يمكن أن يكتب لنا الرحالة العربي القدير (الحشائشي) في كتابه (جلاء الكرب عن طرابلس الغرب) الذي كتبه في نهاية القرن التاسع عشر، لو كان قد زار ذلك المكان، ولكن رحالة آخر قد يفعل ما قصر دونه الحشائشي وأبو القاسم العياشي وغيرهما من رحالة العرب والافرنج..

ولقد رأينا أن القريات قد تعرضت لثلاث هجمات إيطالية، بل في الحقيقة ثلاث غزوات، ورأينا أن معارك كثيرة وهامة في تاريخ الجهاد الوطني الليبي قد حدثت في مناطق القبلة (معارك مزدة وزمزم والطابونية وبئر اعلاق وام الملح وودي الخيل وبئر القريزية ودرج وادري الخ). ولقد كانت القبلة مأوى آمناً وحصيناً للمجاهدين، فلا بد أن يكون مفيداً للقارئ الكريم أن يعرف ما هي القبلة، التنقل فيها والرعي والمناخ والمعيشة والطبيعة بشكل عام، بحيث يعرف مقدار ما كان يواجهه أولئك الرجال الذين وهبوا أنفسهم

للجهاد في سبيل الله والوطن. ولقد وصفها بيلاردينيللي بشكل تفصيلي نستفيد منه في الحديث عنها. وتحدث كذلك عنها غراتسياني وغيره من الايطاليين الذين كتبوا عن الحرب في ليبيا، كما تحدث عنها بعض الرحالة وان لم يكن بتفاصيل وافية.

القبلة المتعارف عليها تشكل على وجه التحديد الجزء المتاخم من الجنوب لجبل نفوسة (الجبل الغربي) الى الجنوب والجنوب الغربي والجنوب الشرقي وحدودها كما يلي:

1ـ ظهر فساطو ويفرن وغريان، شمالا

2ـ ارض ورفلة وجبل السوداء وجبل فزان، شرقا

3ـ منخفض وادي الشاطئ وحوض فزان، جنوبا

4ـ خط واحات غدامس، درج، سيناون، غربا

ومساحة أرض القبلة التي تقع بين الخطين الطوليين (الحادي عشر والرابع عشر شرقي خط، قرينتش، وخطي العرض 40ـ38 و 30ـ31 الشماليين) يمكن تقديرها بحوالى 000 90 كيلو متراً تقريباً.

وتقسم القبلة الى مناطق هي كما يلي: الوعساء، والحمادة الحمراء، غرباً. ومزدة والقريات والشويرف، شرقاً.

1ـ الوعساء

تمثل أرضاً ناعمة ولكنها قاحلة في معظمها، وهي منطقة رعوية بحتة، تحيط بها مرتفعات رأس الحصان جنوبي جادو واعالي سوف الجين وسواني ذويب (وهي بئر تحمل اسم ولي الزنتان، سيدي الذويب) وجبل المشرق (جبل الكهف) ووادي فيصل (وهذا هو الاسم الذي يطلق على قسم سوف الجين عند مروره على بعد بضع كيلومترات غربي مزدة) وجراجة الطريق، وبئر القريزيه، وودي الخيل، وبئر علاق، وبئر تلاكشين.

2ـ الحمادة الحمراء

هي بقاع مترامية الأطراف موحشة، كثيراً ما وصفها الرحالة بأبشع النعوت، وعلى أنها صحراء مترامية مرعبة لا تقاس أهوالها بأقسى الصحارى وحشة لأنها بقعة من الكرة الأرضية انقلبت الى جثة هامدة قبل الأوان. وتمتد هذه البقاع الصخرية القاحلة الخالية من الماء ومن الحياة والتي تبدأ من الخط الطولي31 تقريباً وتمتد جنوباً لمسافة تزيد على مائتي كيلومتر بمعدل عرض (من الشرق الى الغرب) 500 كيلومتر تقريباً وتبلغ مساحتها 000 70 كيلومتراً مربعاً وحوالي (000 100 حسب تقدير الرحالة، ريكلوس). هذا ومن الصعب تحديد حدودها على وجه الدقة، ويمكن للمرء أن يتصورها على أنها في هيئة مربع غير منتظم الاضلاع، تكون زواياه: سيناون ــ الطابونية ــ عوينات ونين ــ حاسي افرطاس. مع امتدادين احدهما في الجنوب ويصل الى الشاطئ الغربي، والثاني الى الناحية الجنوبية الغربية نحو الحدود التونسية حيث تتصل بحمادة تين غيرت، والى الشمال، يمتد طرف من الحمادة الحمراء على هيئة اسفين بين سواني فسانو وبئر الجعفري، الى أن يصل الى مسافة 40 كيلومتراً جنوب مزدة.

اما السكان المحليون فيصفون حدودها كالآتي:

ما بين بئر حريز ــ العقبة، سانية الرجل (بكسر الراء) بئر علاق، ودي الخيل، بئر القريزية، ام النصل، بئر الخرب، بئر الطابونية، بئر أم المرافق. أما الخط الطولي، الطابونية، ادري، الحد الشمالي للشاطئ الغربي، عوينات ونين، البئر المر، حاسي دلبانة عين ازرار، درج، سناون.

فالحمادة الحمراء بمجاهيلها المتربصة بالقوافل وما تكتنفه من خبايا وفخاخ تنتظر كل متهور ومغامر يتحداها لتفتك به، ظلت دائماً في الماضي ميدان تناحر وغزوات شرسة ضارية بين القبائل المتاخمة لها التي كانت تنقضُّ على القوافل التي تعبرها لاقتصار الطريق بين فزان والساحل. أضف الى ذلك

أن المشاهد العجيبة الناتجة عن السراب كثيراً ما أغرت عابري السبيل وقادتهم الى الموت الفظيع. والشريط والوسيلة الوحيدة التي توفرها الحمادة للعيش هي الشريط الضيق الذي على أطرافها ولا يتعدى عمق 30ـــ40 كيلومتراً عندما تحوله الأمطار الى بساط أخضر رهيف. عندها ينتعش هذا الشريط فيصبح مرعى للابل وأسراب الغزلان والثيران البرية وينمو الترفاس (وهو نوع من الفطريات التي تشبه الكمأة) منها الأبيض والأحمر الذي يتهافت عليه أهالي تلك المناطق. وعدا هذا الشريط، هناك الوحشة والقحط، لا عين للماء ولا حتى قطرة منه، ولو في شكل قطرات الندى أو الضباب.

لا أثر للحياة، بعض النبات الشوكي هنا وهناك لكسر رتابة مشهد أرض جدباء صخرية موحشة، فالعرب يقولون، بعد الحمادة يبدأ السرير، إشارة الى أن بعد هذه الأرض التي ما زال فيها الرجاء يأتي السرير والصحراء الرهيبة. انتهى كلام بيلاردينيللي(1).

ربما يتساءل القارئ الكريم عن علاقة القبلة بموضوع الكتاب، او علاقة القبلة بالشيخ سالم بن عبد النبي.

ورغبة في الاجابة على هذا السؤال أردنا أن نبدأ بما ورد في كتاب القبلة الذي ألفه إيطالي عاصر تلك الحرب وتنقل في الصحراء لكي يعرف القارئ مقدار المعاناة والتضحية التي بذلها وكان يواجهها المجاهدون الذين عاشوا وناضلوا وجاهدوا بكل شيء وهم في هذه الصحراء التي قال عنها هذا الايطالي إنها (موحشة، جدباء، صخرية، لا توجد فيها حتى قطرات الندى، لا تقاس اهوالها بأقسى الصحارى وحشة الخ). رغم هذا كله فان المجاهدين بأسرهم، اطفالاً ونساء عاشوا فيها سنوات تقارب العشر، ولم يكونوا مستقرين بل كانوا يحاربون ويتنقلون من وادي الى جبل الى سهل.

ومن أجل رسم الصورة الكاملة عن هذه الصحراء والحجم الكبير للجهد

---

(1) بيلاردينيللي في كتاب القبلة.

والتضحيات التي بذلها المجاهدون فإننا ننقل بقية المعلومات عن القبلة.

فاذا ما اعتبرنا بطحاء القبلة ومرتفعاتها بالمعنى الأشمل لكامل مساحتها تظهر لنا خصائصها التشكيلية واضحة ومتميزة كالتالي:

الجزء الغربي، كما سبقت الاشارة، صحراء مترامية الأطراف تتكون من صخور وحجارة وأرض جافة منبسطة كلها إذا ما استثنينا بعض التعرجات الثانوية فهي لا يوجد بها أخاديد عميقة لانها صحراء موحشة قاسية وحيدة الشكل ورتيبة المنظر حتى انها تشعر المرء بالانقباض والأسى.

أما الجزء الشرقي فمتنوِّع تتخلَّله تضاريس متفاوتة من حيث الارتفاع والانحدار وتشقُّه أخاديد الانجراف والتواءات، وتسمى بمنطقة الوديان الكبيرة، شقّتها اودية ملتوية لا تنتهي بأعماق متفاوتة وتحفرها بعمق سلسلة من الأخاديد المتشعِّبة كوّنتها وتكوِّنها روافدها المباشرة وغير المباشرة. وهكذا تظهر هذه المنطقة وكأنها منطقة جبلية بحقها وحقيقها. وهاتان المنطقتان المتباينتان تبايناً كبيراً من حيث تكوينهما وتشكيلهما الطبيعي تلتحمان معاً في شريط مرتفع طويل يأخذ شكل القوس المتَّجه الى الناحية الشمالية الشرقية ويرتبط طرفاه بجبل غريان وجبل السوداء في فزان.

إن ضلع الترابط هذا والذي يشبه الى حد كبير دعيمة السقف يظهر أعلى المرتفعات ويشكل علامة للخط الفاصل بين حوض تجمُّع المياه أعلى الساحل الممتد من مصراتة الى سرت، وبين الحوض الثاني المكوِّن للمنخفض الشاسع الواقع على طرفي الحدود بين تونس وطرابلس من غدامس الى نالوت.

وبعد سرد تفصيلي طويل ودقيق يتحدث بيلاردينيللي عن مصادر المياه في تلك الصحراء فيقول:

تتجمع في الجزء الشرقي من القبلة جميع الوديان الكبرى تقريباً، التي منشؤها في اطراف الحمادة الحمراء واتجاهاتها بصورة عامة، من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي لتصب في البحر ما بين تاورغاء وسرت.

واهمها مجرى سوف الجين العالي والأوسط وجري وادي زمزم وأعالي وادي البي الكبير، وسوف الجين يتولد من فوق الجبل بالقرب من الرحيبات ويسير في خط يتّجه من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي، وبعد حوالى 60 كيلومتراً من منشأه يشق أراضي مزدة ابتداء من المنطقة القريبة من وادي وامس وفي كاف المخترق ينعطف جنوباً. وبعد ان يسير في شكل قوس واسع حيث يسمى وادي فيصل يصعد صوب الشمال لينعطف من جديد عند كاف حفال، نحو الشرق ليشق طريقه خلال شريط الكثبان بالمنحدر المترامي الأطراف حيث تقع مزدة[1]. وفي بومعتق بعد حوالى 25 كيلومتراً ينحني مجراه من جديد في اتجاه الجنوب الشرقي وفي الملاقي تتلاق وديان ثانوية عديدة، ويسترد خط سيره المعتاد في اتجاه الشرق ليتسرب من خلال بطون واودية ضيقة وملتوية ويصل الى اراضي ورفلة.

وأهم روافد ضفته اليسرى التي يتجمع فيها جزء كبير من مياه سفح جبل يفرن وغريان هي: وادي المرموتة، وادي وامس، وادي النسمة، وادي التفالغو، وادي تارسين، وادي بني وليد وأودية أخرى ثانوية لا حصر لها.

أما روافد ضفته اليمنى التي تتجمَّع فيها مياه منحدرات الحمادة الشرقية الحجرية فهي: وادي فساتو، وادي البطحة، وادي عمران، وادي الجليلة، وادي المزي، وادي البقلة، وادي الدريدر، وادي مرسيط بروافد الطلحة وفروتن، ويبلغ طول مجراه حوالى 400 كيلومتراً[2].

وبالنظر الى شساعة أراضيها فإن القبلة تفتقر الى الماء خاصة خلال فترات الصيف الطويلة وبصورة أخص خلال سنوات الجدب.

وتتكون الموارد المائية أساساً من الآبار والصهريج (المعاطن ـــ الفسقيات والمواجن) وكذلك المستنقعات الطبيعية (تجمع ماء المطر: غدير ـــ تمد) التي

(1) راجعنا في هذا الشأن مؤلف السيد روفيريتو، جيولوجيا ومورفولوجيا.

(2) كتاب القبلة، بيلاردينيللي، طبعة سنة 1935م.

تقع على مسافات متباعدة أحياناً وفي مواقع لا يعرفها إلا الادلاء المحنكون، خبراء الصحراء، والماء ثقيل في غالب الأحيان، ومذاقه يميل الى المرارة والملوحة بسبب الطبقات الجوفية الكبيرة المشبعة بالأملاح والجبس.

أما الصهاريج فمعدّة لتخزين مياه الأمطار إن هطلت، وكذلك (الثمد) التي هي حفر أو خنادق قليلة العمق يسهل حفرها في قاع الأراضي التي تتجمع فيها مياه الأمطار او الفيضانات، في بطون الوديان او المنخفضات التي تتجمّع فيها مياه الرشح، وخطوط الآبار بصورة عامة تتجه في اتجاه خطوط الطول والعرض، وتوجد سلسلة منها على مسافات متباعدة جداً في بعض الحالات، على اطراف المنعرجات الحجرية التي تفصل الحمادة عن المناطق المتاخمة لها.

ومن ناحية حدودها مع اراضي غدامس وعلى طول طريق القوافل (ودي الخيل — بئر الناصرة) توجد أيضاً سلسلة من السبخ والمستنقعات ذات المياه المالحة (الملاحات) والتي اهمها: ملاحة عطوة، او قرارة عطوة، التي توجد بجوارها بئر ماؤها عذب يتدفق من عمق ثلاثة امتار فقط.

ويذهب الرحل الى الملاحات لجمع ملح الطعام (كلوريد الصوديوم) لاستعماله في الأغراض المنزلية.

إذن فان القبلة هي ارض شاسعة مخيفة قاحلة قاتلة تفتقر الى كل شيء، لا توجد فيها المياه ولا الأشجار ولا سبل العيش، انها جدباء لا تقاس اهوالها بأقسى الصحارى وحشة وكما وصفها هذا الكاتب: «هي بقعة من الكرة الأرضية انقلبت الى جثة هامدة».

هذه الصحراء الموحشة أقام فيها المجاهدون وعاشوا هناك وهم يقاتلون العدو الغازي بقواته المختلفة وأسلحته المتطورة، وليس الماء فقط أو انعدام النبات والأشجار وانما وجود الزواحف القاتلة السامة، ونجد بيلاردينيللي يصفها كما يلي:

هناك الحيوانات البرية المفترسة مثل، الضبع والذئب والثعلب والقط البري

والبقر الوحشي والودان. اما الزواحف فهي: الحية ام القرون، والأفعى أم الجنب، والأفعى أم القنادة، والورل، والعقرب، وهذا لذعته مميتة. وهناك انواع كثيرة من الحشرات.

أما عن الطقس فهو يغلب الوصف بسبب تقلبه، والسائد منه هو القبلي الشديد الحرارة والقوة في عصفه، وأشد هذه الرياح عصفاً والتهاباً هي الريح المعروفة بـ (الغدامسي) وهي ريح جنوبية غربية تأتي من اتجاه غدامس، وعندما تبلغ هذه الريح ذروتها من العنف وتعصف بالمناطق الرملية تقلبها الى ما يشبه الأنهر الرملية المنصهرة التي تنبعث منها سحب حمراء لافحة، تصفع الوجوه وتكبت الأنفاس وتنتشر فيما بعد كالدثار الكثيف الى ارتفاع 200 متر لتغطي كامل المنطقة بلون حريق أصفر قاتم[1]، ويصفها الرحالة (هائمان) كما يلي:

تظهر بوادر هذه الريح، عادة، عند الغروب الذي يكون في مثل هذه الحالة أكثر تأنقاً وروعةً حيث تنتشر في السماء خطوط طويلة من السحاب الخفيف الذي تنعكس عليه أشعة الشمس الذهبية الغاربة في منظر غاية في الروعة، وفي فجر اليوم التالي تشرق الشمس مكفهرة اللون تحف بها هالة من البخار التي تزداد كثافة مع ظهور النهار، حتى تصبح السماء منشأة بطبقة موحدة صفراء مغبرة تشرق من خلالها أشعة الشمس متفسخة ومحرقة. وسرعان ما تكتسي المنطقة بلون نحس، فتلقي الأشجار بذورها بعدما ذبلها جفاف الجور الخانق أما الحيوانات التي تشعر مبكراً وبالسليقة بقرب هبوب العاصفة فتختفي وراء النباتات والخمائل الضب والثعابين بأنواعها هي التي تخرج من جحورها في أعداد كبيرة وكأنها تنعم بلفيح القيظ الخانق)).

ومنذ الساعات الأولى من النهار تبدأ الريح تعصف بصورة متقطعة وعلى فترات متباعدة ثم تنقلب الى هبوب متواصل لا تتخلله الا فترات توقف قليله وتصحبها أصوات غريبة وعويل يبعث في النفس الذعر كما لو كانت

(1) كتاب القبلة، ا. بيلاردينيللي، 1935م.

أصداء أنين أولئك التعساء الذين كبتت أنفاسهم هذه الريح الجهنمية في جوف الصحراء، والهواء الحاد في جفافه ولهيبه يبدو وكأنه مندفع من فوهة فرن، يلتهم الرمال الناعمة الدقيقة التي تتسرب إلى كل مكان.

هكذا هي القبلة، وقد أردنا أن نرسم بهذه الكلمات صورة للقارئ الكريم ليعرف مدى المعاناة والشقاء اللذين كان يواجههما أولئك الناس، رجالاً ونساءً وأطفالاً، من مختلف الأعمار، ولكن الله لا يغفل عن عبادة الصالحين المجاهدين.

مجدوه فهو رمز المجد بل رمز الفخار
واجعلوا من قبره المجهول تمثالاً يزار
وانثروا الورد على القبر بصمت ووقار.

الشاعر الليبي،
ابراهيم الاسطى عمر

9

الفصل التاسع

حديث الوثائق

في حالة البحث في الوثائق، والتاريخ عموماً فإن النزاهة والحياد ضروريان، ومن العجيب أن نجد مَن يبحث عن الوثائق ويجدّ في ذلك البحث وهو عمل مشكور، إلا أن المؤسف أن هذا البعض يفسد عمله وجدّه ذاك بالمخالفة في القول، كأن ينشر الوثيقة ويكتب تحتها معلقاً بما يخالف ما جاء فيها تماماً أو ينسبها الى غير أهلها كأنما تلك الوثيقة لا توجد الا في حوزته وهي إذا نشرت مشوشة في هذا أو ذاك الكتاب لن يهتم بفك رموزها أحد، وإنما سيكتفي الكل بما سطره. ذلك المؤلف (وكفى المؤمنين القتال) وهو بذلك يجرم ويتجنى لأن رأيه ليس الحكم النهائي ولا هو الفيصل في التاريخ ووثيقته ليست الوحيدة.

ومن هؤلاء البعض السيد القشاط الذي بذل جهداً في البحث عن الوثائق والأخبار وتقصي الأحداث، وكان يمكن أن يكون ذلك العمل مشكوراً ومفيداً للتاريخ لو أنه اكتفى بما أجهد نفسه فيه، أو هو كتب حقيقة ما في تلك الوثائق والأوراق، لكنه وضع الكلمات في أفواه رواة التاريخ أو أحداث التاريخ وكان أغلبهم من الأموات، واستنطق الوثائق أو أنطقها بما ليس فيها على الاطلاق، كما فعل في أوراق عون سوف، وقد أشرنا الى ذلك في كتابنا، (حقيقة معارك الدفاع عن الجبل الغربي) وأثبتنا ان تلك الأوراق أو المذكرات مزورة تزويراً فاضحاً، كذلك فعل مشكوراً مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي بشأن تلك الأوراق ونجده مرة أخرى في كتاب (خليفة بن عسكر) يفعل نفس الشيء في أوراق نسبها الى مجاهدين ومنهم الشيخ سالم بن عبدالنبي الناكوع، وهذا ما نعالجه الآن دون اهتمام بكتابه، لان ما يهمنا هو تلك

الوثائق لأنها تتصل بالجهاد الحقيقي كما انها ملك لاناس يعتزون بذلك التاريخ.

ونأخذ نموذجين من الوثائق التي نشرت للتدليل على ما ذكرنا:

الوثيقة الاولى نشرت على الصفحة 393 من كتابه وكان نصها:

من ولي عهد الإمارة السنوسية محمد رضا بن السيد المهدي السنوسي.

الى الشيخ سالم بن عبدالنبي الزنتاني حفظه الله آمين.

سلام الله وبركاته عليكم، وبعد، قال تعالى: ﴿ **فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك أولو الألباب** ﴾

[الزمر ١٧ و١٨]

من المعلوم أننا سابقاً صدرنا ما فيه الكفاية لطرابلس وبرقة وأملنا أن تتفقوا وتتعاضدوا على مصلحة البلاد والعباد والدفاع، امتثالاً لقوله جل علاه: ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى** ﴾، والى الآن لم تتفقوا على ذلك بينكم، بل نروا تجردكم للأخذ بالثأر من بعضكم بعضاً، وهملتم الدفاع عن شرفكم وحريتكم وصرتم تتربصون للإشاعات الواهية مع انكم تعلمون جميعكم أنا لو كنا نروا لكم شرفاً بعدم الدفاع لتشبثنا لكم في طريقة السلم التي تتضمن راحتكم ولكن بالنسبة لما تجلى من حالة الوطن و... مع ما شاهدناه انتقامات التي جرت على إخوانكم الذين استظلوا تحت رايته ونسوا قوله تعالى: ﴿ **ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسَّكم النار** ﴾، فلذلك لا أود أن لا تكونوا متكاتفين مع نشاط اخوانكم أهل الجبل، بارك الله فيكم جميعاً وأيدكم بروح من منه، حيث انهم ما وهنوا مما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين.

ولما ان العدو في هذه الأيام الأخيرة تجرد لأخذ وطنكم بطريقة سياسية بموجب (...) من مشايخ العربان لانه طالما كان من صعوبات والضعف فأوصى لكم ترك ما كنتم عليه كما أملنا وتتفقوا جميعاً اتفاقاً واجباً بعد نفي كل ضغينة وتستعدوا بالمال والرجال لدفاع العدو وقطع مساعيه وتسعوا لصالح

الوطن تتوطد الروابط الاسلامية ويكون الجبل وطرابلس كعضو واحد، وقد قال تعالى: **﴿يأيها الذين آمنوا لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾** و **﴿يأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾**، وهذا ما عن لنا من التحريض امتثالاً لقوله جل علاه: **﴿يأيها النبي حرض المؤمنين على القتال﴾**، ولقوله ﷺ: الدين النصحية.

وفي الختام أسأل الله النصر والتوفيق والسلام،

الوكيل العام.

ونرى ان القشاط قد كتب أسفل هذه الرسالة ما يلي:

رسالة من محمد رضا المهدي السنوسي الى الشيخ سالم بن عبدالنبي الزنتاني يطالبه فيها بحث الزنتان على الانضمام للمجاهدين والدفاع عن الوطن (20 محرم 1341هـ) نرى هنا نفس طريقة الدس، فتعبير (حث) يعني ان هؤلاء متقاعسون، و(الانضمام للمجاهدين والدفاع عن الوطن) يعني انهم لم ينضموا بعد وانما هم ينتظرون من يطلب منهم الدفاع عن الوطن والانضمام للمجاهدين!!

وهذا الكلام لم يرد في الرسالة على الاطلاق، ذلك ان محمد رضا كان يعلم ان هناك خلافات بين أهل الجبل، وتلك حقيقة، والخلافات سببها الايطاليون الذين دخلوا المنطقة بالرشوة والإرهاب والترغيب والابتزاز ليستخدموا هذه الفئة ضد الاخرى، وذلك بطبيعة الحال يؤثر على الجهاد والمجاهدين، وكان على السيد محمد رضا أن ينبه الى ذلك. وقد وجه الرسائل الى عدد من زعماء الجهاد وكان الشيخ سالم أحدهم.

أما تعبيرات (حث) و(الانضمام) وو الخ فهذه جاء بها الكاتب من عنده ليوهم القارئ بأن هؤلاء الناس لم يجاهدوا وأنهم كانوا ينتظرون من يحثهم على الجهاد، وهم كانوا في حقيقة الأمر في مقدمة المجاهدين في جميع المعارك.

ونأتي الى الوثيقة أو الرسالة الثانية لنرى كيف فسرها القشاط، وهي

التي نشرها على الصفحة **394** من كتابه: يقول القشاط، رسالة من الشيخ سوف الى أعيان الزنتان يطالبهم فيها **بالانضمام** للمجاهدين في جهات مصراتة، ويعلمهم بالوفد القادم اليهم **لدعوتهم**، وهم الشيخ المبروك الغدي والشيخ الطاهر العكروت وقائمقام نواحي مصراتة وزليطن، ويسلم عليهم مجاهدو الغرب، القواليش والصيعان والبلاعزة والمحاميد، كما وقع الرسالة عون سوف، وتاريخ الرسالة **14** ذي الحجة **1341**هـ...

وإذا ما أمعنا النظر في معاني الكلمات (الانضمام للمجاهدين) و(قادم اليهم وفد لدعوتهم) سنفهم ان هذا الكلام وارد في الوثيقة أو الرسالة وبالتالي فان هؤلاء الناس يقفون جانباً ولا يشاركون في الجهاد، وأن الوفد سوف يدعوهم إلى الجهاد. وإذا عرفنا ان تاريخ الرسالة كان **14** ذي الحجة **1341**هـ فهو لا بد أن يوافق تقريباً سنة **1920**م، فالرسالة تقول (تفهمكم بالحقائق) وكاتباها يطالبان بمواصلة الاتصال عندما يقولا (نرجوكم دوام المخابرة).

فلا نعرف من أين جاء القشاط بما كتب أسفل الرسالة المنشورة وكلمات الانضمام ودعوتهم الخ.

وهذا نص الرسالة:

حضور جناب المحترمين الأفاضل الكرام الشيخ سيدي محمد الامام والسيد الشيخ البدوي والشيخ سالم بن عبدالنبي وعموم أعيان الزنتان من غير تخصيص.

بعد إهداء واجبات السلام عليكم وعلى من هو بطرفكم وبعد معلومكم من زمان لم رينا منكم جواب ولا خطاب لعل المانع خير ولم نقدر نفهم حركاتكم وتغافلكم هذا صرت متأسف الى غايت الأسف عن إخواني ورجال وطني أن ياقع فيهم هاد الفشل ويطمع فيهم العافن والملح معلومكم اخوانكم أهل سرت اليوم في مدت عشرت أشهر لم يأرو معاونة من أحد من يوم صقوط ترهونة واهي مصراتة منفردة بنفسها تحارب العدو ونتم نسيتو اعداكم حتى طمعو فيكم في وسط سحراء ولو وجدنا طريق لاكان من زمان وصلناكم.

ومعلومكم اليوم الحرب من حدود مصر الى نهايت مصراتة الا جهاتكم بواسطتت أرباب المال وقع فيكم وما وقع، مع انه اليوم عموم الاسلام تنتظر منكم الخبر في كل وقت وزمان. وطال انتظارنا فيكم وفي حركاتكم مع انه لمدت عشرون يوم رجع سعادت نائب الأمير السيد صفي الدين. اخواني انهضو شملكم وبينو أفعالكم القديمة وها نحن منتظرين حركتكم في كل وقت وزمان ولوقعت منكم حركات لاكان طريقنا آمنة وأرجو دوام المخابرة وسرعت الحركة على العدو وأيضاً بعد وصول السيد خرجت أهالي أكثر من مصراتة وطلبت أهل سواحل الذي كانو تحت العدو السيد مجتهد في اصلاح خالت وارفلة ربنا يصلح أحوال المسلمين لكونهم قبل لم تخرج منهم فايدة الى الاسلام ربنا يصلح أحوالهم وأحوال عموم الاخوان ونحنو باقين في انتظاركم بسعت ودقيقة على أمركم ولو وقعت منكم أدنا حركة لا بد أن تصر الحركات شديدا من هاده جهات ارجوكم دوام المخابرة واتصال طريقه ونحنو معلومكم من مدت عشرة أشهر ونحنو في خطر الحرب مع إخواننا الوطنيون الغيورين رجال مصراتة ارجوكم احيا اسمكم واضهار مصايلكم المشهودة مع انه نبشركم بنصار اخواننا أهالي بنغازي وقعت محاربات شديدة وغنمو بها الاسلام مدافع ومتر اليوزات وكراهب حمالة وكراهب مدرعة وجبخانة وانكصر بها العدو وان شاء في هاده الحفظة حسب أمر السيد يتقدم جيش الاسلام وسيتوجه لكم وفد اسلامي ومن جملت الوفد الشيخ المبروك الغدي والشيخ الطاهر العكروت من الزاوية وقائمقام نواحي مصراتة وزلطن لاجل يفهمكم بالحقائق يسلمو عليكم عموم المجاهدين اخوانكم القواليش وصعان والبلاعزة والمحاميد وعموم أهل الغرب والشيخ سالم عمران التاغمي، 14 ذي الحجة 1341.

كان هذا نص الرسالة، ونستميح القارئ الكريم لاننا نقلناها كما هي وباخطائها اللغوية التي قد لا تفهم بسهولة لان أمانة النقل تقتضي ذلك.

ومن نص الرسالة يتضح التزوير واختلاق الشكوك الذي ذهب اليه القشاط.

والوثيقة الثالثة (الرسالة) التي نشرت على الصفحة رقم (351) وكتب

المؤلف أسفلها يقول:

رسالة من عابد السنوسي الى الزنتان بالرملة يطلب منهم تزويد عبيدة ومنهم خير يحيى بمستلزمات الزاوية.

وللوهلة الاولى فان القارئ سيفهم من هذه العبارات ان هناك شيئاً مقرراً يطلبه عابد السنوسي من الزنتان (مستلزمات الزاوية) والأمر ليس كذلك، وهذا نص الرسالة:

انه من عبد ربه سبحانه محمد عابد السنوسي الخطابي الحسني الادريسي الى الأجلاء والفضلاء الأعزاء الأبرار كافة اخواننا الزنتان الذين بالرملة والوادي بدون تخصيص جميعهم كبيرهم وصغيرهم لا زالوا محفوظين وبعين العناية ملحوظين آمين.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ومغفرته ومرضاته، موجبة السؤال عنكم وعن كلية أحوالكم التي هي غاية المقصود من الملك المعبود أوصلكم الله إلى رضوانه الأكبر وأسبل عليكم رداء سترته الاولى وان سألتم عنا فاننا وكافة الاخوان الذين بهذا الظرف بخير وعافية ونعم اضافية أرجو الله الا تزالوا كذلك سالكين في جميع أموركم أقوم المسالك بجاه من سن المشاعر والمناسك والأحوال سارة فارة ولم يحدث ما يجب اعلامكم به سوى الخير والعافية أدام الله ذلك على الجميع بحرمة مكة والبقيع وبجاه النبي الشفيع ﷺ وشرف وعظم وربنا سبحانه وتعالى يوجه الجميع لما يحبه ويرضاه بجاه نبيه ومصطفاه ويحفظكم ويرعاكم ويكون لكم ولنا ولياً ونصيراً ولا زال الدعاء منا لكم مبذولاً ومنه أجابه وقبولاً وبلغوا منا أزكى السلام لكافة من بالطرف وجميع الاخوان ومن عندنا يسلم عليكم خالنا الشيخ السيد محمد وعلى كافة الإخوان والسلام يعمكم في البداية والنهاية، والختام.

حرر في 25 شوال 1332.

وهكذا عزيزي القارئ ترى أن الرسالة هي عبارة عن (دعاء) وقد اعتاد الناس في مجتمع ذلك الوقت ان يطلبوا (الفاتحة) من أهل التقوى وحملة كتاب الله وخدام الزوايا، ثم نرى ان السيد محمد العابد قد كتب ملحقاً في الرسالة يقول فيه:

إلحاقاً خير ونفي كل هم وكدر، نرجو الله انكم بخير وعافية وما كنا نظن انكم تبطون الى الآن وما اجتمعنا بكم فالله يجمع بكم على خير وأنتم مسرورين بخير وعافية وها هو عبدنا ان شاء الله يصلوكم بخير (خير يحيى) ومن معه مرادنا يحكون لكم شفاها ان شاء الله عن لازم الزاوية ومصاريفنا بدون تعب عليكم نريدكم تجمعون لنا طعاماً وشلتات خمسة أو ستة وغراير وحوايا وغير ذلك بارك الله فيكم والحال الذي في الوطن لا يخفى عليكم وغيركم يوصي والمدار كله على راحتكم ودوام سروركم ودمتم وأتم السلام يخصكم منا والبقية وعامة من معنا والسلام، والدهان لا تنسوه أيضاً كلكم بارك الله فيكم ودمتم. انتهى.

الذي يقرأ الرسالة بنصها يرى أن صاحبها لا يفرض شيئاً (كما أراد أن يصور القشاط) وليس هناك شيء مقرر، وانما هو في الحقيقة يدعو للناس بالبركة والخير والسلام ثم يشرح وبخجل شديد احتياج الزاوية لأشياء بسيطة وهي تتوفر عادة لدى أهل الإبل والحيوانات وكانت:

1 ــ شلتات (أي أفرشة أو أبسطة).

2 ــ غراير، جمع غرارة.

3 ــ حوايا، جمع حوية.

4 ــ وفي الأخير يطلب (الدهان) بمعنى السمن أو الزبدة والرسالة مليئة بالدعاء والمودة..

ولو كان مؤلف ذلك الكتاب قد نقلها كما هي لقلنا له شكراً ولكنه وقد أراد الاساءة والدسيسة فقد وجب التوضيح (وحسب نواياكم تبعثون)..

وهكذا الحال بالنسبة لبقية الرسائل أو الوثائق التي نشرها، كان يدس عليها الكلام ويقحم الألفاظ لغرض ربما في نفسه، سامحه الله، ونحن نعيد نشر تلك الرسائل وقد حصلنا عليها من ابن الشيخ سالم بن عبدالنبي بارك الله فيه وأطال في عمره.

وقال مصعب بن عبدالله الزبيري:

أأقعـد بعدمـا رجـعت عظامـي ... وكان الموت أقـرب مـا يلينـي

اخاصـم كل معتـرض خصيم ... وأجعـل دينـه غرضـاً لدينـي

فاترك ما علـمت لـرأي غيري ... ولـيس الـرأي كالعلـم اليـقين

وما أنا والخصومة وهي لـيس ... تصـرف في الشمـال وفي اليمين

وقـد سـنت لنـا سنـن قـوام ... يلحـن بكـل فـج أو دجين

وكان الحق لـيس بـه خفـاء ... أغـر كغـرة الفلـق المبين

ومـا عـوض لنـا منهاج جهـم ... بمنهاج ابـن آمنـة الأمين

فأما مـا علـمت فقـد كفـاني ... وأمـا مـا جهـلت فجنبـوني

فـلست بمكفـر احـدا يصلي ... ولم أجرمكـم ان تكفـروني

وكنـا اخـوة نرمـي جميعـا ... فنرمـي كل مرتـاب ظـنين

فـأوشك ان يخر عمـاد بـيت ... وينقطـع القريـن عـن القريـن

الرسائل

ولقد اخترت خمس عشرة من الرسائل أو الأوراق التي توفرت لدي عن تلك المرحلة رأيت انها ربما تفيد القارئ الكريم وتضيف بعض الفائدة إلى الموضوع الذي اكتب فيه وهي كما يلي:

1 ــ رسالة سوف الى زعماء الزنتان بشأن وضع المجاهدين في سرت ومصراتة.

2 ــ رسالة السد محمد رضا السنوسي الى الشيخ سالم بن عبدالنبي بشأن غنائم (قارة سبها).

3 ــ رسالة الشيخ سليمان الباروني الى الشيخ سالم بن عبدالنبي بشأن صلح ترهونة.

4 ــ رسالة محمد العابد السنوسي الى الشيخ سالم بن عبدالنبي بشأن احتياجات الزاوية السنوسية.

5 ــ رسالة محمد العابد السنوسي الى الشيخ سالم بن عبدالنبي بشأن اختلاف الرأي حول غنائم القارة.

6 ــ رسالة محمد العابد الى الشيخ سالم بشأن الاسرى الايطاليين.

7 ــ رسالة جمعية التوادد والتعاضد بين المهاجرين الليبيين في تونس الى الشيخ سالم.

8 ــ قرار جمعية التوادد بخصوص اجتماعات الجمعية في العاصمة التونسية.

9 ـــ قرار جمعية التوادد الى الشيخ سالم باعتباره نائباً فخرياً للرئيس.

10 ـــ رسالة من محمد عابد السنوسي الى الشيخ سالم بشأن غنائم سبها.

11 ـــ رسالة من محمد عابد السنوسي الى الشيخ سالم بشأن الوضع العام للمجاهدين في الجبل.

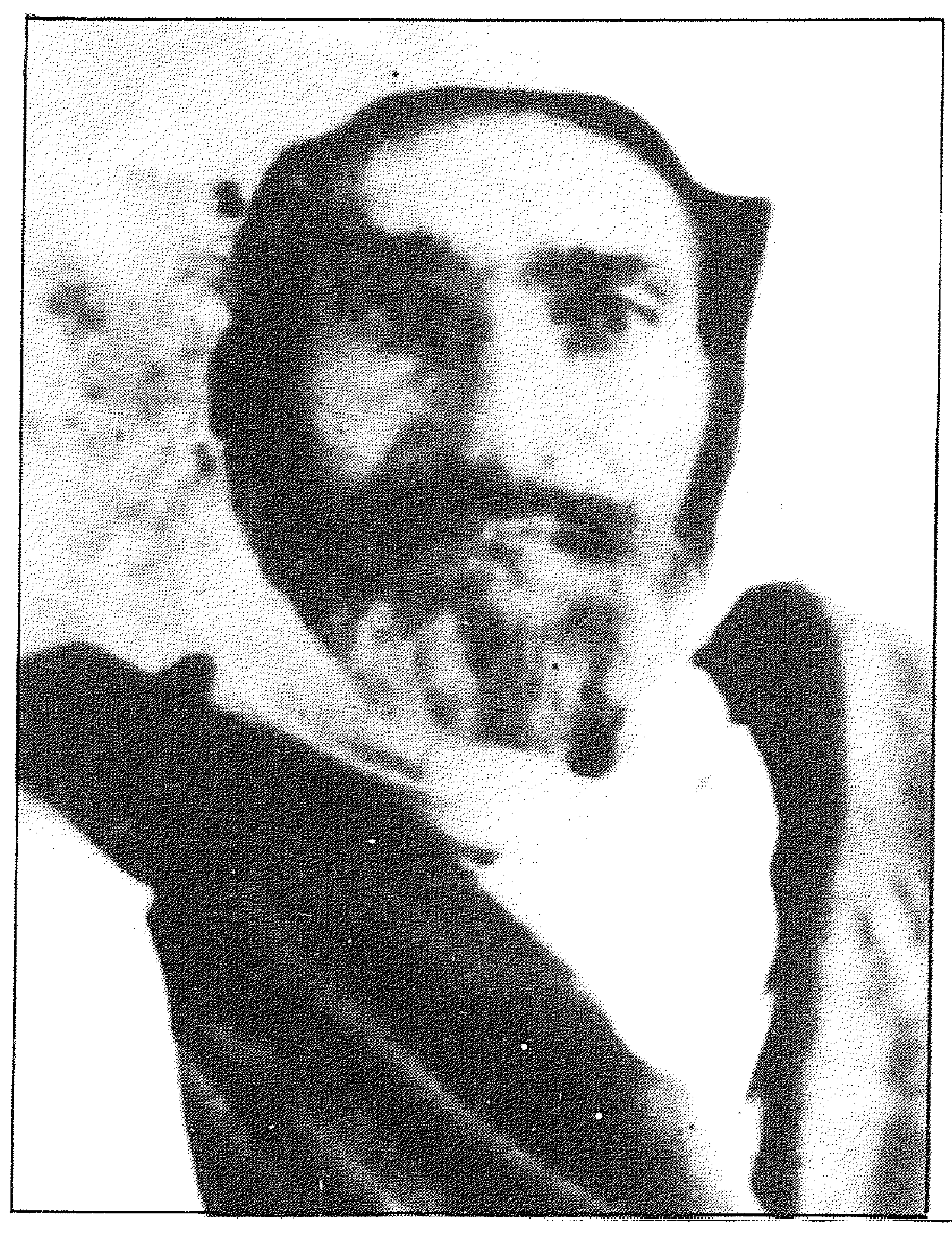
12 ـــ بيان من جمعية التوادد والتعاضد موجه الى المهاجرين الليبيين وكانت هذه النماذج تبعث الى الشيخ سالم ليتولى توزيعها على المهاجرين باعتباره نائباً للرئيس ونائباً للجمعية في نواحي شرق وجنوب تونس.

13 ـــ شهادة من رئيس القوات الحربية هي عبارة عن وسام للشيخ سالم بن عبدالنبي كمجاهد له دور بارز في الجهاد الوطني.

14 ـــ صورة الشيخ سالم وبعض المجاهدين أعضاء الجمعية المقيمين في تونس.

15 ـــ صورة لقارة سبها التي احتلها المجاهد في 38 نوفمبر سنة 1914م..

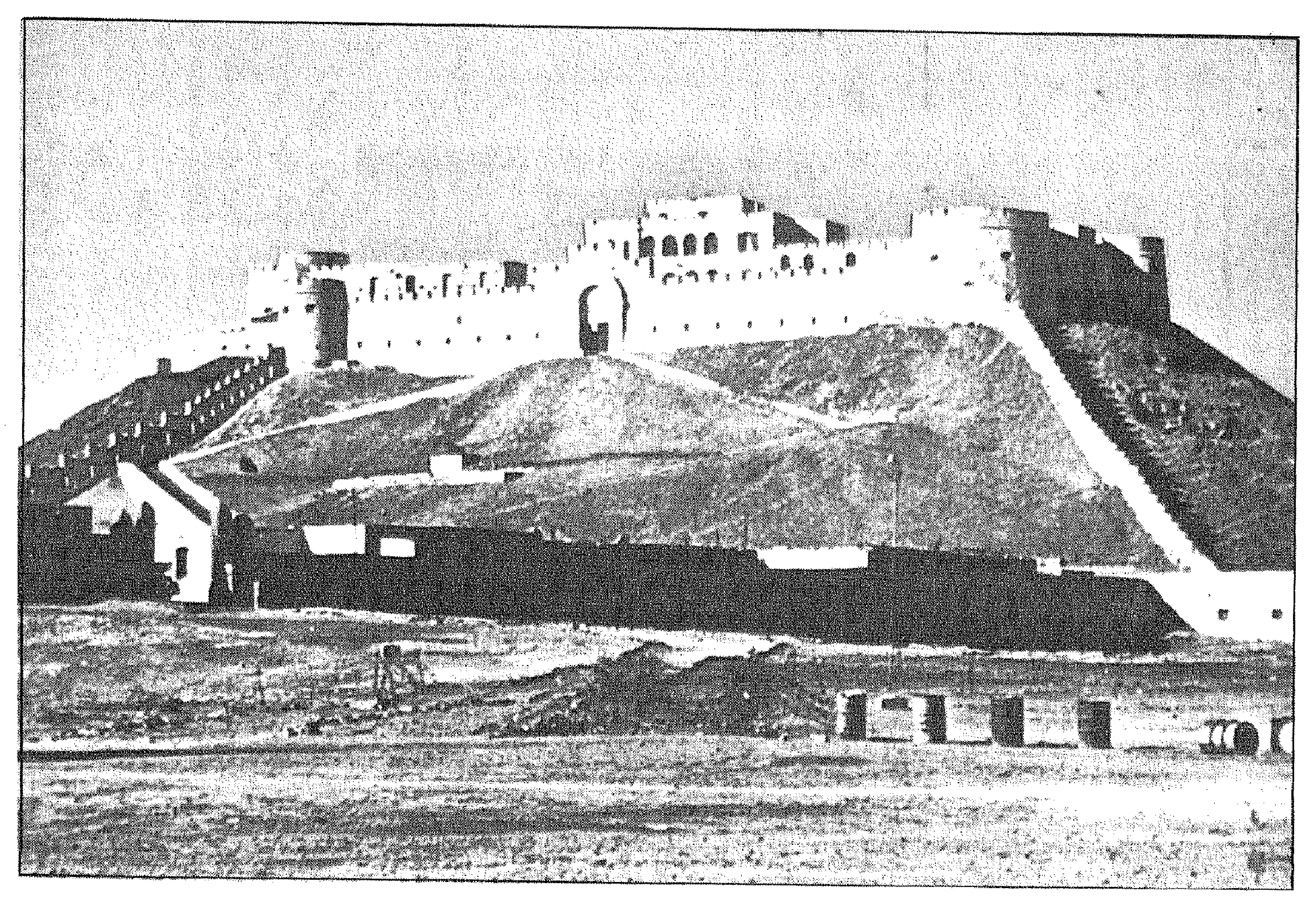
الواقع ان هناك الكثير من الرسائل والأوراق والوثائق التي تحتاج البحث والدراسة والتقييم قد يساعد الله مستقبلاً على نشرها مفصلة وذلك خدمة للجهاد الوطني الليبي وتصويباً لبعض الأخطاء أو التجاوزات التي حدثت ربما دون قصد.



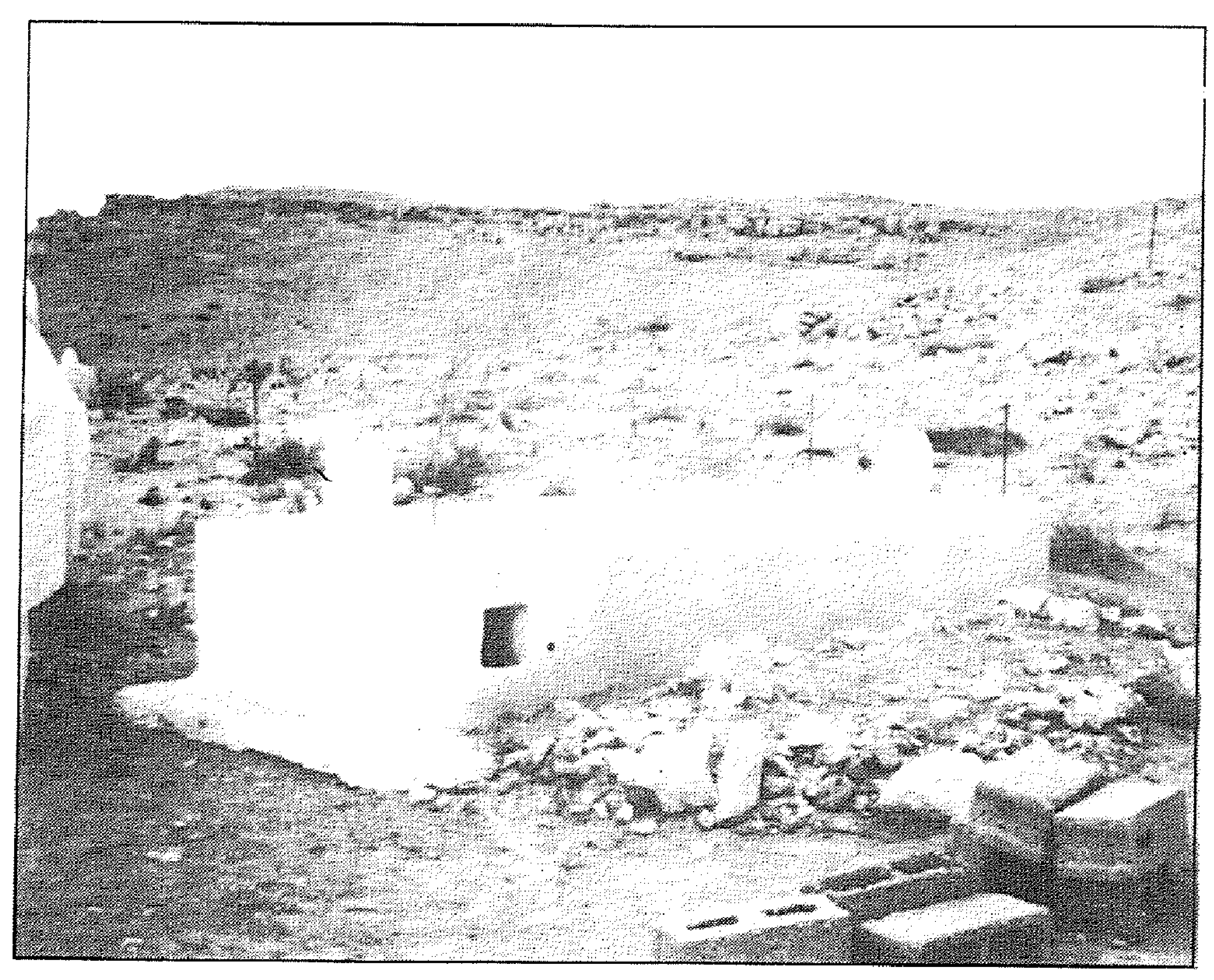
الشيخ المجاهد سالم بن عبدالنبي الناكوع الزنتاني الرجل الذي ناضل وقاد الجهاد الوطني طيلة عشرين سنة كاملة لم يساوم فيها ولم يهادن ولم يتراجع، كان مطلوباً من طرف السلطات التركية لانه يرفض الظلم والعبودية، وصار مطلوباً من طرف السلطات الايطالية لانه يرفض الاستعمار والاذلال والسيطرة.

انه قائد معارك القبلة وبطل معركة قارة سبها (معركة القاهرة).

لقد عاش مناضلاً مجاهداً بكل شيء من أجل الوطن والحرية وكرامة الانسان، وتوفاه الله في القرية، موقع رأسه بعد ان تخلّصت بلاده من الاستعمار الايطالي، بلاده ليبيا العربية المسلمة، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.



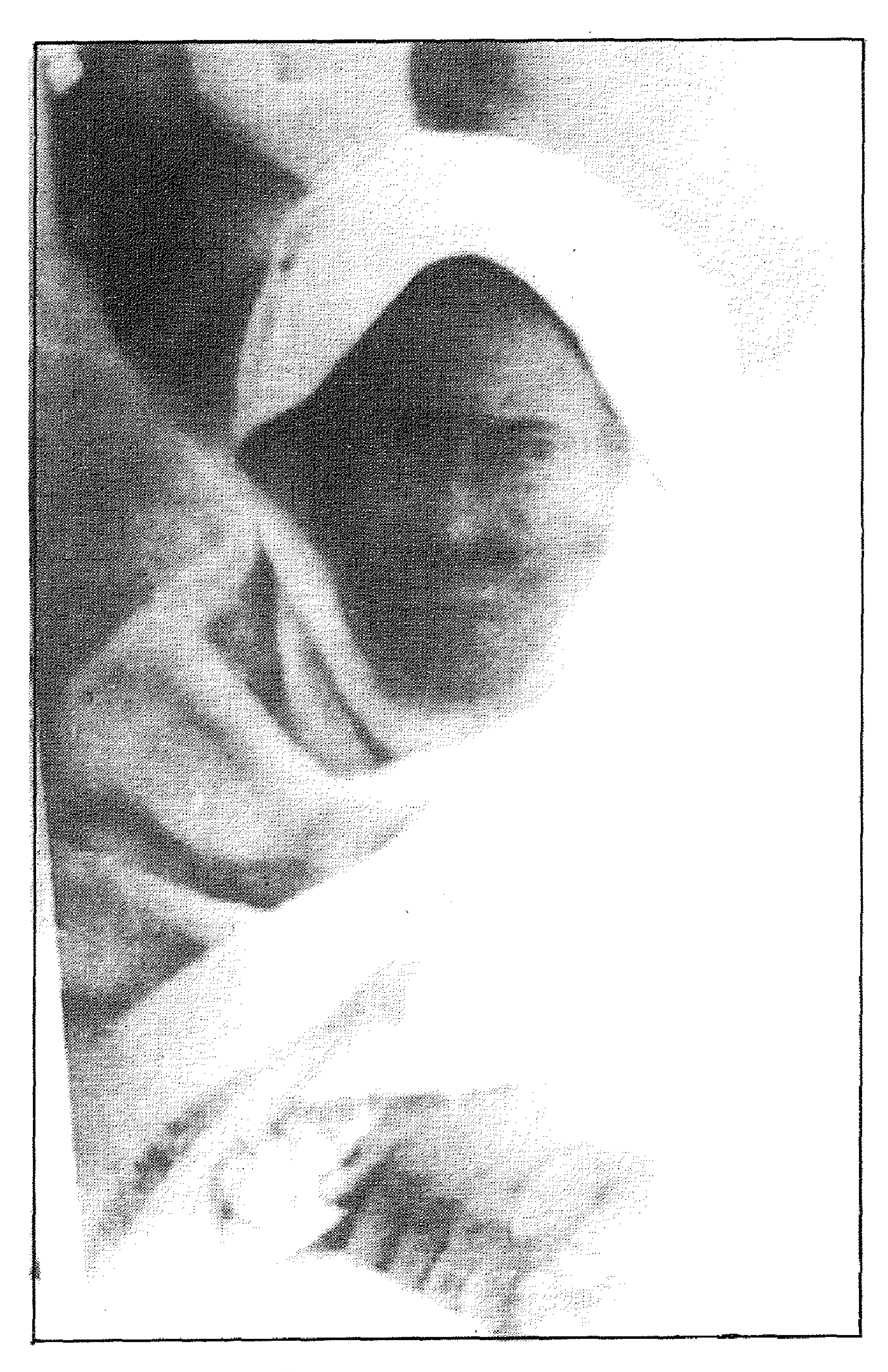
قارة سبها التي احتلها الشيخ سالم بن عبدالنبي في 28 نوفمبر سنة 1914م.



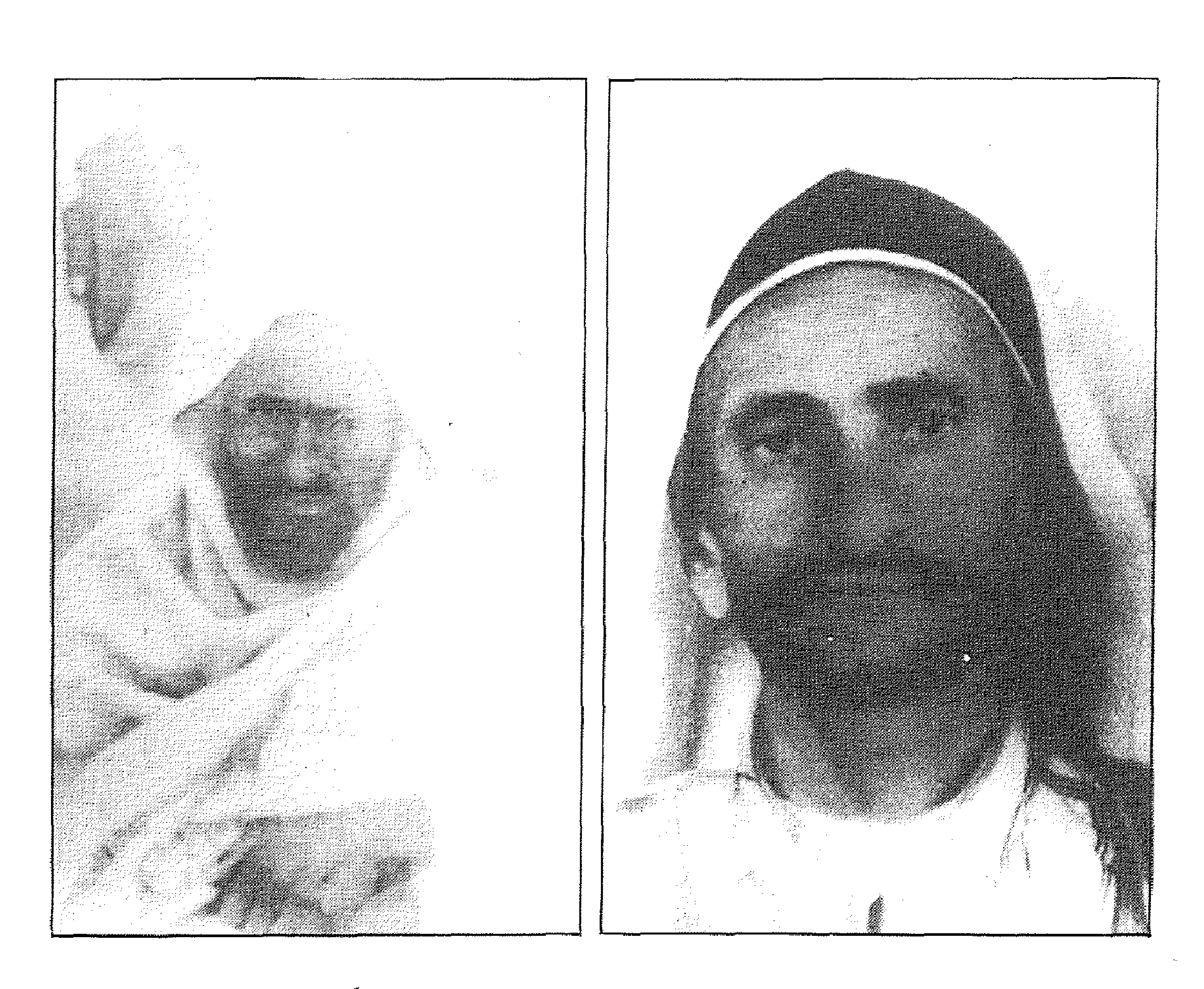
المكان الذي دفن فيه المجاهد الشيخ سالم بن عبدالنبي
وهو موقع رأسه أيضاً (القريات)
وقد خاض المعارك الكثيرة فيها وبقربها،
ويرى قبر الشهيد في مقبرة القرية الغربية.

وقد صدق الشاعر ابراهيم الاسطي عمر حين قال:

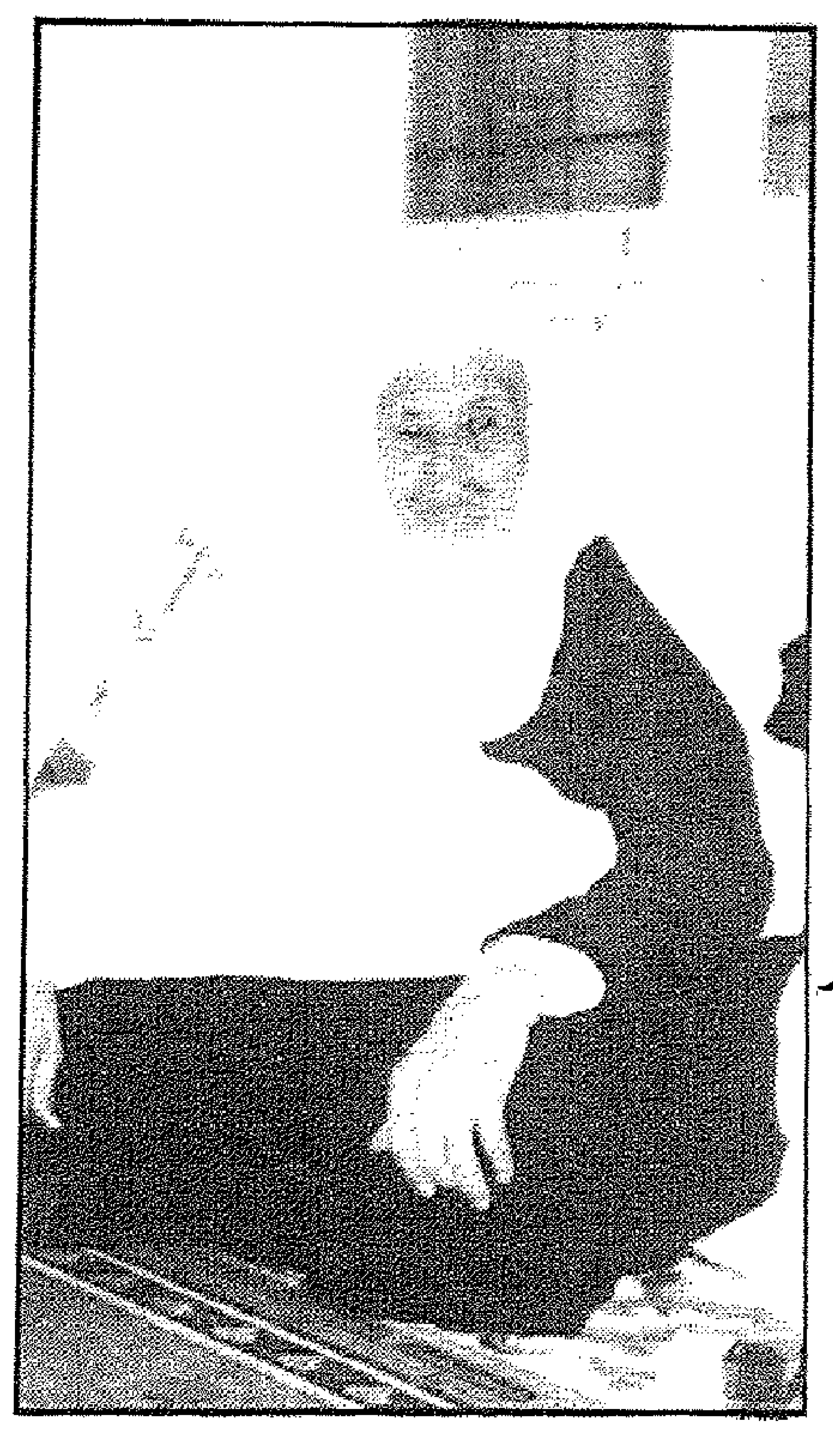
انت حـي حسـبك اليـوم خلـوداً لم تمت يا صاحب الـروح الكـبيره
غـاب عنـا الجسـم واختـار الخلـودا غير ان الـروح بالخلـق جديـره
في سبيـل الحق قـدمت شهيـدا ليس يرضى الناس من ارضى ضميره
كـنت في الدنيـا وفي العـيش زهيـدا فانعـم اليـوم بذكـراك الشهيـده
انت حـي في عـداد الخالدينـا لم تمت ذكـراك فينـا مـا بقينـا



المجاهد ابراهيم بن عبدالنبي الناكوع،
هو شقيق الشيخ سالم ورفيقه في الجهاد.



المجاهد إبراهيم بن عبدالنبي الناكوع وابنه البكوش.

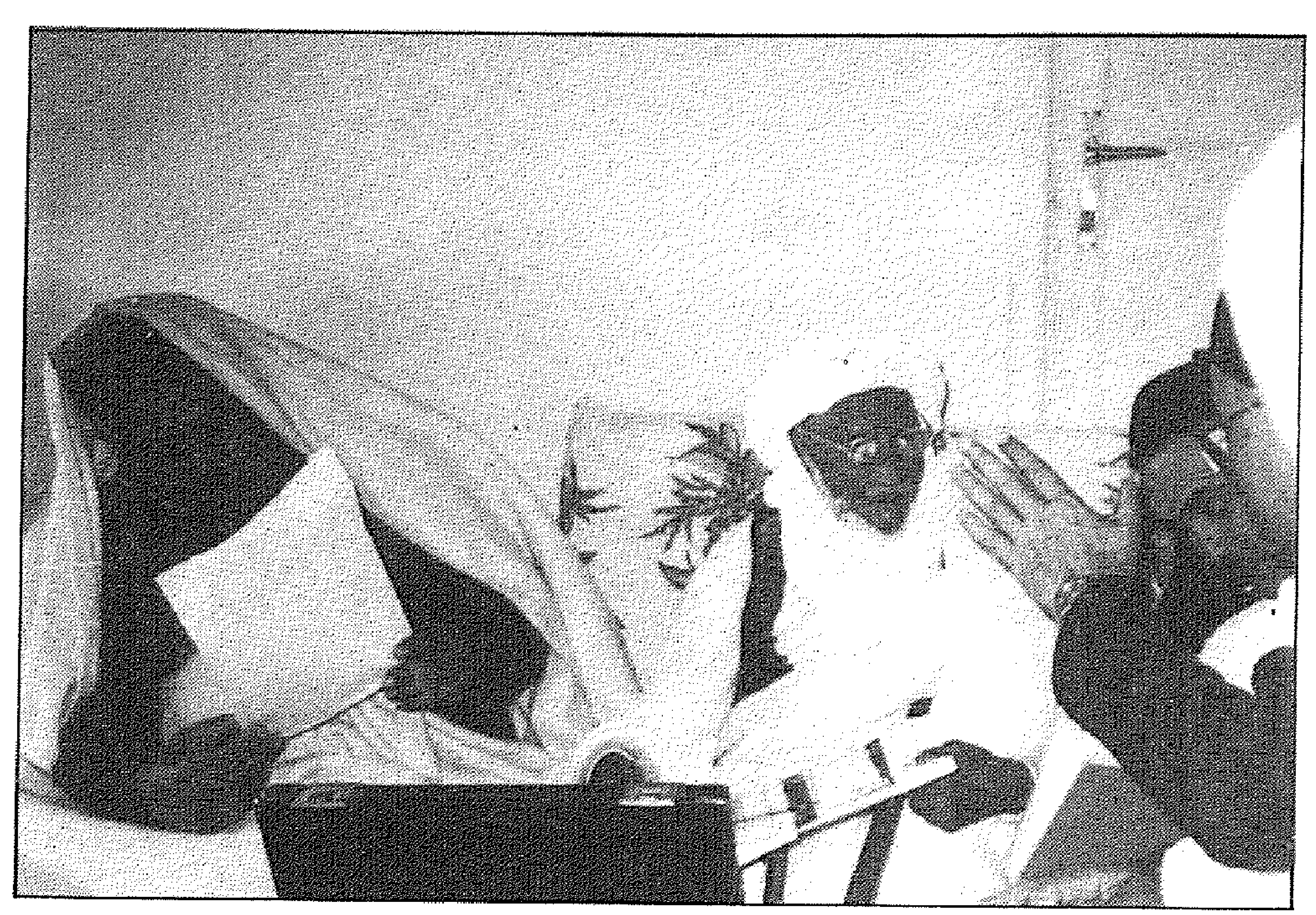


الحاج محمد الصغير، الذي تحدث عن الجهاد وقد كان شاهد عيان رفقة والده المجاهد الصغير العائب الزنتاني.

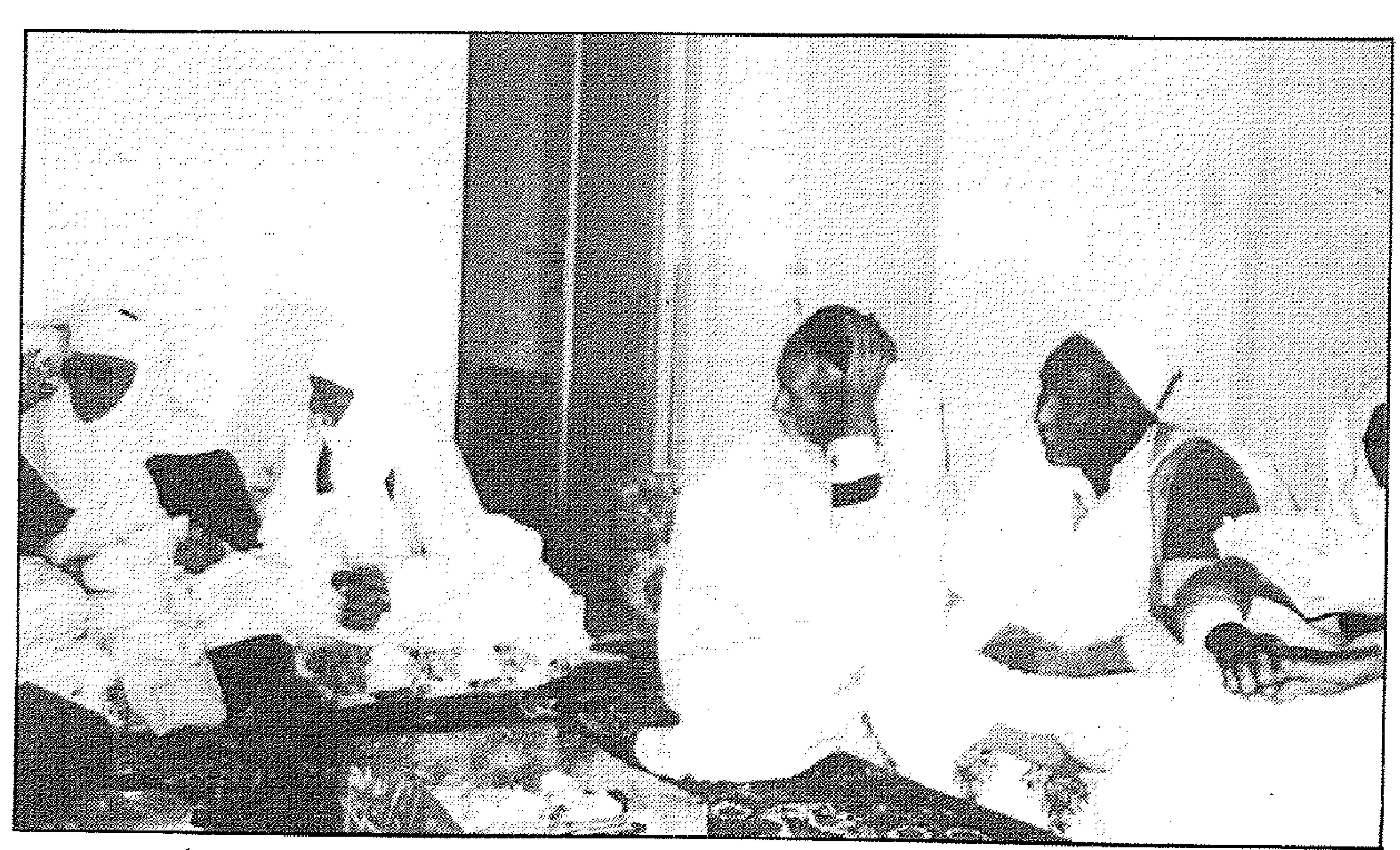
وكان قد رافق المؤلف في زيارة القريات للقاء أبناء الشيخ المجاهد سالم بن عبدالنبي الناكوع.



بعض أقارب الشيخ المجاهد سالم بن عبدالنبي وكانوا في زيارة للقريات حيث تم اللقاء مع أبناء المجاهد هناك.



ابن المجاهد، الحاج صالح بن سالم بن عبدالنبي وبعض أقاربه
وهو يتحدث إلى المؤلف عن ذكرياته.



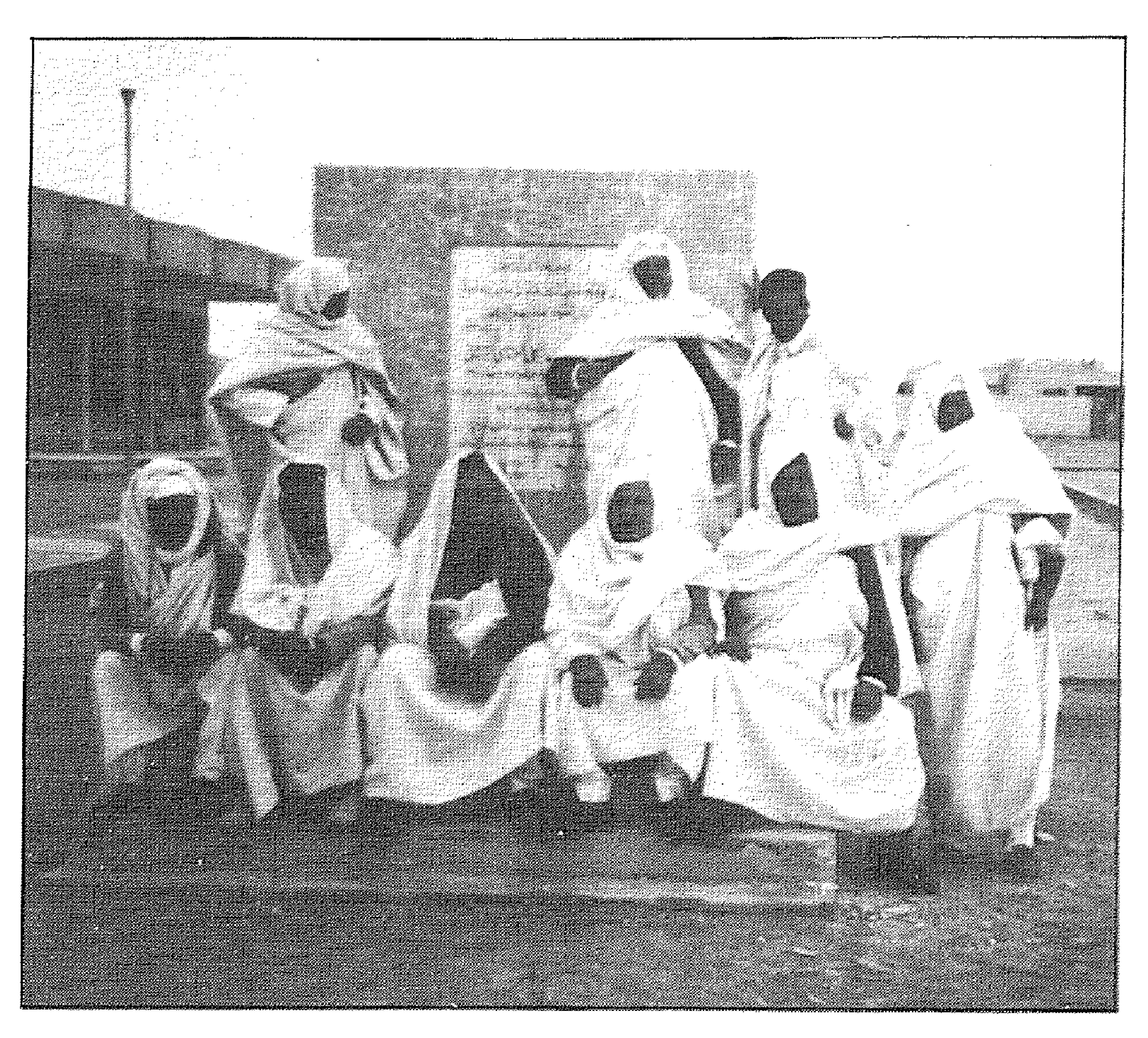
ابن المجاهد، الحاج المهدي يتحدث إلى الحاج محمد الصغير وبعض آقاربهما
في مناسبة تسجيل ذكرياتهما عن الحرب.



أمام النصب التذكاري ابن المجاهد الحاج المهدي بن سالم بن عبد النبي وأبناء إخوة المجاهد.



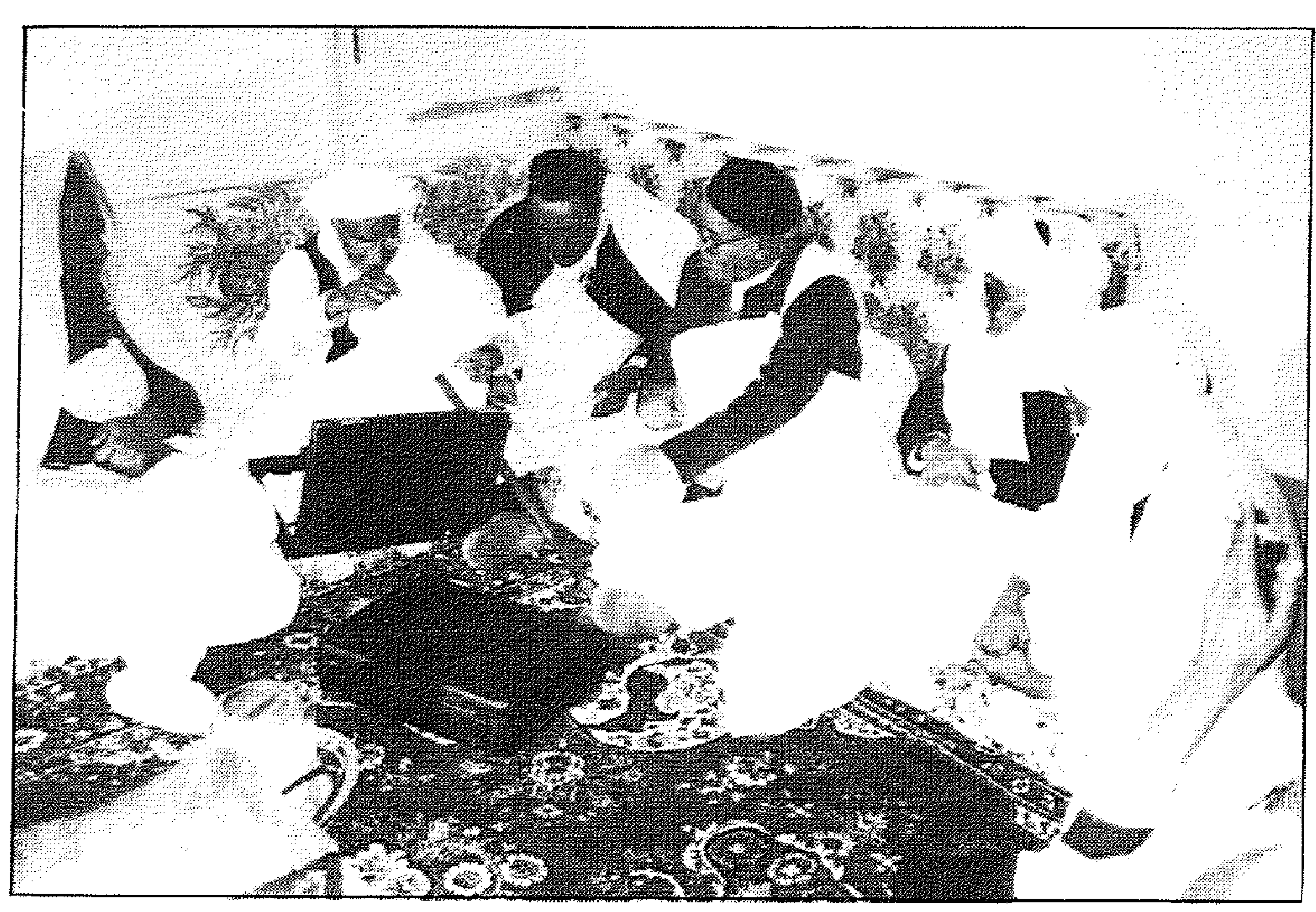
المؤلف أمام النصب التذكاري مع ابن المجاهد وأبناء اخوته.



النصب التذكاري الذي أقيم للمجاهد في القرية الغربية حيث كرمت ذكراه ثورة بلاده، يرى في المكان أمام النصب بعض أقارب الشيخ الشهيد وبينهم الحاج محمد الصغير الذي كان أحد شهود معارك الجهاد الوطني عندما كان رفقة والده المجاهد الصغير العائب والذي أعدمه الطغاة الطليان في الزنتان، ويعرف مكانه مع بقية المجاهدين الذين اعدموا معه في الزنتان بقبر (العشرة) والقبر مع نصب معركة الكردون من المعالم البارزة في بلدة الزنتان.



بعض أقارب الشهيد وأبناء اخوته.



لقاء مع ابن المجاهد، الحاج صالح بن سالم بن عبدالنبي وقد تحدث عن ذكريات الحرب، وقدم للمؤلف بعض الوثائق التي كان قد احتفظ بها طويلاً، لانه كما قال كان يعلم ان هناك من سيأتي ليبحث عن الحقيقة، والحقيقة في هذه (الأوراق).



حديث ودي مع ابن المجاهد أثناء تسجيل الذكريات وقد كان كثير الشكوى بسبب ما كتب خطأ عن الحرب إلا أنه كان يقول إن الحقيقة لا يمكن أن تخفى.

وما أنا والخصومة وهي ليس تصرف في الشمال وفي اليمين
وقد سنت لنا سنن قوام يلحن بكل قبح أو دجين
وكان الحق ليس به خفاء أغر كغرة الفلق المبين

مصعب بن عبدالله الزبيري

خواتم القول

قالوا هجرت الشعر، قلت ضرورة
باب البواعث والدواعي مغلق
خلت البلاد فلا كريم يرتجى
ومنه النوال انه لا يشترى
ويخان فيه مع الكساد ويسرق

الشاعر القديم
ابراهيم عثمان الغزي

10

الفصل العاشر

خاتمة المطاف

كانت السيدة (عنايا) هي ابنة الشيخ سالم بن عبدالنبي الكبرى وهي التي كانت كما ذكرت رفيقته في رحلات الجهاد الطويلة والمضنية، وكانت تعد له متاعه للسفر وتعتني بتنظيف سلاحه وتجهيز ذخيرته وتثبيت سرجه، وحتى تنظيف فرسه على الرغم من وجود من يمكن ان يقوم بذلك من الخدم، وكانت كما ذكرت رحمها الله اذ توفيت عن عمر يناهز السادسة والتسعين، وكانت المقابلة التي جرت معها ونقتطف منها هذا الكلام في (87/10/24) في بيتها بالقرية، وهي توفيت بعد تلك المقابلة بعام تقريباً ودفنت بجوار والدها، ذكرت لنا انها كانت، وكما عودها والدها، تستطيع استعمال كل أنواع البنادق المستعملة في ذلك الوقت، وكانت أدق في التصويب من اخوتها أي في ضرب (الشارة) الهدف، ابتدأت الحديث ببيت من قصيدتها الطويلة:

(نهار البنادق يطلعوا من أيديكـم   تبدوا ولايا افدرجـة أم اعصابـا)

أي ان الرجال الذين يسلمون سلاحهم سيتساوون مع النساء، بل ربما كان تعبيرها أبلغ من ذلك حيث قالت (تبدوا ولايا) ثم أضافت (أفدرجة أم اعصابا) أي تلك المرأة التي لا تقدر على فعل شيء غير ربط رأسها تأكيداً على انها أنثى.

وهذه قصيدتها كما روتها بصوتها، والقصيدة مسجلة لدى مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي وكذلك لدى المؤلف، ولقد حرصنا على نشرها لما فيها من بلاغة التعبير عن قدرة المجاهدين وإيمانهم وحال الناس وقت الحرب:

انكـــان بـــوي طـــلين عالمعـــاش اوجابا انظهر عقاب الطبل للندابا
سيـدي حلـف بصومـا للكفـر مـــا ييـــعث بســـط لرومـــا
يجي منتـده راكب على مقيومـــا اتجي ساقطا من عقدهـا مصروما
مكابـد كفلهـا مـن شـعير الشابـا
نهار فيه بـو لـرواح كابـر شومـا حتـى الصـريما تكـرا مـا تابـا
سوا ظالما ولا سوا مظلوما حتى قصـر عـالي افقاهـرا مـا هابـا
نهار قاهـرا مـا ولا نظـرا عـلا رفاقـــا والعمـــاد عالـــلا
وزود على بـاب الحديـد اوحـلا راسـا صحيـح وليمنـا ضرابـا
تماشـــا تـــراكا عالقليـــل الملا خلص دين من يابا عليه طلابا
يحســاب فكـا البنـى كان تعـلا طـاح في ذراري عـارفين ضرابـا
عارفين دراجا رملك فيه بومشطا خفيف الواجا
واذن أفراس القصـر فيسـع هاجـا قال عقب رانى انلم بيه اصحابا
بوي كان طـلين عالمعـاش اوجابـا انظهـر عقـاب الطبـل للنـدابى
انا بوي موش اهوين للكفر ما يبعث كلاما لين
أركان حرب ديما في البرور معين دم الكفـــر لين طـــق اركابـــا
وراكب على سابـق شـهير وبين مين ركـرك البـارود دار ضبابـا
نهار ايمرض نهار فيه لولاد الملاح اتعرض
صبح فيه من فجرا الرضاص ايقرض وقعـدت كبايـا صغارهـا تدابـا
كان بوي طـلين عالمعـاش اوجابـا انظهـر عقـاب الطبـــل للندابـا
توا يهب عونا وتفتح مفاتيح الفرج ياتونا
ضـرب قاهـرا منـا غـدت طابونـا محنـــى منــاقيرا وطير صيـــادا
اللي وعـد بالســوء يقصـر دونـا وسيدي عمد للحرب عنـد عـادا
وديما عليـــه كبيـــدتي مطعونـــا غـريم طاليـا سيـدي قليـل رقـادا
طاليا غارمها حين ما يعارض قومها يغنمها وهاجم عليها
أفقصرها شكمها وكامش على دينا صلى وعبادا

كان بوي فيرم عالمعاش اوجابا انظهر عقاب الطبل للندابا
سيدي نزل في الرملا نجوعا بناسا بالعمالا جملا
بعدين طق الطبل ومجملا طالق عليه المهر والزغابا
طالق عليه مقاوي ولاد ربد لشحط الرصاص شهانوى
عدو الدين هاذا اتقابلا بالغاوي بمدفع يشعل كورتا شبشابى
كان بوي طلين عالمعاش اوجابا انظهر عقاب الطبل للندابا
سيدي ولا حرام ما دخل في باب واعر حلا عالله يبدا بوي راس محلا
بين المدينا وسدرة الجلابى
عابى عبا حربا قليل الملا تصبح بنات الريح ليه طرابا
من الفجر لاول لين عرقا ظلا اللا خيلنا في خيلهم سلابا
صابح عليهم ساري اولاد العروبا تستحي واداري
حس الدقاري داريات حضاري تقول رعد بزلزالا قريب سحابا
دقو المهاري واركبو حساري وحطو عربكم في جبل دنبابا
رقاريق تصاعب على الهواري ولد العروبا من القح شرابا
كان بوي طلين عالمعاش اوجابا انظهر عقاب الطبل للندابا
ما تسمعو بدويكم راهو على سوق البلا تاكيكم
اللا هيدقي راهو ايهيع فيكم هالصلح هذا توحلو افعقابا
انهار البنادق يطلعو من أيديكم
تبدو ولايا أفدرجة ام عصابا
ولد طاليا ما هوش ممن فيكم
من نهار مرداس الكرم والغابا،
كان بوي طلين عالمعاش اوجابا انظهر عقاب الطبل للندابا..

ومناسبة هذه القصيدة، وهي طويلة جداً، واخترنا منها هذا الجزء، مناسبتها ان هناك من تحدث عن علاقة ما للشيخ سالم بن عبدالنبي مع الطليان، بمعنى ان بعض الوساوس بدأت بين الشفاه هنا وهناك في الفترة الأخيرة

من الجهاد الوطني عندما تغلغل الطليان بين الناس وصاروا يبثون الاشاعات ويؤججون الفتن ويختلقون القصص بغية التشكيك، جاء من يسوس بان الشيخ سالم قد ذهب الى الطليان لاستلام المعاش أو المرتب الذي قررته ايطاليا لامثاله من المجاهدين نظير المهادنة او الاتفاق، سمعت ابنته تلك الوسوسات وهي التي عرفت والدها جيداً وعاشت معه أحلك فترات حياته بين القريات والزنتان وادرى وبو القلوب ومزده والطاوبونية والرملة الخ هي التي عرفته مجاهداً في سبيل الله لا يطلب مالا ولا جاهاً ولا بغية له غير الدفاع عن البلاد والدين.

ما كان لها ان تقبل بهكذا وساوس أو حتى كلام مجاهرة، ولكنها في نفس الوقت لا تستطيع ان تسكت كل الناس، وخصوصاً أولئك المأجورين وهم كثار في كل مكان، وفي فترة سيطر فيها الغازي الأجنبي.

كان ردها بليغاً وغير موارياً، قالت ان الطبل موجود وهو عقاب لانه استعمل كثيراً في مأتم شهداء الوطن، الذين ماتوا، وانه لو حدث ان تأكد ان والدها قد فعل شيء من ذلك فانها سوف تأتي بذلك الطبل لتندب حظها وحظ الوطن والأمة، ولكنها تعرف ان ذلك مستحيل..

وقالت: بعد ان قرر والدي ان يهاجر مجبراً لا راغباً وقال قصيدته:
(سيدك نوا للهجرة)

قلت:

سيـــــذي حلـــــف بايمينـــــا   سيـد السراسا بسوك يـا سدينـا
نهار الــوخيم وبالقلــوب غبينــا   كت او تنهد مـا لقـا لعتابـــا
راحــو فــراسين الجهـــاد غبينــا   وقعـدوا المضايـع بعدهـم بوابـا،

وتتحدث عن تلك المرحلة:

لقد تعبنا لاننا كنا في الوخيم والحالة حرب ومنه في بو القلوب، نتنقل في الصحراء من مكان الى آخر (سيدي زهلل وخلانا في حالة العدو) وتنشد:

كبير واسماه شهير جلا وادرى قعدت للغير
سيد العربان وسيد الطبل اللي رنان مشـــى سيـــدي ديب الطليـــان
بدو بعدا غير محاسير
وبين ادري وبين تمسان أومشيتهم غير تبختير
نتمنى سبعميات احصان ايجوهم في الليل مغاوير
أمنين اينوض فيها القزان وتصبح لكلاب مغافير
ولعت في ذاتي النيران قريب راني في الجو انطير
بديت نجري زي السكران الشيء من الله مقادير
الشيخ اللي في البركبير واسماه شهير جـــلا وادري قعـــدت للـــغير
الدنيا ما دامت لحد اليوم في المركز برقادير
عليهم دمع العين غرد فوق من الخد
غراغيز معاه طياير وقلبي من التنهيد انفد
والجاش ترد وكبدي راحت دم غزير
منين كان الدوار اسود والخيل اتصد والبـــــــل اديـــــــر جماهير
اليوم غير النسوان لمد والهول تمد علينـــا مـــا غـــايب مـــن خير
نبي انحرم كحل المرود والجور نكد ورأسي مـــــــــــا يهواه السير
على بويـــا مـــا زيـــا حـــد منين كان القفل ايجد من كل بلد
اليوم غير الحوش ايغرد بابا مرتد سبب في اشكـارا كيـل شـعير
عليه ديما نبني ونهد غير انكايد قـــريب راني انديـــر البنديـــر
جا دونا رقراق اسود ما فيه ابلد وافجوج ادير
الشيخ اللي في البر كبير واسماه شهير جـــلا وادري قعـــدت للـــغير،

وبعد هذا الكلام قالت: انا الآن في 95 سنة من عمري وأتذكر هذا الكلام (غير بالبركة ورضا الوالدين) وكما قال الشاعر:

(كبير سن في الخمسين عمري عدا الركبين بادو والحرب بيش انقدا)

ضحكت وهي تتذكر قائله، آه، أنا في الخامسة والتسعين وربما أكثر،

أنا أكبر أبناء وبنات الشيخ سالم.

ما زلت أتذكر أغلب الأحداث والمواقع والحمد لله، وقد قضينا خمسة عشرة عاماً في الصحراء وكنا نعيش على أكل (الترفاس) وبعض المزروعات ونبات الصحراء، في معركة سواني بني آدم كان مع والدي مجاهدون عادوا ببنادقهم فقط وكان من بينهم (محمد بالطويرات وعمر بالطويرات والزروق الماترسي وإبراهيم بن إبراهيم وحمد الجبو ومسعود الناكوع) وكنت أعرفهم جميعاً، وقد قتلوا في مكان اسمه (الكدوه) في سواني بني آدم.

وتتحدث بمرارة عندما بدأت تقارن بين الجيل الحالي والجيل السابق، وإن كانت تقول (الله يبعد عنكم الحرب) قالت: كنا نكرم الضيف ونحميه ونساعده اذا كان في حاجة للمساعدة وندافع عن المظلوم ونموت في سبيل الله. وكان الناس متضامنين حتى ان هذه المنطقة (وأشارت بيدها يميناً ويساراً) كانت تزرع عندما تهطل الأمطار ثم تحصد ويخزن شعيرها وقمحها (وقفا) أي انه لمساعدة المحتاج وعابر السبيل، رحمها ورحم الله والدها الشهيد الشيخ سالم بن عبدالنبي، وصدق الله العظيم: ﴿ **وكل إنسان الزمناه طائره في عنقه** ﴾.

ولقد كان الشعر والشعراء دائماً في الميدان، ميدان الطرب، وميدان الزهو والفخر وميدان الاشادة والاعتزاز، والمفاخرة والذم، الهجاء والاطراء، التقى والكفر،، وهذا شاعر تدفق من قلبه ووجدانه حب عميق لقيم الانسان الذي يحفظ الجميل ويحمي الجار ويذود عن الحق، وأراد بكل الحب والحنان أن يعبر عن مشاعره بكلمات صادقات فهو لا يعرف الزلف أو الملق ولا يطلب شيئاً في مقابل موقفه في تمجيد هؤلاء الرجال الذين قاتلوا الطليان بكل إباء واعتزاز وبرهنوا على مر الأيام انهم من طينة وطنية أصيلة.

والشاعر يقول انه خبر الحياة وعرف الناس ودرس طباعهم وعاداتهم وتقاليدهم ومواقفهم فأعجبه هؤلاء الذين قاتلوا عن عقيدة وإيمان من أجل الوطن والحرية والدين، هؤلاء الذين مارسوا الحرب فعشقوها، واستعملوا الخيل

فميزوها وتميزوا بها، وعاشوا في الصحراء فطوعوها ولانت لهم كل صعابها.

قصيدة هذا الشاعر بليغة في لغتها حميمة في حرارة كلماتها أمينة فيما رسمت من صور البطولة وأنفة الرجال وجرأتهم وثباتهم وصلابتهم.

هي كلمات نبعت من القلب نابضة بالحياة، مصورة لبطولات نادرة وقدرة فائقة على تطويع كل الظروف وصياغتها بكل جرأة وإيمان المجاهدين في قالب صلد، إيمان المجاهدين في سبيل الله، الرجال الذين لا يطلبون شيئاً الا الحياة الكريمة أو الشهادة، يفتحون عيونهم على حمد الله، ويبدأون عملهم باسم الله، ويقدمون على أخطر الأمور مهللين، الله أكبر.

ها هو يتحدث بكلمات كأنها ريشة الفنان الذي يرسم ما يراه بدقة واتقان، **الشاعر سعد محمد الشتيوي الرياني**، يصور لنا في كلمات معركة الكردون ومعركة العميان ومعركة وادي الخيل..

((ريت شعب في الزنتان تفخر بيهم تاريخهم يشهد على ماضيهم))

تاريخهم من لاول جهاد في سبيل الله ما يتحول

وجيش قرسياني عذبوه أضوّل سلاحا خذو داسوه في ركبيهم

اللي في الحمادا صقرهم يجّول وأهل الركيب والغنم هي ليهم

ريت حضرهم في الشارف وميعادهم عقل تريسا عارف

قوى زمهم تشرب اللا بالغارف يا رب من كيد العدا تحميهم

قوى مزنهم تيار سيلا جارف واخزام للي قال بنعاديهم

هذي شهادا مني وكلمات نبغي انقولهم متعني ولجمعهم مبروك فيه انهني

مع جملة الفرسان في ناديهم

اركوب الحصنا نزهة المتمني عليه زغرتى اللي خاطرا يبيهم

سيدي ذويب تحيا وارجال تاغرمين فيا فيا فزتو على قطر الجبل جمليا

ثوار وابلادي اتهنا بيهم عرب باديا فيهم ضماير حيا

ايفكوك لكانك عقلت عليهم

صحيح يمنعو في الخايف وناس يكرمو في اللي قصدهم ضايف
لهم في الحمادا نجع دار ضفايف
اتقول سوق شعبي البيت وقت اتجيهم
اركيب امرجد مزن دار حفايف يا رب من بدر السحاب اورويهم
كانك مشيت اعماهم ايعزوّك زي نفوسهم وضناهم
كلامي حكيتا بعد جربناهم نقي عرضهم يلمط كما حوليهم
ان عنتت ايصبو عليك بلاهم ليا سقمو ما هناش من يحنيهم
الزنتان اهل شهاما وشام شرف عاطيهم شهادة ناما
وكلمة تفضل لولاّ بكلاما بالخير ربي انشاللا ايجازيهم
أفكل هود ليهم معركا وعلاما فروتن ودي الخيل بنسميهم
العميان خشوه البحر يطاما فنوه العدو ما صابشي يفنيهم
الكردون عنا خبرو الكلاما فعقال شجعانا ثنو كرعيهم
وحلفو العدو ما يهربو قداما لا سلمو لا بايعو باديهم
السيل عندا جرا وشايب حكالي معركة بو غرا
الطليان كملو والحبش افمرا واقعدو اجيفّ الذيب ياكل فيهم
عرب باديا اهل النفوس الحرا وبين النواظر ضرب زين أيديهم
ما يعرفوش الذلا وليهم عزايم والتكال عاللا
عرب ينزلو وين السراب تعلا يحلاو ريقي وين ما نطريهم
التاريخ يكتب والزمان يعلاّ هم حاربو الطليان بدراريهم
حاربو بنساهم ولا يوم عدو الزالا في قفاهم
وجيش قرسياني وين حشدّ جاهم قوى عزمهم موحال فلك فيهم
واحنا اليوم انخلدو ذكراهم حين والقرآن قال عليهم
ريت شعب في الزنتان نفخر بيهم
وتاريخهم يحكي على ماضيهم..

ويصف الشاعر معركة الكردون الشهيرة والتي أبلى فيها الزنتان كعادتهم

بلاءً حسناً وقد اختمرت فكرة اعلاء شأن الجهاد والمجاهدين في ذاكرة هذا الشاعر فجاءت كلماته نابضة بالحياة متلألأة كالمشاعل في الليلة الظلماء، وقد انصهرت الكلمات في مخيلته فصارت درراً وقد هتف يقول:

الكـردون فرسانـاً نهار الغـارا التـاريخ كتبـو بالـذهب اسطـارا
كافحو بصلابا لا يقلقو لا هم من الهرابا
حتى قرسياني قـالها في اكتابـا بين النواظـر ضـربهم لامـارا
حرقوه هـو ومـن وراه أصحابـا لين جاف ما بـردو صهايـد نـارا
فرسان ليهم قيما أركان حرب مشهورين ناس زعيما
وتاريخهم قاعد أمسجل ديما لين فجر سبتمبر سطع بنوارا
وليام زي الريح في التبريما وللي المجاهد جايين بشارا
أهل أبادي صحيح نصرة الشارق امنين اينادي
ومـن كل جيها يفزعـو درّازي ايجو مـن الحمـادا راكـبين مهـارا
وطني وجيراني وناس بلادي فراسين لجيوش العدو كسارا
التـاريخ ويـن قرينـا فروتـن ودي الخيـل ليـه مشينـا
وحسب الطبيعا قـلت بـللي رينـا كيف مـا نظرتـا جـابت الصـوارا
وتالا الحمادا الفوق وين رقينا العميان ملطمهم لقيت آثارا
عليهم قرينا الفاتحا ودعينا تبركت بترابا بنيت زيارا
شيابهم يحكولي ومنهم فهمتا كل ما قالولي
أهل البوادي يلبسو في الحولي عند الشدايد للدرك صبارا
شاعر وما نكدبش صادق قولي لا نزايد ولانى من الشكارا
لا تتهمنـي ولا تقـول وصـولي نبـو الشبـاب ايديرهـا في أفكـارا
تاريخهم في جبلهم وجرت مسارب خيلهم ونعلهم
سقادّت الشارق انكان وصلهم حليب يشربو ما هم من السكارا
ريت في الحمادا سارحات ايلهـم عربـا يكسبو في الضـان والخوارا
كلام حكيتا واقع لمستا لمس واتحريتا الشاريـط بيـدي مرادعـا ساويتـا

وما زال عندي خير في انتظارا
انهنـيك تـاريخك عـظيم بنيتـا   رقا مزن عالي ساطعات انوارا
الكـردون فرسانـا نهار الغـارا   التاريخ كتبـو بالـذهب اسطـارا

ثم تمتد قافلة وخطوات السعادة بالشاعر فيقف متأملاً موقع معركة (ودي الخيل) تلك الموقعة التي حدثت في مجرى الماء بين حافتي الجبل الاشم، وشاهد قبور الشهداء هناك فتلتهب مشاعره وهو يتذكر تلك الحرب الجائرة التي شنتها ايطاليا على هذا الشعب الصغير المسالم ويمتزج في نفسه الغضب بالفرحة فيصور المشهد بكلمات بليغة وهو الشاعر الشعبي الذي لم يقرأ عن البلاغة ولا طالع دواوين المتنبي وأبي العلاء ولا حتى رفيق أو الشارف، يقول:

معـارك ودي الخيـل يـا مشهـورا   الزنتان في وقت الحروب صقـورا
التاريخ هكي قايل فراسين راهم يعدلو في المايل
وأنـا حكيـت الحق مـوش انحايـل   والحق مـن يقـدر يطّفـي نـورا
حزم وطن ليهم ثقل راهـو هايـل   حـراس لبـلادي ودرع الثـورا
بأولادهم وأجدادهم لاوايل ما يحملو عسك الزمان وشورا
التاريخ قال عليهم معروف من لول الى تاليهم
وماني انتملـق جيت نشكـر فيهم   قديم رسمهم قبلي طلع في الصورا
مني شهادة حق بنزكيهم أصحاب   عقـل مـوشى انفوسهـم مغـرورا
وبالخير ربي انشاء اللا ايزازيهم ظهر فعلهم في كافة المعمورا
خاضو معارك جما، من الشرق حتى لقبل من ورغما
أفكـل معـركا نالـو التنـا والهمـا   العميـان ملطمهـم تفضـل زورا
نهار المخترش فيـه صافـن كما ومـا   خـاف مـن مدفـع ايزلـزل كـورا
مرحول ما هيشى عرب ملتما مشت طاليا متخاذلاً مقهورا
عداد شويا الواحد اعبارا فوق الف وميا وشايب حكا عنهم اخبر فيا فراسين شاكرهم اولاد صقورا
أتقول صيد خارب في عقاب شليا   التـاريخ كتبـو بالـذهب اسطـورا

لا كبكبو لا ولو سلمو افمرحولهم واختلو

وهربو النصارا عالقفاهم ذلو   ذيال الهزيما في القفا مجرورا

وليام للي صابرين يوللو وكل   من استشهد سيتا مغفورا

بالك أتقول ايزايد وطماع لمكسب الدنيا رايد

التاريخ من نفسا بروحا عايد وتيار من يقدر ايجي في فورا

وذكر المجاهد ريت فيه فوائد انشاالله نهار الحشر في طابورا

نخلدو ذكراهم من فعلهم قاعد ايعيش اسماهم

انشاالله النهار الحشر من رفقاهم الغفران بيه انفوسنا مسرورا

معارك ودي الخيل يا مشهورا   الزنتان في وقت الحروب صقورا

والشاعر هنا يتحدث عن التاريخ الذي قرأه وعاصره ويعترف لأهل الفضل في الجهاد بفضلهم دون ان يجامل أو يواري وكأنه سمع شوقي وهو يقول:

(قف دون رأيك في الحياة مجاهدا   ان الحياة عقيدة وجهاد)

أو هو يخاطب روح الشاعر الليبي ابراهيم الأسطى عمر ليؤكد له ان ما قاله في الاعتصام بالرأي ما زال هناك من يلتزم به في بلده، (في ليبيا) رغم طغيان المادة وطوابير المنافقين والمرتزقة، وقد قال إبراهيم:

لا أبالي ان أقول الحق، لا أبالي   غضب اليوم اناس أم تعاموا عن مقالي

ان للتاريخ أخطاء على سعي الرجال   سوف تبقى عبرا للناس ما مرت ليالي

وهي لا تقبل نقصا، لا، ولا تمحى بحال بل اقص (الواقع) المعروف من غير افتعال

وشاعرنا على الرغم من انه ليس في حاجة الى التأكيد على انه لا يبالغ ولا يبالي ولا ينافق لكنه مع ذلك أراد أن يؤكد ان الاعتراف للرجال بشجاعتهم وتضحياتهم حق لا يجب انكاره مهما كانت الأسباب، ولقد شاهد وتأمل جيداً وقرأ بعناية فوجد ان هؤلاء الناس كرماء يدافعون عن المظلوم ويحمون المستجير، ويحسنون استخدام السلاح حتى انهم يحددون مكان ضرباتهم، وقال عنها الشاعر انها دائماً بين العينين، أي انها قاتلة على الفور، ولا يسعه الا

ان يفخر بأبناء بلاده:

(وطنـي وجيراني ونـاس بـلادي فـراسين لجيـوش العـدو كسـارا)

ويصور لنا معركة ودي الخيل الشاعر (عمر القحيص) كأنما كان يجول هناك بآلة تصوير دقيقة فيقول:

تـرى خبر يـا ودي الخيـلاحكي تفصيل شـن داروا في بوبرطيـل

هو يسأل تلك الروابي وذلك السفح الذي تلاقى فيه المجاهدون مع جحافل الطليان، ويطلب الحكاية تفصيلاً، لأنها في تفصيلاتها ربما تعجز الكلمات عن وصفها، أما ذلك الوادي وتلكم الجبال والصحراوات فهي الشاهدة على نقاء نوايا الآباء والأجداد في الجهاد من أجل الوطن، من أجل الدين الحنيف، لله وفي سبيل الله، انها دائماً صرخة الله أكبر كما كبر المثنى بن حارثة الشيباني يوم أجنادين ويوم اليرموك، وكما كبر سعد بن أبي وقاص يوم القادسية، وكما قال الخليفة العظيم عمر بن الخطاب عندما أرادها معركة الأمة كلها، معركة المسلمين ضد الغزاة (والله لاضربن ملوكها الافرنج بملوك العرب) وقد انتصرنا دائماً عندما كان الجهاد في سبيل الله..

يقول الشاعر:

جتهم لخيـار وفهموهـا مـن كل اشـوار
على العمياني شنهو دار اللي جاهد ماهوش بخيل
رواهم حنضل وامرار طيح خمسميات قتيل
صقر أمحصل فوق احبار قعدوا في الهود مسابيل
سمعوا العربان وفزعوا شياب وشبان كل واحد عالظهر حصان
فاجوهم في عقب الليل
وضربوهم راحوا طشان عقدوا منهم غير قليل
وكل واحد يجري حفيان ومكسور الجنحان ذليل
خبر شـن صـار وفهـم هالنـاس الحضّـار

بين المسلم والكفار قالو صار نهار طويل
فيهم يا داروا بازار حمامات الدم تسيل
فراسين وشجعان اكبار عوايدهم من جيل لجيل
جوهم من غادي في الخشوم بقرب الوادي
عقب الليل كتح الصادي ودار البارود تزلزيل
وديما يغلب هللي بادي وهللي راقد موش رجيل
حاطت بيهم ناس أبادي خلصوا منهم باوفى كيل
وحلفت باللا لا فاتاتا فرصا ما ليهاش مثيل
بكل شجاعة فازت طباتا لا قاوم لا عندا حيل
ضربوا جيشا راح شتاتا بومشطا قاصد وطويل
جاتا جمليه كل الناس اللي في الطابونيا
جاتا ظهرية شيطانيا منين لادوا بيه رجاجيل
فرايسهم قعدت مرميا تقول عدفا حادفها سيل
وهان سلاحا والنقليا وجدد كذبا والتدجيل

وهكذا هي الحياة، لا يبقى الا العمل الطيب لله والناس والوطن، تلك هي الحكمة الأزلية لا شيء باق..

وكان المعريّ صادقاً عندما قال:

((تــعب كلهـــا الحيـــاة فمـــا أعجب الا مـن راغب في ازديـاد))

بسم الله الرحمن الرحيم

هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ
مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا
ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا
مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم
مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾
وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾
وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا
لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ
ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾
فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ
ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

صدق الله العظيم

[الجاثية ٢٩ ــ ٣٧]

رسالة سوف الى زعماء الزنتان بشأن وضع المجاهدين في سرت ومصراتة، مؤرخه في 14 ذي الحجة سنة 1314 هـ.



بسم الله تعالى والحمد لله ، وبه استعين ،

من عبد ربه سبحانه محمد عابد الشريف السنوسي

الى الأخ الأبر العمدة الأنور أخينا الشيخ سالم بن عبد النبي أكرمه الله

رسالة السيد محمد عابد رضا السنوسي إلى الشيخ سالم بشأن غنائم القارة.

ورسالة الشيخ سليمان الباروني بشأن صلح ترهونة الى الشيخ سالم.

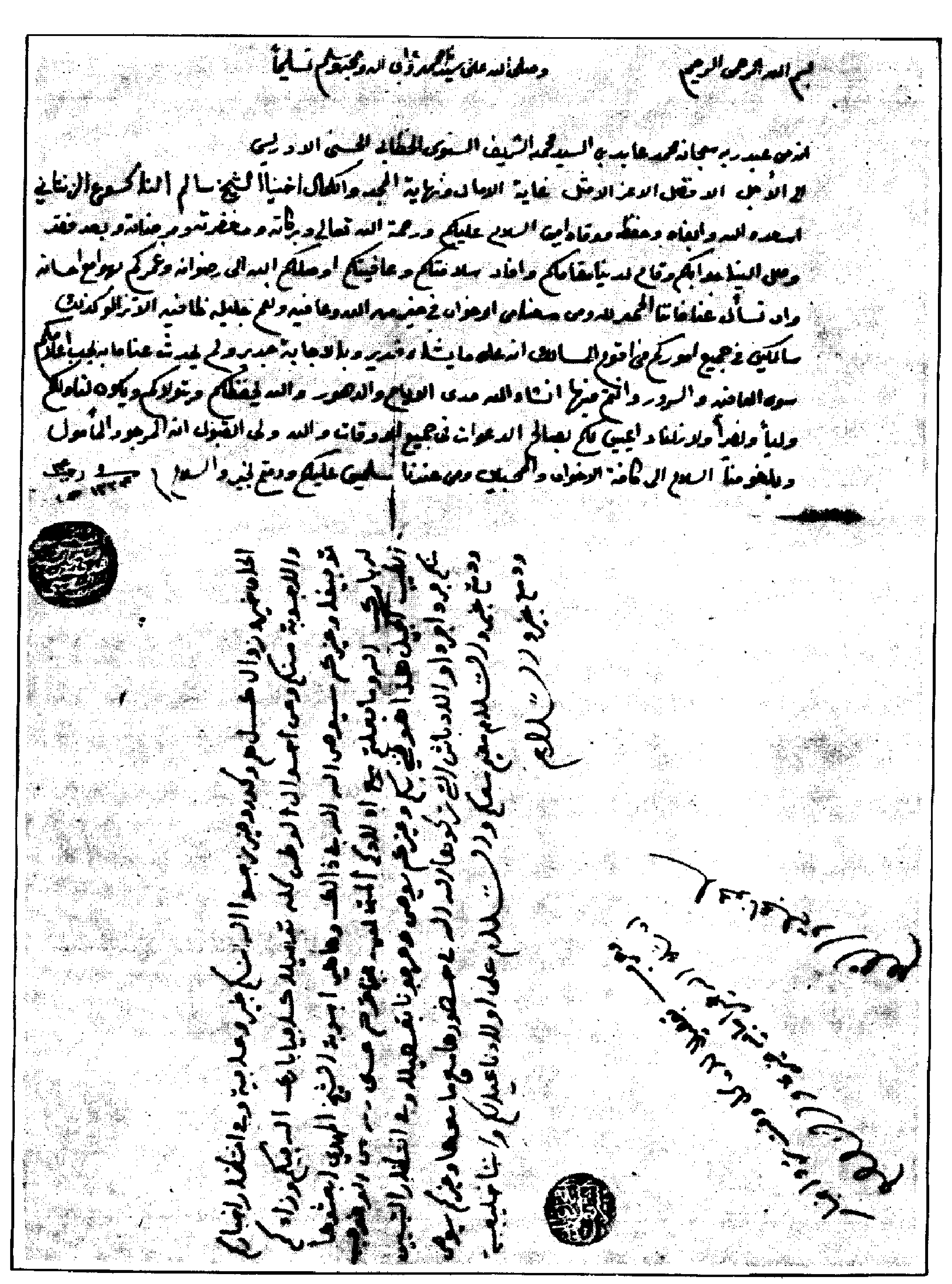
بسم الله الرحمن الرحيم

انه من عبد ربه سبحانه محمد عابد الشريف السنوسي الخطابي الحسني الادريسي الى الاجلاء الفضلاء الاعزاء الا[illegible]
كافة اخواننا الزنتان الذين بالرحلة والوادي بدون تخصيص فيهم كبيرهم وصغيرهم لازالوا محفوظين وبعين العناية
ملحوظين دائمين السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ومغفرته ومرضاته موجبه السؤال عنكم وعن كلية
احوالكم التي هي غاية المقصود من الملك المعبود اوصلكم الله الى رضوانه الاكبر واسبل عليكم رداء ستره الاوفى
وان سألتم عنا وانتم وكافة الاخوان الذين بهذا الطرف بخير وعافية ونعم ظاهرة [illegible]
سالكين به جميع اموركم [illegible] من المشاعر والمناسك والاحوال [illegible] ولم يحدث
ما يجب اعلامكم به سوى الخير والعافية ادام الله ذلك على الجميع بحرمة مكة والبقيع وبجاه النبي الشفيع صلى الله
عليه وسلم وشرف وعظم وربنا سبحانه يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه بجاه نبيه ومصطفاه ويجعلكم [illegible] ويكون
[illegible] ولا زال الدعاء منا لكم مبذولا ومنه اجابة وقبولا وبلغوا منا ازكى السلام الكافة من بالطرف
وجميع الاخوان ومن عندنا يسلم عليكم خالنا الشيخ السيد محمد علي وكافة الاخوان والسلام بدءا والختام

في شهر شوال ١٣٢٢ه



رسالة السيد محمد رضا السنوسي الى الشيخ سالم بشأن احتياجات الزاوية السنوسية.



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً

[illegible] من عبد ربه سبحانه محمد عابد بن السيد محمد الشريف السنوسي الخطابي الحسني الادريسي

الى [illegible] أخينا الشيخ سالم [illegible]

أسعده الله وأبقاه وحفظه ووقاه آمين السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ومغفرته ورضوانه وبعد فقد

[illegible]

رسالة عابد السنوسي الى الشيخ سالم بشأن غنائم سبها..

بسم الله الرحمن الرحيم

ان من يعوز به سبحانه السيد محمد العابد ابن السيد محمد الشريف السنوسي الخطابي الحسني الادريسي الى الاجل الابر الاعز الاكرم غاية الامال ونهاية الكمال اخينا الشيخ سالم بن عبد النبي الزنتاني حفظه الله ورعاه ومن كل سوء وقاه، امين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته ومرضاته وبعد فموجبه الا هو السؤال عنكم وعن احوالكم لا زلتم بخير [illegible] وان سألتم عنا فانا ولله الحمد ومن معنا من الاخوان والمحبين بخير وعافية ونعم سابغة وافية نرجو الله تعالى [illegible]

[illegible]

والله ولي القبول و[illegible] وبلغوا منا السلام الى كافة الاخوان والمحبين ومن معنا مسلم عليكم اجمعين ودمتم في رعاية الله محفوظين والسلام

اواخر محرم ١٣٣٣ سنة

[illegible]

رسالة السيد محمد عابد السنوسي بشأن الأسرى الايطاليين الى الشيخ سالم بن عبدالنبي..

[illegible] في ١٣ سبتمبر ١٩٤٩

حضرة ولدنا الغيور السيد الشيخ سالم بن غفير الزنتاني بمرجع الشعبية

حفظه الله

تحية واحتراما، وبعد فان جمعيتكم جمعية التوادد والتعاضد بين المهاجرين المسلمين بتونس —
تضع ثقتها التامة في شخصكم المخلص وانها تعتمد كم من الآن فصاعدا بأن تكونوا نائبا لها في كامل المراقبة التي انتم
قاطنين بها. وانا في انتظار جوابكم على قبول هاته المهمة الشريفة التي اناطتها بعهدتكم الجمعية لنرسل لكم
كمية من [illegible] الانخراط في الجمعية، ونحيطكم علما ان كل بطاقة تسلمونها لمن اراد الانخراط
في الجمعية لكم منها مقابل تعبكم معلوم تقييدها، فمن اراد الدخول في الجمعية بصفة عضو متبرع مثلا،
يجب عليه ان يدفع ١٥ فرنكا عشرة منها معلوم الاشتراك هي لصندوق الجمعية والخمسة الباقية معلوم التقييد
هي لك مقابل جهدك؛
ولك ان تجعل في كل قرية من قرى المراقبة التي انت ساكن بها نائبا عنك لتستعين به على حصر اخواننا
الطرابلسيين القاطنين هناك، وعلى خدمتك.
ولكن في علمك ان جمعيتنا هذه قد حظيت بالتفات عظيم وعناية فائقة من لدن الحكومة الفرنسية وستجدون
انتم كامل العناية والتبجيل من جميع حكام جهتكم الافاضل ودمتم محترمين والسلام

نائب رئيس الجمعية:

رسالة جمعية التوادد الى الشيخ سالم بشأن عضوية الجمعية.

جمعية التوادد والتعاضد بين المهاجرين المسلمين

جمعية اسست طبق الامر العلي المؤرخ في ٦ اوت سنة ١٩٣٦

والامر العلي الصادر في ٢٨ جوان سنة ١٩٣٨

مركز الجمعية : نهج ــــــــــــــ

اللجنة الاداريه

الرؤساء الشرفيون : هم السادات
الحاج محمد فكيني
سالم بن عبد النبى
محمد بن الحاج حسن

الكواهى الشرفيون: هم السادات
محمد حلمي
احمد بن الحاج خليفة النالوتى

الرئيس : سى محمد عريقيب
كاهية الرئيس سى محمد اسكندر
الكاتب العام : سى احمد زارم
امين المال : سى محمد شكري

غرض الجمعية

اسست جمعية التوادد والتعاضد بين المهاجرين المسلمين لغرس عواطف الاخوه بين المهاجرين المسلمين وبالخصوص لاعانة افرادها ماديا وادابيا

بيان بأسماء الرئيس ونواب الرئيس في جمعية التوادد والتعاضد بتونس.

جمعية
الدفاع عن طرابلس وبرقة
بتونس

بسم الله الرحمن [illegible]

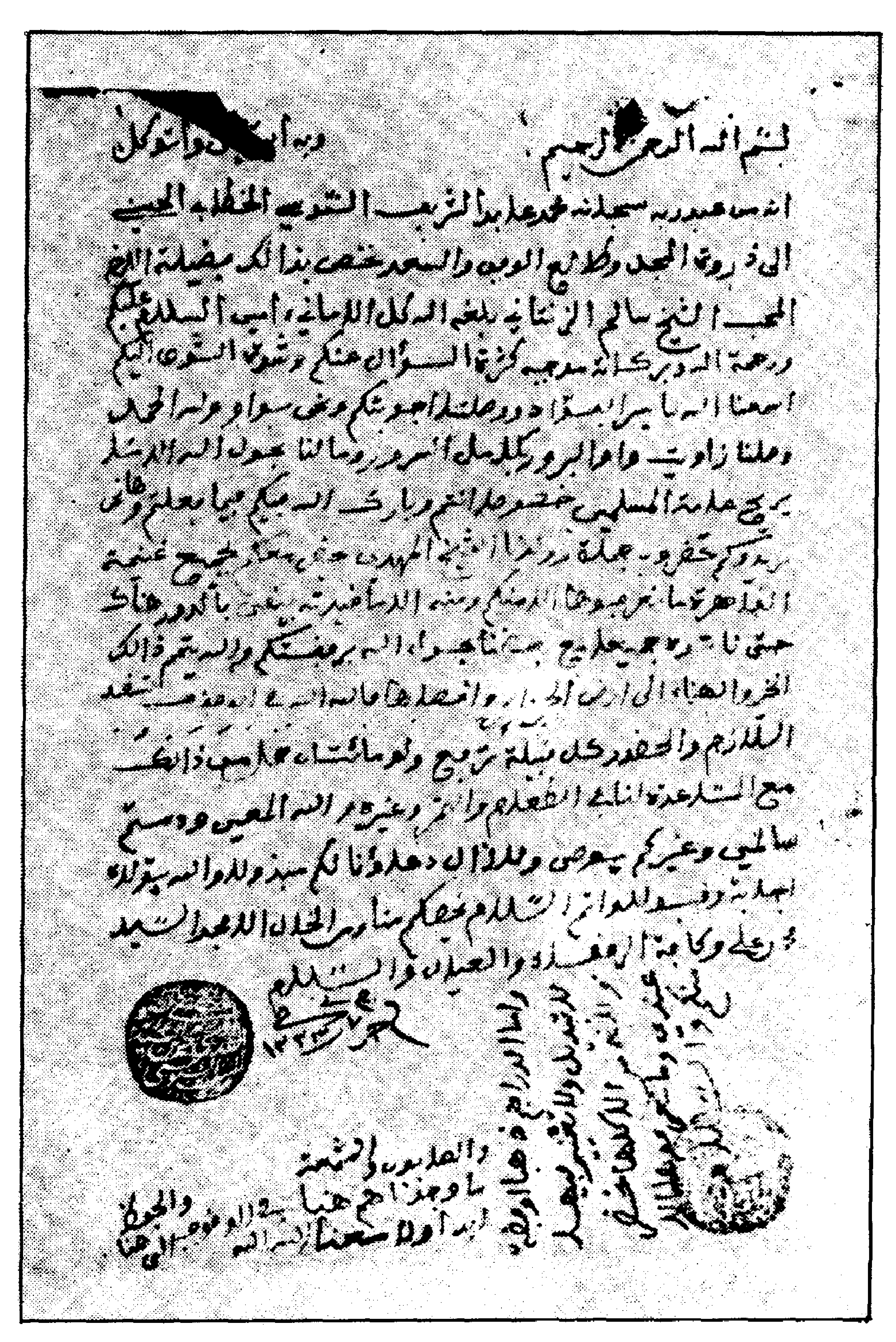
حضرة الزعيم المحترم المجاهد سيدي سالم بن عبد النبي ... تحية واحتراماً
على بناء على ارتباك الحالة السياسية الدولية الحاضرة ولما [illegible] ما تحتم علينا المصلحة الوطنية ترى
جمعيتكم لزوم حضوركم بالعاصمة التونسية صباح يوم ١٧ الجاري للمفاوضة فيما يخص قضيتنا والاتفاق
على جميع أمورنا . وعليه فالجمعية تنا شدكم [illegible] الوطنية المحترم وسلالته المقرورية [illegible]
الدعوة وان تحضروا في الوقت المعين أعلاه [illegible] إلى الله البكر ودمتم محترمين موفقين

كاتب الجمعية احمد زارم خليفة الرهيمي

الرئيس
[illegible]

١٩ جمادى ١ ١٣٥٨

رسالة الجمعية بشأن الاجتماعات في تونس العاصمة.



بسم الله الرحمن الرحيم [illegible] وبه ... توكل

الى من عبد ربه سبحانه محمد عابد الشريف السنوسي الخطابي الحسني

الى ذروة المجد وطالع الوجد والسعد [illegible] بذالك [illegible]

المحب الشيخ سالم الزناتي [illegible] اما بعد السلام عليكم

ورحمة الله وبركاته [illegible] السؤال عنكم [illegible]

[illegible]

رسالة من السيد عابد السنوسي الى الشيخ سالم بشأن الوضع العام.

٢٦٦
[illegible] محرم

من وكيل عموم الادارة السنوسية محمد عابد السيد المهدي السنوسي

الى الشيخ سالم بن عبد النبي الزنتاني حفظه الله آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته عليكم. وبعد. قال تعالى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون

احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب

من المعلوم اننا سابقاً حررنا ما فيه الكفاية لطرابلس ورجالها واعيانها [illegible] فتتفقوا

وتتعاضدوا على مصلحة البلاد والعباد والاصلاح امتثالاً لقوله جل علاه وتعاونوا على البر

والتقوى والى الان لم تتفقوا على ذلك نعم بل زدتم ترددكم للاعتداء [illegible] بعضكم بعضا

[illegible] حدث [illegible] وحرمتكم [illegible] للاشاعات الواهية مع انكم تعلمون

جميعكم انا لو كنا [illegible] بعدم [illegible] لتشتتكم في [illegible] التي [illegible]

واتحادكم [illegible] من حالة الوطن [illegible] العدو مع ما شاهدناه من [illegible]

التي [illegible] الذين [illegible] قوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا

فتمسكم النار [illegible] ولا تكونوا [illegible] اخوانكم اهل الجبل

[illegible] حيث انتم [illegible] في سبيل الله

وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين

وان العدو في هذه الايام الاخيرة [illegible]

[illegible] الصادقة والصف [illegible]

[illegible] واحداً [illegible]

والرجال لدفاع العدو [illegible] الوطن [illegible] الرابطة [illegible]

ويكون الجبل وطرابلس كصف واحد [illegible] للعدو [illegible]

[illegible] وقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا

[illegible] اذا [illegible] يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت

اقدامكم [illegible] امتثالاً لقوله جل علاه يا ايها النبي

حرض المؤمنين على القتال [illegible] النصح

[illegible] الوكيل العام

رسالة السيد عابد السنوسي الى الشيخ سالم بشأن الخلافات في الجبل بين المجاهدين.

بسم الله ارحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد و آله وصحبه وسلم

نداء الى اخواننا المهاجرين المسلمين

ايها المهاجرون المسلمون !

لقد راينا منكم فيما مضى حين تشرفنا بملاقتكم الاخلاق الحميدة والمزايا الفاضله ولا زلنا نحتفظ اليكم بتلك المنزلة التي وضعتموها فينا والثقة الكاملة حين انتجبتمونا للدفاع عن مصالحكم مهما كانت التكاليف. وقد عرض لنا الآن ان غيرنا اسم الجمعية نظرا لما نرجوه من تحسين احوالكم ورفع مستواكم الادبي والمادي وان نشتغل بما يعود عليكم بالرفاهيه ورخاء العيش. وقد اجتمع يوم ١٩ جوبليه ١٩٣٩ اثنان وعشرون نفرا من اعيان الطرابلسيين ولقبوا الجمعية المذكورة باسم « جمعية التوادد والتعاضد بين المهاجرين المسلمين ». وهؤلاء الافراد الآتي ذكرهم :

السادة الحاج محمد فكيني، الشيخ سالم بن عبد النبي، الشيخ محمد بن الحاج حسن، محمد افندي حلمي، احمد ابن يوسف الفيتوري، محمد بن الحاج احمد عريقيب، حميدة افندي البنغازي، محمد فياض، محمد بن خليفه، محمد بن الحاج علي الشعتاني، عبد الله السركسي، الشيخ المبروك بن عمر الفرياني، الشيخ احمد النالوتي، علي بن محمد بن الحاج حسن، محمد افندي شكري. محمد افندي غالب، احمد افندي زارم، الشيخ محمد بن عباس، عمر بن مالك، رمضان ابن طالب، الشيخ علي بوستة، جابر افندي الجيتوني.

واليكم اهم المقاصد والاغراض التي ترمي اليها الجمعية :

١ اعانات المهاجرين المحتاجين
٢ اعانات منزلية
٣ اعانات طبية
٤ ايجاد خدم للبطالين
٥ ايجاد مكتب للشغل
٦ تكوين مطابع خيرية
٧ توزيع الثياب
٨ معالجة طبية بدون اجرة (مجانا)
٩ اعانات الاولاد والشيوخ
١٠ ايجاد مكتب للارشادات

كل ذلك مجانا بدون اجرة سوى دفع اشتراك سنوي او معاضدة من كانت احواله متيسرة.

ونحن نعتقد ان هذا الامر هو اقدس واجب يؤدية الانسان لاخيه. لذلك هوات جمعيتكم ان تقوم بهذا الواجب المقدس وهي ترسل اليكم طي هذا برنامجها للاطلاع عليه مع هذا الشرح الموجز. هذا وان الجمعية مستعدة لقبول جميع ملاحظاتكم. ونرجوا من اخواننا المهاجرين ان يتلقوا نداءنا بالاجابة وان يمدونا بالمعاضدة.

ايها المهاجرون المسلمون الغرباء ان هذه الجمعية تدافع عن جميع المسلمين المهاجرين بصفة عامة وعن الطرابلسيين بصفة خاصة ويلزم ان نعرف ان كل شقاق لا ينجر عنه الا ضياع الحقوق وزيادة الشقاء وان نضع نصب اعيننا هاته الجملة الذهبية « القوة في الاتحاد » والسلام.

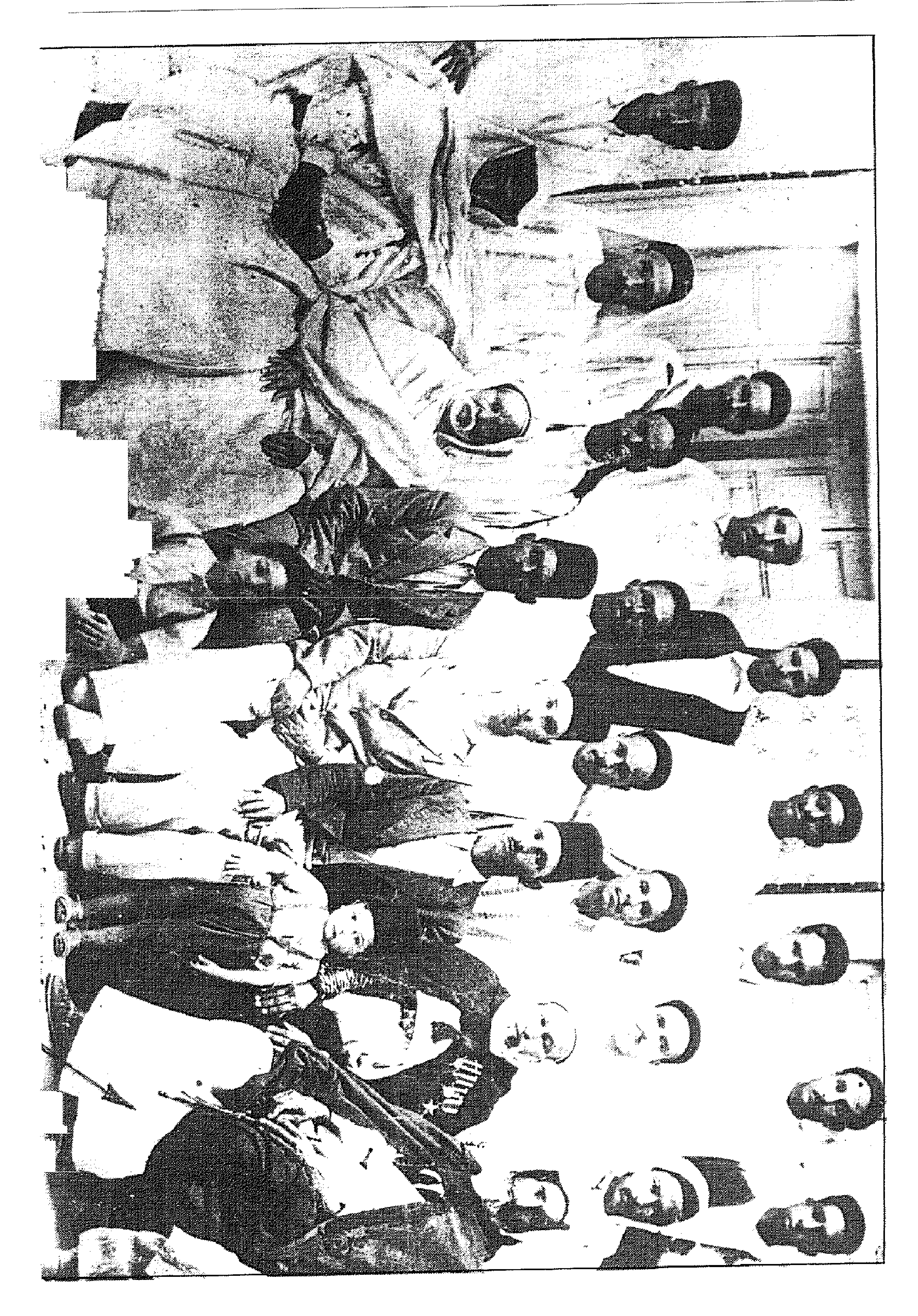


نظراً لشجاعتك وصداقتك التي قدمتها في حرب
سنوات ١٣٢٩ - ١٣٣٣ ضد القوات الايطالية
بطرابلس الغرب ؛

منحت لك

(شهادة تقدير) ماداليوم حربية باسم فخامة
السلطان العالي العثماني . وايضا من الآن وصاعداً
وفي كل الاحوال عليك بذل الجهد وفي حدود
القانون بإيفاء خدمات جليلة وحتى يتسنى
لك اكتساب المدح والتقدير .

انور
رئيس القوات الحربية
(الختم والتوقيع)



المراجع

1 ــ نحو فزان، رودولفو غرتسياني ــ ترجمة طه فوزي.
2 ــ ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، فرانشيسكو كورو، خليفة التليسي.
3 ــ قصائد الجهاد الليبي، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي.
4 ــ عشر سنوات في بلاط طرابلس، ريتشارد توللي، ترجمة عمر الديواري.
5 ــ من داخل معسكرات الجهاد في طرابلس، جورج ريمون، ترجمة محمد عبدالكريم.
6 ــ معجم معارك الجهاد في ليبيا، خليفة التليسي.
7 ــ تاريخ ليبيا العام، محمد بن مسعود.
8 ــ موسوعة روايات الجهاد، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي.
9 ــ تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي.
10 ــ روايات شفوية (أبناء الشيخ سالم وشهود عيان آخرين).

فهرس الكتاب

إهداء 7

تقديم 9

الفصل الأول : على درب الحياة 17

الفصل الثاني : الوضع العسكري قبل معركة القارة 45

الفصل الثالث : الوضع العسكري بعد معركة القارة 69

الفصل الرابع : التخطيط والمواجهة والمعارك 91

معاهدة أوشي — لوزان 104

معركة الشب 114

معركة أشكدة 115

معركة المحروقة 115

الفصل الخامس : مرحلة الجهاد الأكبر 121

معركة الوخيم 130

معركة الجوش 136

معركة الطابونية 143

الحملة على الطابونية 147

معركة القريات الأولى 150

الفصل السادس : المراوغة والإفلات 157

الفصل السابع : حياة الهجرة 171

الفصل الثامن : العودة الى الوطن 181

الفصل التاسع : حديث الوثائق 197

الرسائل 207

الفصل العاشر : خاتمة المطاف 223

عبد الوهاب محمد الزنتاني

* كاتب صحفي ليبي ولد في الزنتان سنة 1936.
* درس في ليبيا ثم الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفياتي.
* الف وترجم العديد من الكتب في العلوم والآداب والسياسة والتاريخ.
* عمل في الادارة الليبية ودرس علوم اللاسلكي ثم شغل مناصب تنفيذية (عميد بلدية بنغازي ـ محافظ بنغازي) وانتخب أميناً للاتحاد الاشتراكي في بنغازي. عمل سفيراً لبلاده في عدد من دول أوروبا وآسيا وأفريقيا، منها قبرص، لبنان، الاتحاد السوفياتي، فنلندة، السودان.
* شغل منصب أمين عام منظمة الأحزاب الاشتراكية في البحر الأبيض.
* مارس العمل الصحفي من سنة 1956 الى سنة 1979 في صحف (الحقيقة والعمل في ليبيا والناصرية وصوت العرب والموقف العربي في مصر.

أهم مؤلفاته :

1 ـ هندسة الراديو والتلفزيون
2 ـ المسطرة الحاسبة
3 ـ وثائق الوحدة العربية
4 ـ خرافة الستار الحديدي
5 ـ الاتحاد السوفياتي نظرة من الداخل
6 ـ نفط الشرق الأوسط وأزمة النفط في العالم
7 ـ ثورة الادغال في أفريقيا
8 ـ مولد دولة الكونغو
9 ـ تاريخ المخابرات الاسرائيلية
10 ـ مذكرات ذو الفقار علي بوتو.
11 ـ أصدر عدداً من الروايات والمسرحيات

* متفرغ الآن للترجمة والتأليف ويقيم في بلدته التي ولد بها (الزنتان)



نشر مشترك
الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع
دار اليوم للاعلام المحدودة